الدعاء تعلق الروح بالمبدأ الأعلى

تاليف
مقداد محمد رضا المظفر

جَمِيــعُ الحُقُوق مَحْفُوظَةٌ
للعتبة الحسينية المقدسة
الطّبعـــَة الأولـــْى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدعاء تعلق الروح بالمبدأ الأعلى

اسم الكتاب : الدعاء تعلق الروح بالمبدأ الاعلى

تاليف : مقداد محمد رضا المظفر

الناشر : الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة : الاولى

سنة الطبع : ٢٠٢٢م - ١٤٤٤ هـ

عدد الصفحات : ٢٦٤

الاخراج الفني : محمد العامري

محفوظة جميع الحقوق

للعتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٣١٣٢ بغداد لسنة ٢٠٢٢

دار الوارث للطباعة والنشر
DARALWARITH Printing & Publishing

العراق - كربلاء المقدسة
المكتب الرئيسي، سيف سعد خلف المخارن الغذائية
٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٤ - ٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وعلى آله المنتجبين الأخيار، وبعد فإن من دواعي الفخر و الاعتزاز،أن نتشرف بخدمة الإمام الهمام السجاد البكّاء،ذي الثفنات علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) جميعاً .

وإن إقامة مهرجان تراتيل سجادية منذ ثماني سنوات بكل فقراته وتفاصيله تصبّ في هذه الخدمة العظيمة والتشجيع على كتابة المؤلفات وطباعتها ضمن هذه الفقرات، كذلك تشجيع الطلبة الذين يسعون الى نيل شهادة الماجستير و الدكتوراه في علوم شتى للكتابة عن سيرة و جهاد وعلوم الامام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، و تتكفّل ادارة المهرجان وبدعم لا محدود من قبل المتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي، بالطباعة و الترويج لهذه المؤلفات .

فاذا ندعو الجميع للإفادة من فضائل الامام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) للكتابة في حياته وريادته في أمور شتى نذكرمنها :

في الوقت الذي كانت قصور ملوك بني امية تعج بالعبيد والأرقّاء من النساء والرجال،كان الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يحررهم في كل مناسبة كالأعياد و شهر رمضان و كان معروفًا عنه بأنه محرر العبيد ومواقفه

الانسـانية لا تعدّ ولا تحصى ومنها موقفه مع هشـام بن اسماعيل المخزومي وقضية مروان بن الحكم تدل على إنسـانية لا مثيل لها .و من أولى من الامام بحقيقة الاسـلام و نهجه وجوهره.

ومنهـا انه (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) كان يخـرج ليلا يحمل أكياس الـزاد ليوزعها على الفقـراء سرّاً لا علانيـة .قال سـعيد بن المسـيّب (ت ٩٤هـ) : « كان القراء لا يخرجون الى مكة إلا اذا خرج علي بن الحسين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) . فخرج و خرجنا معه ألف راكب ». والتعبير الحديث لكلمة القراء في هذا الزمان تعني المثقف .

و ما الصحيفة السـجادية و رسـالة الحقوق و المناجاة الخمس عشرة إلا كنوز أورثها الامام للأجيال لتصحيح مسـارات الاسلام و تقويم الانحرافات التى سعي اليها ملوك بني أمية .

و نضع بين أيديكم هذا المؤلف ، من نتاج مهرجان تراتيل سجادية الثامن ، ومن الله التوفيق .

جمال الدين الشهرستاني
رئيس اللجنة التحضيرية لمهرجان تراتيل سجادية
محرم الحرام ١٤٤٤هـ
آب ٢٠٢٢ م

مُقَدِّمَة

(يا إلهي لَوْ بَكَيْتُ إِلَيْكَ حَتّى تَسْـقُطَ أَشْـفارُ عيني، وَانْتَحَبْتُ حَتّى يَنْقَطِعَ صَوْتـي، وَقُمْـتُ لَـكَ حَتّى تَتَنَشَّرَ قدمـاي، وَرَكَعْتُ لَـكَ حَتّى يَنْخَلِـعَ صُلْبي، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتّى تَتَفَقَّأَ حدقتاي، وَأَكَلْتُ تُرابَ الأَرْضِ طُولَ عُمْري، وَشَرِبْتُ ماءَ الرَّمادِ آخِرَ دَهْري، وَذَكَرْتُكَ في خِلالِ ذلِكَ حَتّى يَكِلَّ لِسـاني، ثُمَّ لَمْ أَرْفَعْ طَرْفي إِلى آفاقِ السَّـماءِ اسْـتِحْياءً مِنْكَ، مَا اسْـتَوْجَبْتُ بِذلِكَ مَحْوَ سَيِّئَة واحِدَة مِنْ سَيِّئاتي ...)

يالله للمسـلمين وأين فرزدقهـا لينهل المعارف الإلهية والأسرار الملكوتية مـن هذا الأمـام الهمام و القرم القمقام فهذه الكلمات هي زهرة مقتطفة من روضـة ادعيتـه وهي زاوية قائمة من زوايـا لوحته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لجزء مهم من أسرار توجهـه إلى الحـق تعالى مجده وانقطاعه إليه سـبحانه وهذا هو بقدر مـا نفهمه نحن من هذه العبارات الشـامخة والإشـارات السـامقة وبقدر ما يحيـط به ذهننـا القاصر ونظرنا الفاتـر ويكفي من العقد مـا أحاط بالجيد . ومـن المعلـوم أن الكلام عن عترة النبي الاكـرم محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وما لاقـوه مـن أمة جدهم ذو شـجون ويدمي القلـوب ويقرح الجفـون وكما في الخـبر المعـروف عـن الإمام الرضـا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حيـث يقول (أن المحرم شـهر كان أهـل الجاهليـة يحرمون فيه القتال فاسـتحلت فيـه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب مـا فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسـول اللـه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) حرمة في أمرنا إن

يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فان البكاء عليه يحط الذنوب العظام...) [١] و سننقل حديثاً واحداً عن أهل السنة فيما يروونه عن النبي الخاتم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) بخصوص العترة (فقد اخرج الديلمي عن جابر وأحمد في المسند والطبراني في الكبير وسعيد بن منصور عن أبي أمامة أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) قال يجيء يوم القيامة المصحف والمسجد والعترة فيقول المصحف يا رب حرفوني وفرقوني ويقول المسجد يا رب خربوني وعطلوني وضيعوني وتقول العترة طردونا وشردونا واجثو بركبتي للمخصومة فيقول الله لي وأنا اولى بك) [٢] وتنسب هذه الابيات لدعبل الخزاعي [٣]

إنّ اليهود بحبها لنبيها أمِنتْ معرّةَ دهرها الخوّانِ

وذووا[٤] الصليب بحب عيسى أصبحوا يمشون زهواً في قرى نجران

والمسلمون[٥] بحب آل نبيها يُرمَون في الآفاق بالنيران

ونحن نقول لا ندري ما الذي صدر من هذا الشاعر الفحل في حطه لأقدار الناس وتقليل قيمتهم وهل الرجل سليط اللسان بهذا الحد الذي جرح مشاعر

١- بحار الانوار ج ٤٤ ص ٢٨٣ (آمالي الصدوق: ١٩)

٢- العتب الجميل ص ١٣٧

٣- قال عنه ابن خلكان في وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٢٠ حرف الدال ترجمة برقم ٢٢٧ (وكان شاعراً مجيداً إلا أنه كان بذيّ اللسان مولعا بالهجو و الحط من أقدار الناس وهجا الخلفاء فمن دونهم وطال عمره فكان يقول لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك)

٤- كذا والصواب وذوي

٥- كذا والصواب والمسلمين

ابن خلكان حتى طفح من قلمه ما في قلبه وفؤاده وإنما تكشف عبارته (هجا الخلفاء فمن دونهم) تبين المقصود ونترك الباقي لأهل التحرير من الفكر دون أهل الجمود وقد ورد عن الإمام الباقر(عَلَيْهِ السَّلَامُ) في تفسير قوله تعالى (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم) (وذلك أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) سأل قومه أن يوادوا أقاربه ولا يؤذوهم) [١]

ولذا سوف نستعرض في هذا البحث جوهرة فريدة من هذا العقد الملكوتي ونكشف النقاب ولو يسيراً عن ضوئها الساطع ونورها اللامع الا وهو رابع الائمة الهداة والقادة الدعاة الأمام علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ونستعرض لمعاً من جوانب شخصيته وبريقاً من سيرته وحياته ما ترشح عنه من نقل قبس يسير من روايات وأخبار في الأحكام والأدب والأخلاق ثم نتكلم عن الدعاء وما تميز به (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في هذا المضمار حيث شابه جده أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) و كأنه يحاكي جده ويغترف من ساحل بحره فنتكلم عن الدعاء وتعريفه و شروطه وحالات الانقطاع للحق تعالى مجده وكيفية مخاطبته له سبحانه ونقتبس بعض القناديل البراقة من زبور آل محمد (الصحيفة السجادية) ثم نتكلم عن رسالة الحقوق له (عَلَيْهِ السَّلَامُ) التي تفتق عنها معاني الحنان والدفأ الإنساني وكيفية تعامل البشر فيما بينهما وما هي حقوق الرئيس والمرؤوسين والوزير والغفير والاب وابنه والزوج وزوجته والخصم وخصمه وقد كان كلامه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في تلك الحقبة التي مرت عليه بعد واقعة ألطف الفجيعة حيث اتخذ أسلوب الدعاء طريقاً لإصلاح الأمة و

---

١ - تفسير البرهان ج٦ ص ٣٤٦ ح٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٩

معالجة مادبَّ فيها من داء عضال وسـقم فعّال فأبان لهم رسـالة في الحقوق والواجبات لعلها تجد من يقتدي بهداها ويتخذها دستورا عمليا لا نظرية بلا تطبيق فالبحـث إذن ونتكلم فيه عن

القسم الجزء الأول

١- سيرته وتاريخه بين المدرستين الشيعية والسنية

٢- قبس من الأخبار والروايات في الأحكام والآداب والأخلاق والمواعظ

القسـم الجزء الثاني: الكلام عن الدعاء وأبعاده ونتناول الحديث بشيءٍ عن الصحيفة السجادية

القسم الجزء الثالث: الكلام عن رسالة حقوق الإنسان

ولادته (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

حصل الاختلاف في يوم وشهر مولده (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقد ذهب جماعة إلى أنه في النصف من جمادى الأولى وتبنى هذا الرأي الشيخ في مصباحه وابن شهرآشوب في مناقبه وصاحب أعلام الورى وغيرهم أما الفتال النيسابوري فقد اختار أن مولده لتسع صلوت من شعبان والرأي الثالث وقد اختاره صاحب كشف الغمة وكذا اختار هذا الرأي صاحب الفصول المهمة والشهيد في الدروس فهو في الى الخامس من شعبان وهذا الرأي المشهور والمنصور وأيضا قد اختلف في سنة ولادته فقد ذهب الشهيد في دروسه والعلامة في التذكرة وصاحب المناقب وكذا في إعلام الورى وكشف الغمة وفي الفصول المهمة و روضة الواعظين والشيخ الكليني والشيخ في تهذيبه والمفيد في الإرشاد إلى أنه في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة بينما ذهب الشيخ في مصباحه إلى أنَّ ولادته في سنة ست وثلاثين من الهجرة وقيل في سنة سبع وثلاثين وقيل في سنة خمس وثلاثين وهنا شيء مهم ملفت للنظر وهو وأن ولادته على الرواية المشهورة هي في نفس الشهر من ولادة والده الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهي الثالث من شهر شعبان وأن ولادة الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يوم إلى الخامس من نفس الشهر فتكون ولادته في نفس الشهر وهي متأخرة عن ولادة والده (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الأيام وكذا شهادته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هي في نفس الشهر من شهادة والده (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بل هي متأخرة عن شهادة والده (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهذا الشيء قد اختص هو به من بين الائمة الأطهار (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . وأيضا قد اختلف

في مـن هـو الاكبر من اخوته هل هو أو اخـوه المقتول بكربلاء فذهب الطبري في تاريخـه والجنابذي في كشـف الغمـة و البلاذري في أنسـابه والأصفهاني في مقاتلـه وهـؤلاء من العامة وأما من الخاصة فالمسـعودي في مروجه وابن إدريـس في سرائـره وغيرهما فالجميع ذهبوا إلى أنـه أصغر من أخيه المقتول بكربلاء اما المفيد في الإرشـاد والشـيخ في رجاله والعلامة في الخلاصة وعلي بـن طـاووس كمـا في الإقبال وابـن داود في رجالـه إلى أنه علي الأكـبر أي أنَّ سـجاد (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) هـو أكـبر من عـلي المقتول بكربـلاء ظلما وعدوانـا مع أبيه (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) عمـلا بمقتـضى الخـبر بالمعروف أن الإمـام هو أكبر ولـد أبيه وما رواه في الإقبـال في زيـارات عاشـوراء وفيها (وعلى ولدك عـلي الأصغر الذي فجعـت بـه) والصواب هـو القول الأول أما حديث اشـترط الأكبر فالمراد منه حين الاستخلاف للإمامة وأما الزيارة التي في الإقبال فهي ليست منسوبة إلى معصـوم ومما يؤيد ما ذكرنا أنه قد ذكـر أبو الفرج الأصفهاني بأن المقتول ولـد في خلافـة عثمان ومن المعلوم أن السـجاد (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) ولـد في خلافة جده أمير المؤمنين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) وقال أيضا (أن يزيد لما قال للسجاد (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) ما اسمك فقال له علي فقال أولم يقتل الله عليا قال : قد كان لي أخ أكبر مني يسمى عليا فقتلتموه) ما ذكر في الخصال في الأئمة الاثني عشر (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) (فإبنه علي بن الحسـين الأكبر) فلا يصلح دليلا وذلك لأن الشـيخ في غيبته وكذا النعماني في غيبتـه أيضـا والكليني في الكافي ذكروا الحديث ولم يذكروا كلمة (الأكبر) على أنـه يمكن تأويله بأن الأكبر المراد منه حين الاسـتخلاف للإمامة

وفاته (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

ذكـر الكفعمي انهـا في الثاني والعشرين من محرم أما الشـيخ في مصباحه فقد ذكر أنها في الخامس والعشرين منه وقد اختلف في سنة شهادته فذهب أبو نعيم إلى أنها في سنة اثنتين وتسعين وذهب ابن عساكر إلى سنة أربع وتسعين وبه قال الشيخ في المصباح وابن الأثير في تاريخه وقال الكليني والشيخان في الإرشاد والتهذيب أنه في سنة خمس وتسعين وهو الأقرب وعن إسماعيل بن همّام عن أبي الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (لما حضر علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الوفاة أغمي عليه ثلاث مرات وقال في المرة الأخيرة (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) ثم مات (عَلَيْهِ السَّلَامُ) [١] وعن عيسى بن عبد الله [٢] بن عمر عن جعفر بن محمد (عَلَيْهِمِ السَّلَامُ) قال : لما حضر علي بن الحسـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الموت قبل ذلك أخرج السـفط او الصندوق عنده فقال يا محمد احمل هذا الصندوق قال فحمل بين أربعة قال فلما توفي جاء إخوته يدعون في الصندوق فقالوا أعطنا نصيبنا من الصندوق فقال والله ما لكم فيه شيء ولوكان لكم فيه شيء مـا دفعـه إلي وكان في الصندوق سـلاح رسـول الله وكتبـه [٣] وعن الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قـال كان علي بن الحسـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول انه يسـخّي نفسي في سرعة الموت والقتل فينا قول الله (أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) وهو ذهاب العلماء [٤]

١- تفسير البرهان ج ٦ ص ٥٦٨ ح ٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ٢٢٤

٢- لعله هنا سقط لان الصواب عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

٣- بصائر الدرجات ج ١ ص ٣٦١

٤- اصول الكافي ج ١ ص ٨٧ ح ٦

غرر من شخصيته (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

كانت ولادته في المدينة المنورة وأيضا وفاته في مدينة جده (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) ودفن في مقبرة البقيع وأمه قد اختلف في اسمها فعند العامة ان اسمها غزالة أما الحافظ عبد العزيز الجنابذي كما في كشف الغمة فذهب إلى أن اسمها سلافة واما الخاصة فذهب الشيخ المفيد في الإرشاد والشيخ في التهذيب أنها شاه زنان وذهب الكليني أنها شهربانويه ووقع الاختلاف في نسبها فقيل بنت يزدجرد آخر ملوك فارس كما ذهب اليه المفيد والمسعودي كما ذكره صاحب البحار وأما الكليني فقال بنت يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن كسرى برويز وهو مجانب للصواب لأن الصحيح ان شيروية هو أخو شهريار لا أبوه وأما الشيخ في التهذيب فقال بنت شيرويه والاصح انها بنت يزدجرد ويؤيده ما ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار كان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول أنا ابن الخيرتين لأن جده رسول الله وأمه بنت يزدجرد الملك وأنشأ أبو الأسود

وإن غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائم

وهل سبيت في زمن عمر كما رواه في البصائر والكليني وغيرهما أو في زمن عثمان كما في عيون الأخبار أو في زمن أمير المؤمنين كما قال في المفيد في الإرشاد فإنه قال ولى أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حريث بن جابر جانبا من المشرق فبعث إليه بابنتي يزدجرد فنحل ابنه الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) شاهزنان منهما فأولدها زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والأخرى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمد بن أبي بكر فهما ابنا خالة) ورواه في المناقب عن أبن

الكلبـي أما في العيون فروى أن سـبيها في زمن عثمـان وأن أختها عند الإمام الحسـن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اما الشـيخ الكليني فروى أن سـبيها في زمن عمر إلا أنه لم يذكر أن لها اختاً وماتت في نفاسـها أي والدة الامام السـجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقول بعـض أن عبد اللـه بن زيد آوزبيد أخو السـجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لأمه وهمٌ لأن عبد اللـه هذا هو ابن قابلة السـجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) التـي ربته بعد وفاة والدته رضوان اللـه عليهـا فظن الناس أنها أمـه إذن فوالدته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد ارتحلت إلى بارئها وهـي في مخاضهـا فما ورد من عدم مؤاكلته أمه كراهة أن تسـبق يده إلى ما سـبقت عينها عليه يحمل على قابلته ومربيته التي عرفت عند الناس انها امه وكـذا يحمـل ما ذكره في اصول الكافي [1] عن الحكـم بن عتيبة أنا قال دخلت عـلى عـلي بن الحسـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يوماً (فقـال يا حكم هل تـدري ... الى قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وكان عـلي ابـن ابـي طالب محدَّثا فقـال له رجل يقال لـه عبد الله بـن زيـد وكان اخا علي لأمه سـبحان اللـه محدَّثا كأنه ينكر ذلـك فأقبل عليه ابـو جعفـر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقـال امـا والله ان ابن امـك بعد قـد كان يعرف ذلك) بينمـا روى النعمانـي في غيبته وذكر ايضـا وكان اخا علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لأمه من الرضاعـة) فمن المظنون قويا ان كلمة (من الرضاعة) سـقطت من النسـاخ او تحمـل عـلى أن المراد بلحاظ أنها كانت القابلة والحاضنة له (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فهي بمنزلـة أمـه وذلـك لان النعماني هو تلميذ الكليني وهو الذي نسـخ له كتاب الكافي في مدة عشرين عاماً فلعله من غير المناسـب عدم معرفة التلميذ بمباني وأفكار اسـتاذه طيلة هذه السـنين المتطاولة . و اما ازواجه فأم عبد الله بنت

١- اصول الكافي ج ١ ص ٣٢٦ ح ٢

عمه الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقال عنها الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كانت صديقة لم تدرك في آل الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مثلها وروى في الكافي تزوجه بشيبانية وروى في قرب الاسناد تزوجه بأم ولد أخيه علي المقتول وكذا ورد تزوجه بأم ولد عمه الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأما أولاده فقد قال في الإرشاد عشرة محمد الباقر(عَلَيْهِ السَّلَامُ) من ام عبد الله وعبد الله الباهر والحسن والحسين من أم ولد وزيد وعمر من أم ولد ومحمد الأصغر من أم ولد وفاطمة وعلية وأم كلثوم من أم ولد وقد زاد ابن سعد في طبقاته حسيناً الأصغر وسليمانَ وقاسماً وعلياً في بنيه ومليكة وخديجة وأم الحسن وأم البنين في بناته فإنكار ابن الخشاب كما في كشف الغمة وغيره من انكار ان تكون له بنتا ليس في محله خصوصاً إن النجاشي ذكر في رجاله روى لعلية بنته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كتابا وقال رواه محمد بن عبد الله عن رجاء بن جميل عن أبيه عن زرارة عنها .

سيرته (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

سـننقل نتفـاً يسـيرة ذات معانٍ غزيرة مـن تاريخـه وأخباره (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فهو المسك ما كررته يتضوع ونبدأ بذكر عنوان عام قد أحاط واحدق بالأئمة الاطهار (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ونسـقط هذا العنوان العام على موضع بحثنا وهو الامام السـجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والعنوان العام هو مظلومية الائمة

عن شـداد أبي عمار قال دخلت على واثلة بن الأسـقع وعنده قوم فذكروا علياً فشـتموه فشـتمته معهـم فلما قاموا قال لي لم شـتمت هـذا الرجل قلت رأيت القوم شـتموه فشـتمته معهم فقال ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) قلـت بلى فقال أتيت فاطمة (عَلَيْهَا السَّلَامُ) أسـألها

عـن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقالت توجه إلى رسـول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) فجلسـت أنتظـره حتـى جاء رسـول الله (صـلى عليه وآله وسـلم) فجلـس ومعه علي وحسـن وحسـين آخذاً كل واحد منهما بيده حتى دخـل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسـهما بين يديه وأجلس حسـناً وحسـيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لـف عليهـم ثوبه أو قال - كسـاءً - ثم تـلا هذه الآية (إنما يريـد الله ليذهب عنكـم الرجس أهـل البيت ويطهركم تطهيراً) ثـم قال(اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهـل بيتي أحـق) [١] . أقول فليتدبر منصف ولينظـر بعين البصيرة إلى هذا الرجـل الذي سـب عليا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الـذي هو بنص القرآن الكريـم نفس النبي الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) لمجرد أن هؤلاء الرعاع قد سّبوه وأصبح رجلا إمّعة

١- مسند احمد ج ٤ ص ١٠٤

قـد تبعهم اتباع الفصيل لأمه وليتدبر متدبر لسـنة معاوية وبني امية وماذا تركوا لامة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) من سنة يندى لها جبين الإنسانية وأي أثر تركـوه للأجيال الإسـلامية ومن المعلوم ان الاثر مهم في نظر الإسـلام بقدر العمل وقيمته هي نفس قيمة العمل لو لم تكن أشد وآكد فإن الحق تعالى قال [١] (ونكتـب مـا قدموا وآثارهم) فهنا تلازم واقعي بين العمل ولوازمه المعبر عنه في المفهوم القرآني أثر العمل بل من الصعوبة بمكان أن تجد عملا بدون أن يـترك اثـرا ويؤثر في شيء اخر ولا تكن منك قصة النسـائي وما فعله أهل الشام به غائبة!

١- سورة يس اية ١٢

الفنن الباسق للإمامة

عـن الحســين بن ثوير بن أبي فاختة عن الصــادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال لا تعود الامامة في أخوين بعد الحســن والحســين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أبدا إنما جرت في علي بن الحســين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كمــا قال الله تعالى ﴿ **وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ فــلا تكون بعد علي بن الحســين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلا في الاعقاب وأعقاب الاعقاب) [١] إذن هو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بعد استشــهاد والده (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الينبوع الصافي للخلافــة الإلهية العظمى الذي ارتضاه الحق تعالى شــأنه لحمل هذا المشــعل الســامي لهدايــة البشرية وامتد هــذا النور الإلهي من خــلال الجوهر النضيد لأمامنا الســجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ليكمل مسيرة آبائه الطاهرين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)ومثل هكذا مهمة فيها جنبتان جنبة النظر للأمام وملاحظة الظروف التي تعصف بالأمة وجعــل الحلــول الناجعة لها واســتئصال الادواء التي تحتــاج إلى رفع وإزالة وجنبة النظر للخلف وملاحظة بني عمه الحســن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فإن النفوس قلما تتفق على شيء وعين الحســد والغيرة موجودة في النفس الإنسانية

وَعَــيْنُ الرِضــا عَــن كُلِّ عَيــبٍ كَليلَــةٌ

وَلَكِــنَّ عَــيَنَ السُــخطِ تُبــدي المَســاوِيا

و حالة نكران الذات تكاد تكون معدومة إلا للأوحدي من بني الإنســان فحدث للائمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بعض المضايقات والمشاكسات بل بعضها ازدادت في الجرأة والإساءة لمقامهم السامي ولكن ما حباهم الله سبحانه وتعالى من عقل

١- تفسير البرهان ج ٦ ص ٢١٦

كلي جمعي وحكمة ملكوتية عالجوا هذه المشاكل وقابلوا الإساءة بالإحسان والوصل بدل الهجران .

حملة الاسرار وخزان العلوم

عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال (كتب أبو الحسن الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رسالة وأقرأنيها قال : قال علي بن الحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) إن محمدا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) كان أمين الله في أرضه فلما قبض محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) كنا أهل البيت ورثته فنحن أمناء الله في ارضه عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الايمان وحقيقة النفاق وان شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم اخذ الله علينا وعليهم الميثاق يردون موردنا ويدخلون مدخلنا نحن النجباء وافراطنا أفراط الأنبياء ونحن أبناء الأوصياء ونحن المخصوصون في كتاب الله ونحن أولى الناس بالله ونحن أولى الناس في كتاب الله ونحن أولى الناس بدين الله ونحن الذين شرع لنا دينه ... الحديث) [١] وأيضا قد ورد في زيارة أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجته على عباده) فهم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حملة علم الله تبارك وتعالى وشريعة جدهم و مفوض إليهم ما يترشح إلى الخلق (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) [٢] وتنسب هذه الأبيات للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

إنّي لأكتم من علمي جواهرَه كي لا يرى الحقَّ ذو جهلٍ فيفتتنا

١- بصائر الدرجات ص ١٣٨

٢- سورة ص اية ٣٩

وقـد تقـدّم في هـذا أبـو حسـنٍ إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا

يـارُبَّ جوهـر علمٍ لـو أبوح به لقيـل لي أنت ممَّـنْ يعبد الوثنا

ولاستحلّ رجالٌ مسلمون دمي يـرَوْن أقبـح ما يأتونه حَسَـناً

أمـا رد هـذه الأبيات و تكذيبها أو نسـبتها للحلاج فنقـول (بل كذبوا بما لم يحيطـوا بعلمه) وذلك لأن هذه الأبيات قد نقلهـا المؤالف والمخالف في كتبهم ونسـبوها صريحاً للإمام السـجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بلا تردد ونذكـر منهم (الحنفي القندوزي [١]) وكذا نقله الشبلنجي [٢] بقوله (قال الشيخ عبدالجواد الشربيني في كتـاب درر الأصـداف في مناقـب الأشراف كان عـلي بن الحسـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عاملاً على كتمان أسرار الله تعالى في العالم كما أشار الى ذلك في قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

يـا رب جوهر علم لـو أبوح به لقيـل لي أنـت ممن يعبـد الوثنا

ولا ستحل رجال صالحون دمي يـــرون أقبـــح مـــا يأتونـــه

حسنا

(والفيـض الكاشـاني [٣]) وعقب بقوله (و إليه الإشـارة بقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فوالله ما يوجد العلم إلا ها هنا يعني أن ما هو الحقيق بأن يسمى علماً ليس إلا ما هو المخزون عندنا) (و الريشـهري [٤]) وغيرهم

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الاعداء

١- ينابيع المودة ج ٣ ص ١٦١ الباب الثامن والستون

٢- نور الابصار ص ٢٨٥

٣- الوافي ج ١ ص ١٤١

٤- موسوعة العقائد الاسلامية ج ٢ ص ٣٥٥

فالبعـض عنده عقدة من مناقـب وفضائل الائمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وهي ضريبة تحملوها بسبب جدهم علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حيث كان حسامه البتار قد كسر شوكة الكافرين في زمن النبي الهادي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) ثم قاتل الناكثين والقاسـطين والمارقـين فـأورث في قلوبهم أحقـادا بدرية وخيبريـة وحنينية ومروانية و شامية

ولنعم ما قال الشاعر

اذا ما روى الراوون ألف فضيلة لأصحـاب مولانا النبـي محمد
يقولون هـذا في الصحيح مثبت بخـط الإمامين الحديث مسـدد
ومهمـا روينـا في عـلي فضيلـة يقولـون هذا من أحاديث ملحد

وبعضهـم نقلـوا مناقبهـم لقـوم آخرين كصالـح المؤمنين وحديث سـد الأبواب وتسـليم جبرئيل

يـروي مناقب فضلهـا اعداؤها ابـداً ويسـندها الى أضدادهـا

وبعـض يقولون عن حديث الثعبان والجان والسـفرجل وغيرها هذا من كلام كذاب أشر (سيعلمون غداً من الكذاب الأشر) وسيكشف الافّاق والمتزلف عند مليك مقتدر

إذا في مجلـس ذكـروا عليـا وسـبطيه وفاطمـة الزكيـة
يقـول الحـاضرون ذروا فهـذا سـقيم مـن حديـث الرافضيـة

دخول المنهال على زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

روى ابـن جريـر في تاريخه عن المنهال بن عمرو قـال دخلت على علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقلت كيف أصبحت أصلحك الله قال ما كنت أرى أن شيخنا من أهل المصر مثلك لا يدري كيف أصحابنا فأما إذا لم تدر أو تعلم فسأخبرك أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرب إلى عدونا بشتمه أو سبه عـلى المنابـر وأصبحت قريـش تعد لها الفضل على العـرب لأن محمدا منها لا تعـد لهـا فضلا إلا به وأصبحت العرب مقـرة لها بذلك وأصبحت العرب تعد أن لهـا الفضـل على العجم لأن محمدا منهـا لا تعد لها فضلا إلا به وأصبحت العجم مقرة لها بذلك

فلئـن كانـت العرب صدقـت أن لها فضلا على العجـم وصدقت قريش أن لها فضلا على العرب لأن محمدا منها فإن لنا أهل البيت الفضل في قريش لأن محمـدا منا فأصبحوا يأخـذون بحقنا ولا يعرفون لنا حقا فهكذا أصبحنا إذا لم تعلم كيف أصبحنا. [1]

واقرأ ما يقولونه عن مؤسـس المذهـب الجعفري وباني صرحه فقد قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (قال ابن المديني سـئل يحيى بن سـعيد القطان عـن جعفـر الصادق فقال في نفسي منـه شيء ومجالد أحب إلي منه

وقـال سـعيد بن أبـي مريم قيل لأبي بكـر بن عياش مالك لم تسـمع من

١- تاريخ الطبري ج ٩ ص ٥٩٢

جعفر وقد أدركته قال سألته عما يحدث به من الأحاديث أشئ سمعته قال لا ولكنها رواية رويناها عن آبائنا وقال ابن سعد كان جعفر كثير الحديث ولا يحتج به ويستضعف سئل مرة هل سمعت هذه الأحاديث عن أبيك قال نعم وسئل مرة فقال إنما وجدتها في كتبه قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن يكون السؤالان وقعا عن أحاديث مختلفة فذكر فيما سمعه أنه سمعه وفيما لم يسمعه أنه وجده هذا يدل على تثبته) [١]

وهذا يفسر سبب عدم نقل البخاري للإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ولو رواية واحدة ولعله مال قلبه وطار لبه إلى ما بلغه عن ابن القطان وابن سعد وأبي بكر بن عياش منفرداً عن أهل الصحاح الستة فقد ذكروه في صحاحهم واحتجوا بأحاديثه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . وخبر المنهال المتقدم هو بعد واقعة الطف و يستشف منه مرارة الحرقة في صدره الشريف والغصة الكامنة في أعماقه وقد وظفها (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إعلاميا في مختلف الميادين لإثارة الرأي العام و تنديداً في تلك الطغمة التي هدت أركان الدين وجر على الأمة الإسلامية التفرق والشتات فقد نقل عنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنه كان يسير في سوق المدينة ذات يوم فطرق سمعه احد القصابين يقول لأحد غلمانه هل سقيت الكبش ماءً قبل ذبحه فرد الغلام نعم يا سيدي فالتفت الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى القصاب وقال له أنتم معاشر القصابين تسقون الكبش ماءً قبل ذبحة فأجاب نعم يا سيدي عندها توجه الإمام صوب كربلاء وقال أبي الكبش يسقى الماء قبل ذبحه

---

١ - العتب الجميل ص ٥٨

وانت ذبحت على أرض الطف عطشان . ونظيرها ما ورد [١] عن الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في كلام له مع الريان بن شبيب فقد قال له (يا ابْنَ شَبِيبٍ إِنْ كُنْتَ بَاكِياً لِشَيْ ءٍ فَابْكِ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَإِنَّهُ ذُبِحَ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ وَ قُتِلَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا مَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مشَبهُونَ) فلما نقلناه من خبر المنهال و تبيان الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لحقيقة ما جرى ونقل بعض رؤوسهم في كلامهم عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هي عينه جزئية لما لاقوه وعانوه من الناس وليس لهم ذنب إلا أنهم معادن اختارهم الله لأعلاء كلمته فإتخذوا الأساليب العديدة في توظيف الإعلام الحر غير المأجور وعدم توظيف المكر والخداع والمراوغة وقبول أنصاف الحلول بل من خلالهم حصحص الحق ونطق الصدق وكان هذا هو السلوك العام لهم وليس على الطريقة الميكافيللية وهي الغاية تبرر الوسيلة فإنّ هذا ليس ديدنهم ولا يوجد في قاموسهم .

---

١ – اقبال الاعمال ص ٤٤٤

جوهرة فريدة

عن علي بن عبيد الله بن الحسين عن أبيه عن علي بن الحسين زين العابدين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أنه قال له رجل إنكم أهل البيت مغفور لكم قال فغضب وقال (نحن أحرى ان يجري فينا ما أجرى الله ازواج النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) من أن يكون كما تقول انا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب) ثم قرأ الآيتين [1] اقول الآيتان هما ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**﴾[2] ولعل سبب غضبه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عليه ورده بهاتين الآيتين لأن هذا الشخص قد تطفل على الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) واعتقد بأن الائمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) قد ضمنت لهم الجنة سلفا ونحن الذين نعمل ونتحمل التكاليف الالهية الشاقة ولا ندري هل ندخل الجنة أو لا بينما انتم - اي الائمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) - فإن الجنة مضمونة لكم وانتم في دعة وراحة تامتين سواءً عملتم أم لا وسواءً قل عملكم أم كثر . فلذا رده بهذا الرد القارص وغضب عليه بسبب كلامه الجارح وذلك لأن موقع المسؤولية ليس هو حب المدح بل مدح الحب والتقرب الى المعشوق الحقيقي وكل ما عداه سراب زائل والشخص المتسنم لرأس الهرم في المواقع العليا إن لم يكن الشخص الأول في الميادين أي أول من يضحي وآخر من يستفيد يولد

١- مجمع البيان ج ٨ ص ١٥٣

٢- الأحزاب الآية ٣٠ و٣١

احباطـاً عنـد الطبقات المجتمعيـة التي تنظر له ولا يولـد عندهم ترددا في ما يؤسسـه مـن قواعد علميـة وأخلاقية وتربوية بل يولـد عندهم ارتدادا عنيفا وكما يسـمى الآن بقانـون تأثير الكوبرا و يلاحقه العار طول عمره بـل أطول مـن عمره وكما يقال العار اطول من العمر ولقد أجاد الشـاعر حينما قال

إن لم تكن صدراً بأول جملة أو فاعـلا للمجـد في إسـهاب

أياك أن تبقى ضميرا غائبا أو لا محـل لـه مـن الإعـراب

خمس خصال كمال الدين

(عـن أبـي ولاد الحنـاط عن الصـادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال كان علي بن الحسـين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) يقول إن المعرفة بكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه وقلة المـرء وحلمه وصبره وحسـن خلقه) إن المعرفة من المفاهيم المشـككة القابلة للتفاوت فمنها المعرفة السطحية الإجمالية ومنها المعرفة المعمقة (التفصيلية) التـي تبلـغ الى الكمـال أو ما يقارب حـد الكمال وبينهما عـرض عريض من التفاوت بقدر القابليات والاستعدادات للنفوس الامكانية والحديث المعروف(يا علي ما عرف الله الا انا وانت وما عرفني الا الله وأنت وما عرفك الا الله وانا) يدل على كمال المعرفة لهم وإلا فكل مسلم له معرفة بخالقه ورسوله وبأئمة الهـدى (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وليس المـراد من هذا الحديث الشريف ألفاظه وحروفه بلا ملاحظـة للتطبيـق واهتمام أكيد بالعمل وإلا فما ايـسر التحدث بهذه الأمور والـكلام عـن صفات الأبرار وقد ورد في الخبر عن علي بن الحسـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

أنه قال (مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فـإن العلـم إذا لم يعمل به لـم يزد صاحبه إلّا كفراً ولم يزدد من الله إلّا بُعداً ثم قال عليك بالقرآن فإن الله خلق الجنة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل ملاطها المسك وترابها الزعفران وحصاها اللؤلؤ وجعل درجاتها على قـدر آيـات القرآن فمن قرأ منها قال له إقـرأ وارق ومن دخل منهم الجنة لم يكن احد في الجنة أعلى درجة منه ما خلا النبيين والصديقين وقال له الرجال فمـا الزهد قال الزهد عشرة اجـزاء فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الرضا ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) فقال الرجال لا اله الا الله وقال علي بن الحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) وانا اقول لا الـه الا اللـه فاذا قال احدكم لا الـه الا الله فليقل الحمد لله رب العالمين فان اللـه يقـول (هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين لـه الدين الحمد لله رب العالمـين) [1] وقـد ورد فيما يخص قـول (لا اله الا الله) ففي الخبر ان(سـيد القـول لا اله الا الله وخير العبادة الاسـتغفار) وكـذا عن أبي الصِلْت الهروي قال كنت مع الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لما دخل نيسـابور وهو راكب بغلة شـهباء وقد خرج علماء نيسـابور في إسـتقباله فلما صار إلى المرتعـة تعلقوا بلجام بغلته وقالوا يا بن رسول الله حدثنا بحق آبائك الطاهرين حديثا عن آبائك صلوات الله عليهم أجمعين فأخرج رأسه من الهودج وعليه مطرف خز فقال حدثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسـين عن أبيه الحسـين بن علي سيد شباب أهل الجنة عن أبيه أمير

١- تفسير البرهان ج ٧ ص ٣٤ ح ١ و تفسير القمي ج ٢ ص ٢٣١

المؤمنين عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) قال أخبرني جبرئيل الروح الأمين عن الله عز وجل تقدست أسماؤه وجل وجهه قال إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي عبادي فاعبدوني وليعلم من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله مخلصا بها أنه قد دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي قالوا يا ابن رسول الله وما إخلاص الشهادة لله قال طاعة الله وطاعة رسوله وولاية أهل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)[1] وهذا السند لو قرأ على مصروع لأفاق .

ولنمعن النظر في الحديث عن زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فإنه وضع دستوراً لمعرفة منتهى دين المسلم وكمال المعرفة بحقانية مُعتقدة فلو عملنا بمحتوى هذا الحديث لما اصبح الان يسمون الإسلام(بالإسلام الراديكالي) ولما أصبحنا فرقا متشتتة واهواءً ممزقة كل فرقة تجر النار الى قرصتها وكأنها لعبة شد الحبل ولما طرحت اشكالية واشكالية بل والف اشكالية على الدين الإسلامي خصوصاً ونحن الان في عصر ما بعد الحداثة والحياة تعقدت والعلوم متسارعة أكثر مما يتصورها الذهن البشري و بحاجة إلى وضع إصلاحات جدية لطبقات المجتمع والطبقات المثقفة من الشباب تحتاج إلى رفدها بما يوازي تفكيرها العصري وإلا سنكون نحن وهم كمن يتفق على الزرع ويختلف على المحصول . وأول فقرات حديثه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (تركه الكلام فيما لا يعنيه) وذلك لأن الثرثار غير محبوب عند الناس بل يلاحظ بين أقرانه بأنه ذو شخصية ضعيفة مهزوزة غير منضبطة يسهل الهوان عليه بخلاف الإنسان الذي يعير لنفسه حجمها الواقعي ويرسل كلامه في

---

١ – امالي الشيخ ج ٢ ص ٢٠١

الموقع المناسب ونظيره ورد في الحديث (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) وأما (قلة المراء) فلأن اغلب المراء هو يؤدي الى الجدال العقيم وعدم البحث عن الحقيقة بل الاغلب يعتمدون الطريقة الميكافيللية في الوصول إلى رغباتهم وأهدافهم وأن الإسلام لم يمنع المراء والجدال بالكلية بل قال الحق تعالى (وجادلهم بالتي هي أحسن) ولذا كلام الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) واضح وصريح فقد قال (وقلة المراء) وهي إشارة عميقة وذات مغزى منه (عَلَيْهِ السَّلَامُ)إلى أنه مهما أمكن عدم خوض المجادلات و المهاترات لأنها تؤدي إلى المنازعات ثم قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (وحلمه وصبره) ويكفي في مدح الصبر قوله تعالى(إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقد مدح الله سبحانه وتعالى أنبياءه كإبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بقوله عز من قائل (إن إبراهيم لأواه حليم) وما اعجب حلمه سبحانه على البشر جميعاً ولم يعاجلهم بالعقوبة وذلك لترك المجال أمامهم مفتوحاً ولكي يخلقوا الفرصة المناسبة من التوبة والانابة لربهم ولاحظ هذا المثال في القرآن المجيد ففي قوله سبحانه (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى)[1] هذا حين علم الحق سبحانه إن الدعاء على جهة اللين أصلح لفرعون بينما في موضع آخر من كلامه سبحانه وتعالى قال (ولقد أرسلنا من قبلك أمم واخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون) [2] فحين كانت الشدة والغلظة اصلح في دعائهم إلى التضرع و الخشوع غير سبحانه كيفية الخطاب معهم ثم قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (وحسن خلقه) وكأن هذه

١- طه : ٤٤

٢- الانعام : ٤٢

الفقـرة الاخـيرة هي درة التـاج لهذه الرواية والجامع الانتزاعي لها فحسـن الخلق تسـتطيع أن تؤثر به في الناس وتكسـبهم ولو كان علمك قليلا بخلاف لو كان علمك كثيرا وأخلاقك شـبه معدومة فإن الناس ينفرون بل يحاربون مثـل هكذا شـخص فهم يصطدمـون اولا وبالذات بشـخصيته وأخلاقه وكم لاحظنـا في المـدارس الأكاديميـة والدراسـات المعرفية الأخرى بأن شـخصية الاسـتاذ يكسـب طلابـه ويؤثر فيهم بـل لربما يكون تأثـيره عليهم اكثر من تأثير آبائهم وأسرهم عليهم وقد ورد عن النبي الأكرم(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)(ما من شيء أثقل في الميزان من حسـن الخلق)[١] وقد ورد في الخبر عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (إنكم لن تسـعوا الناس بأموالكم فسـعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء فإني سـمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) يقول إنكم لن تسعوا الناس بأموالكـم فسـعوهم بأخلاقكم) [٢] فالمجتمع البـشري فيه أصناف عديدة من الناس وأمزجتهم مختلفة و ميولاتهم متباينة و شـخصياتهم متغايرة فمنهم الشـخصية البـاردة (البلغميـة) ومنهم الشـخصية المتفجـرة التي هي عكس الأولى ومنهم الشـخصية القلقة ومنهم الشـخصية السايكوباثيه (العدوانية) ومنهم الشخصية الشكاكة ومنهم الشخصية المتقلبة [٣] فهؤلاء كلهم وغيرهم سـيمرون علينـا في مجتمعنا فكيف يمكن التعامل معهـم وتفادي الاصطدام بسـلوكهم ومحاولة تصحيح ما أمكن تصحيحه من سـيرتهم ووعيهم .

١- عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ٣٧

٢- بحار الانوار ج ٦٧ ص ٣٨٤

٣- يراجـع النفـس انفعالاتهـا وامراضهـا وعلاجهـا ج ١ ص ٧٩ - انـواع الشـخصية وانحرافاتهـا - الدكتـور علي كـمال

هشام بن عبد الملك يحبس الفرزدق

ذكر ابن شهرآشوب في مناقبه [١] (حج هشام بن عبد الملك فلم يقدر على الاستلام من الزحام فنصب له منبر وجلس عليه وطاف به أهل الشام فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وعليه إزار ورداء من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة بين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز فجعل يطوف فاذا بلغ [الى] موضع الحجر تنحى الناس حتى يستلمه هيبة له فقال شامي من هذا يا أمير المؤمنين فقال لا اعرفه لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا لكني أعرفه فقال الشامي من هو يا أبا فراس فأنشأ قصيدة ذكر بعضها في الاغاني الحلية والحماسة والقصيدة بتمامها هذه :

يا سَائِلِي أَيْنَ حَلَّ الجُودُ وَالكَرَمُ ... عِنْدِي بَيَانٌ إذَا طُلاَّبُهُ قَدِمُوا

هَذَا الذي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَه ... وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَهِ كُلِّهِمُ ... هَذَا التَّقِي النَّقِي الطَّاهِرُ العَلَمُ

هَذَا الذي أحْمَدُ المُخْتَارُ وَالِدُهُ ... صَلى عَلَيهِ إلَهِي مَا جَرَي القَلَم

لَوْ يَعْلَمُ الرُّكْنُ مَنْ قَدْ جَاءَ يَلْثِمُهُ ... لَخَرَّ يَلْثِمُ مِنْهُ مَا وَطَن القَدَم

هَذَا عَلِيٌ رَسُولُ اللَهِ وَالِدُهُ ... أَمْسَتْ بِنُورِ هُدَاهُ تَهْتَدِي الأُمَمُ

هَذَا الَّذِي عَمُّهُ الطَّيَّارُ جَعْفَر ... وَالمَقْتُولُ حَمْزَةُ لَيْثٌ حُبُّهُ قَسَمُ

هَذَا ابْنُ سَيِّدَةِ النِّسْوَانِ فَاطِمَةٍ ... وَابْنُ الوَصِيِّ الَّذِي فِي سَيْفِهِ نِقَمُ

إذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا ... إلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الكَرَمُ

١- ج ٤ ص ٥١٢

يَــكَادُ يُمْسِــكُهُ عِرْفَــانَ راحتــه ... رُكْــنُ الحَطِيـمِ إذَا مَـا جَـاءَ يَسْـتَلِمُ

وَلَيْـسَ قُولُـكَ: مَـنْ هَـذَا؟ بِضَائِـرِهِ ... العُـرْبُ تَعْـرِفُ مَـنْ أنْكَـرْتَ وَالعَجَـمُ

يُنْمـى إلَـى ذَرْوَةِ العِـزِّ الَّتِـي قَـصُرَتْ ... عَـنْ نَيْلِهَـا عَـرَبُ الإسْـلاَمِ وَالعَجَمُ[1]

يُغْـضِي حَيَـاءً وَيُغْـضَى مِـنْ مَهَابَتِـهِ ... فَمَـا يُكَلَّـمُ إلاَّ حِـينَ يَبْتَسِـمُ

يَنْجَـابُ نُـورُ الدُّجَـي عَـنْ نُـورِ غُرَّتِهِ ... كَالشَّـمْسِ يَنْجَابُ عَـنْ إشْرَاقِهَا الظُّلَمُ

بِكَفِّـهِ خَيْـزُرَانٌ رِيحُـهُ عَبِـقٌ ... مِـنْ كَـفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِـهِ شَـمَمُ

مَـا قَـالَ: لاَ قَـطُّ، إلاَّ فِي تَشَـهُّدِهِ ... لَـوْلاَ التَّشَـهُّدُ كَانَـتْ لاَؤُهُ نَعَـمُ

مُشْـتَقَّةٌ مِـنْ رَسُـولِ اللَّـهِ نَبْعَتُـهُ ... طَابَـتْ عَنَـاصِرُهُ وَالخِيـمُ وَالشِّـيَمُ

حَمَّـالُ أثْقَـالِ أَقْـوَامٍ إذَا فُدِحُـوا ... حُلْـوُ الشَّـمَائِلِ تَحْلُـو عِنْـدَهُ نَعَـمُ

إنْ قَـالَ قَـالَ بِمَـا يَهْـوَى جَمِيعُهُـمُ ... وَإنْ تَكَلَّـمَ يَوْمـاً زَانَـهُ الكَلِـمُ

هَـذَا ابْـنُ فَاطِمَـةٍ إنْ كُنْـتَ جَاهِلَـهُ ... بِجَـدِّهِ أنبِيَـاءُ اللَّـهِ قَـدْ خُتِمُـوا

اللَّـهُ فَضَّلَـهُ قِدْمـاً وَشَرَّفَـهُ ... جَـرَى بِـذَاكَ لَـهُ فِي لَوْحِـهِ القَلَـم

مَـنْ جَـدُّهُ دَانَ فَضْـلُ الآنْبِيَـاءِ لَـهُ ... وَفَضْـلُ أُمَّتِـهِ دَانَـتْ لَهَـا الأُمَـم

عَـمَّ البَرِيَّـةَ بِالإحْسَـانِ وَانْقَشَـعَتْ ... عَنْهَـا العمايـة وَالإمْـلاَقُ وَالظُّلَـمُ

كِلْتَـا يَدَيْـهِ غِيَـاثٌ عَـمَّ نَفْعُهُمَـا ... يُسْـتَوْكَفَانِ وَلاَ يَعْرُوهُمَـا عَـدَمُ

سَـهْلُ الخَلِيقَـةِ لاَ تُخْـشَي بَـوَادِرُهُ ... يَزِينُـهُ خَصْلَتَـانِ: الحِلْـمُ وَالكَـرَمُ

لاَ يُخْلِـفُ الوَعْـدَ مَيْمُونـاً نَقِيبَتُـهُ ... رَحْـبُ الفِنَـاءِ أَرِيـبٌ حِـينَ يُعْـتَرَمُ

١-في موضع اخر وردت القصيدة وخصوصاً هذا البيت بكيفية اخرى ولعلها اقرب لعدم تكرار كلمة (العجم) التي وردت في البيت الذي قبله ايضاً

ينمى الى ذروة الدين التي قصرت ... عنها الأكف وعن اداكها القدم

مِـنْ مَعْـشَرٍ حُبُّهُـمْ دِيـنٌ وَبُغْضُهُـمُ كُفْـرٌ وَقُرْبُهُـمُ مَنْجـىً وَمُعْتَصَـم

يُسْـتَدْفَعُ السُّـوءُ وَالبَلْـوَي بِحُبِّهِـمُ وَيُسْـتَزَادُ بِـهِ الإحْسَـانُ وَالنِّعَـم

مُقَـدَّمٌ بَعْـدَ ذِكْـرِ اللَـهِ ذِكْرُهُـمْ فِي كُلِّ فَـرْضٍ وَمَخْتُـومٌ بِـهِ الكَلِـمُ

إنْ عُـدَّ أهْـلُ التُّقـى كَانُـوا أئمَّتَهُـمْ أوْ قِيـلَ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الارْضِ قِيلَ: هُمُ

لاَ يَسْـتَطِيعُ جَـوَادٌ بُعْـدَ غايتهـم وَلاَ يُدَانِيهِـمُ قَـوْمٌ وَإنْ كَرُمُـوا

هُـمُ الغُيُـوثُ إذَا مَـا أزْمَـةٌ أزَمَـتْ وَالأُسْـدُ أُسْـدُ الشَّرَي وَالبَـأْسُ مُحْتَدِمُ

يَأبـى لَهُـمْ أَنْ يَحِـلَّ الـذَّمُّ سَـاحَتَهُمْ خِيـمٌ كَرِيـمٌ وَأيْـدٍ بِالنَّـدَي هُضُـمُ

لاَ يَقْبِـضُ العُـسْرُ بَسْـطاً مِـنْ أكُفِّهِمُ سِـيَّانِ ذَلِـكَ إنْ أثْـرَوْا وَإنْ عدمـوا

أيُّ القَبَائِـلِ لَيْسَـتْ فِي رَقَابِهِـمُ لِوَلِيَّـةِ هَـذَا أوْ لَـهُ نِعَـمُ

مَـنْ يَعْـرِفِ اللَـهَ يَعْـرِفْ أوَّلِيَّـةَ ذَا فَالدِّيـنُ مِـنْ بَيْتِ هَـذَا نَالَـهُ الأُمَـمُ

بُيُوتُهُـمْ مِـنْ قُرَيْـشٍ يُسْـتَضَاءُ بِهَـا فِي النَّائِبَاتِ وَعِنْدَ الحُكْمِ إنْ حَكَمُوا

فَجَـدُّهُ مِـنْ قُرَيْـشٍ فِي أُرُومَتِهَـا مُحَمَّـدٌ وَعَـلِيّ بَعْـدَهُ عَلَـمُ

بَدرٌ له شَاهِدٌ وَالشِّعْبُ مِنْ أُحُدٍ الخَنْدَقَـانِ وَيَومُ الفَتْحِ قَدْ عَلِمُوا

وَخَيْـبَرٌ وَحُنَـيْنٌ يَشْـهَدَانِ لَـهُ وَفِي قُرَيْضَـةَ يَـوْمٌ صَيْلَـمٌ قَتَـمُ

مَوَاطِـنٌ قَـدْ عَلَـتْ فِي كُلِّ نائِبَـةٍ على الصَّحَابَةِ لَمْ أَكْتُمْ كَمَا كتموا

فغضب هشام ومنع جائزته وقال ألا قلت فينا مثلها قال هات جدا كجده وأبا كأبيه وأما كأمه حتى أقول فيكم مثلها فحبسه بعسفان بين مكة والمدينة فبلـغ ذلك علي بن الحسـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فبعث اليه بأثنـي عشر الف درهم وقال اعذرنـا يا أبا فراس فلـو كان عندنا اكثر من هذا لوصلناك به فردها وقال يا

ابن رسول لا ما قلت هذا الذي قلت إلا غضباً لله ولرسوله وما كنت لأرزأ عليه شيئا فردها عليه وقال (بحقي عليك لما قبلتها فقد رأى الله مكانك وعلم نيتك فقبلها فجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس) القصيدة بحسب سياق القصة التي ذكرت والحادثة التي وقعت هي قصيدة مرتجلة وليس يعرف عن الفرزدق انه شاعرٌ ارتجالي خصوصاً وهو القائل (أنا أشعر الناس عند اليأس وقد يأتي علي الحين وقلع ضرس عندي أهون من بيت الشعر) فكيف إستطاع أن يأتي بهذه القصيدة المزلزلة والصاعقة المجلجلة انه وبدون شك قد سدده الله سبحانه وتعالى في ذلك الموقف الرهيب خصوصاً والناس في الطواف ورهبة هذا الطاغية ثم أتت الأبيات متتابعة ولم ينقل التاريخ عنه أنه تلكأ أو تتعتع في أي بيت من قصيدته وإنما أتت مسترسلة وكأنها تنساب من شلال هادر ولذا قد يستطيع شاعر أن ينظم قصيدة وهو جالس في داره و براحة من فكره ثم ينظم بيتا ثم آخر وهكذا ولكن يكون في بعض الأحيان توقف وركود وفي حين آخر إغلاق تام لا يستطيع أن يأتي بشطر بيت كما يعرف ذلك الشعراء والمنظمون اما امام هذا المحفل الضخم والحشد الهائل والموقف المهول فكيف اتى بهذه اللوحة المعمارية والرائعة النهارية فحتما التسديد الالهي بصمته واضحة وأمارات الشوارق الربانية جلية واضحة .

عـبْرةُ السجاد وعِبْرتُه

عـن الباقـر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (قـال كان عـلي بن الحسـين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) يقـول أيما مؤمـن دمعـت عيناه لقتل الحسـين بن عـلي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومن معه حتى تسـيل عـلى خـده بوأه الله بها في الجنـة غرفاً وأيما مؤمن دمعـت عيناه دمعاً حتى تسـيل على خده لأذىً مسـنا من عدونا في الدنيا بوأه الله مبوأ صدق في الجنة وأيما مؤمن مسـه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسـيل على خده من مضاضة مـا أوذي فينـا صرف الله، عن وجهـه الأذى وآمنه يوم القيامة من سـخطه والنـار.[1] ونظـيره قول الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (من ذَكَرنـا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه دمعٌ مثل جناح بعوضة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر) [2] وكذا ما روي عنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (البكاءون خمسـة آدم ويعقوب ويوسـف وفاطمـة بنت محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وعلي بن الحسـين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية

وأمـا يعقوب فبكى على يوسـف حتـى ذهب بصره وحتى قيـل له (تالله تفتـؤا تذكر يوسـف حتى تكون حرضا أو تكـون من الهالكين)

وأما يوسـف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السـجن فقالوا إما أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل وإما أنا تبكي بالليل وتسكت بالنهار، فصالحهم على واحد منهما.

١- تفسير القمي ج ٢ ص ٢٦٥ وتفسير البرهان ج ٧ ص ١٦٣

٢- تفسير البرهان ج ٧ ص ١٦٣ وتفسير القمي ج ٢ ص ٢٦٦

وأما فاطمة بنت محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) فبكت على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) حتى تأذى بها أهل المدينة، وقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف

وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له جعلت فداك يا بن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين! قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة) [١] اقول بخصوص بكاء السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اربعين سنة وهومن باب التقريب كما هو معلوم في العلوم الرياضية لأنه قد عاش بعد واقعة الطف اربعة وثلاثين عاماً ولنقرأ هذه الرواية التي تبين لنا الاختلاف في ماهيات الاشياء وعدم اطلاعنا على حقائها فيقول الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (من شئ إلا وله كيل أو وزن إلا الدموع فإن القطرة منها تطفي بحارا من نار وإذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة فإذا فاضت حرمه الله على النار ولو أن باكيا بكى في أمة لرحموا) [٢] واقول ورد نظير هذا التعبير في الصوم فمثلا الصوم لي وانا اجزي عليه او بخصوص صلاة الليل ففي قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاءً بما كانوا يعملون) ولعل قريبٌ من ذلك ما ورد في الصدقة

١- وسائل الشيعة ج ٣ ص ٢٨٠ و ٢٨٢

٢- بحار الانوار ج ٧ ص ١٩٥

ايضـا فيحمـل مثل هـذا التعبير اما على الحصد الاضـافي او المبالغة في التعبير ولكـن الـذي يسـتحق التأمل هو قولـه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (فأن القطـرة تطفئ بحاراً مـن نـار) فأي بحار هذه التي تنطفئ من قطـرة من ماء العين وما هذا السر الـذي في هـذه القطرة التي تمتلك مـن الخواص الفيزيائيـة والكيماوية التي بمقدورهـا ان تطفـئ تلك البحار التي ورد عـن النبي محمد(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) فيهـا قولـه (أخبرنـي عن النار يـا جبرئيل حين خلقهـا الله تعـالى، فقال إنه سـبحانه أوقـد عليهـا ألف عـام فاحمرت ثم أوقـد عليها ألف عـام فابيضت ثـم أوقـد عليها ألف عام فاسـودت فهي سـوداء مظلمة لا يضـئ جمرها ولا ينطفـئ لهبهـا)[1] فـإذن ذلك العالـم يغاير هـذا العالم المـادي المألوف لدينا وذلـك العالـم مغاير في خصائصـه وخواصه عن هذا العالم فـان ذلك العالم ليـس كل احد يسـتطيع السـجود بخلافه هنـا في هذه الدنيا كمـا اخبر الحق سـبحانه وتعالى (يَوْمَ يُكْشَـفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِـعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّـجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) وفي هـذا العالـم لا تنطق الجلود ولا الجوارح ولا تشـهد الارجل بخلاف ذلك العالـم ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وكـذا قولـه تعـالى ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بـل في تفسـير الصافي في عند تفسير قوله تعالى [2] (ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا

١- بحار الانوار ج ٨ ص ٣٠٥

٢- الاية ٧٢ من سورة مريم

جِثِيًّا) قال (وعنه صلى الله عليه واله وسلم تقول النار للمؤمن يوم القيامة جزيا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي) فما هذا النور الذي أفاضه الله سبحانه وتعالى على المؤمنين فأبيضت وجوههم واسودت وجوه قوم آخرين ولا ريب انه سيحصل هناك إشراق من نوره سبحانه يضيء الموجودات ويعم شعاعه على المخلوقات التي لها القابلية والاستعداد لتلقي هذا النور كما قال الحق تعالى شأنه ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وقبل ختام هذا البحث نريد أن نبين أن واقعة الطف قد اخذت مأخذها من أمامنا زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فإنها شغلت وجدانه واضعفت اركانه وجعل من الدعاء والدمعة الساكبة عزاءاً وسلوى له الى الله تبارك وتعالى وكأنه في كثرة بكاءه ودعاءه يشابه جده أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كما سنذكر في هاتين الروايتين فقد روى صاحب الوسائل [١] (ان زين العابدين بكى على أبيه أربعين سنة [٢] صائماً نهاره قائماً ليله فإذا احضر الإفطار جاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول كل يا مولاي فيقول قتل ابن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) جائعا قتل ابن رسول الله عطشاناً فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه من دموعه ثم يمزج شرابه بدموعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل) وأما الرواية التي عن جده أمير

١- ج ٣ ص ٢٨٢

٢- نوهنا المراد من اربعين سنة سلفاً

المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فهي رواية ضرار بن ضمرة عند دخوله على معاوية فقد روى الشيخ الكراجكي عطر الله مرقده [١] قال (أخبرنا أبو المرجا محمد بن علي بن أبي طالب قال اخبرني أبو المفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن المطلب الشيباني الكوفي قال حدثني منصور ابن الحسن بن أبي جلة بأنطاكية قال حدثنا محمد بن زكريا بن دينار قال حدثنا العباس بن بكار عن عبد الواحد بن أبي عمرو الأسدي عن محمد بن السائب عن أبي صالح مولى أم هاني[٢] قال (دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية بن أبي سفيان يوماً فقال له يا ضرار صف لي عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال أو تعفيني من ذلك قال لا أعفيك قال اما إذ لا بد فإنه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة عن لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما جشب كان والله معنا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سألناه وكان مع دنوه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ النظيم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله اشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه

١- في كنز فوائده ج ٢ ص ١٦٠

٢- أم هانئ: قال في البحار ج ٢١ ص ١٣١ (أن أم هانئ بنت ابي طالب قد آوت ناساً من بني مخزوم منهم الحارث بن هشام وقيس بن السائب فقصد نحو دارها مقنعاً بالحديد فنادى أخرجوا من آويتم فجعلوا يذررقون كما يذرق الحبارى خوفاً منه فخرجت إليه ام هانئ وهي لا تعرفه فقالت يا عبد الله انا ام هانئ بنت عم رسول واخت علي بن ابي طالب انصرف عن داري فقال علي أخرجوهم فقالت والله لأشكونك الى رسول الله فنزع المغفر عن رأسه فعرفته فجاءت تشتد التزمت فقالت فديتك ﷺ. الخ)

متماثلا في محرابه قابضا بلحيته يتململ تململ السليم[١] ويبكي بكاء الحزين وكأنـي أسـمعه وهو يقـول يا دنيا يا دنيا يـا أبـي تعرضت أم إلي تشـوفت[٢] هيهات هيهات غري غيري لا حان حينك قد ابنتك ثلاثا عمرك قصير و خيرك حقير وخطرك كبير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فوكفت دموع معاوية على لحيته وجعل يستقبلها بكمه واختنق القوم جميعا بالبكاء وقـال هكذا كان أبو الحسـن يرحمـه الله فكيف وجدك عليـه يا ضرار فقال وجد أم واحد ذبح واحدها في حجرها فهي لا يرقى دمعها ولا يسكن حزنها فقـال معاويـة لكن هؤلاء لو فقدوني لما قالوا ولا جدوا بي شـيئا من هذا ثم التفـت إلى أصحابـه فقال بالله لو اجتمعتـم بأسركم هل كنتم تؤدون عني ما أداه هـذا الغـلام عن صاحبـه فيقال أنه قال عمرو بن العـاص الصحابة على قدر الصاحب)

١- السليم : وهو الملسوع من حية او عقرب اي اللديغ يقال سلمته الحيه اي لدغته ولعله سمي بذلك تفـألاً بالسلامة نظير المفازة من الفوز تطلق على الصحراء والفيافي .

٢- في البحار ج ٤٠ ص ٣٤٥ (تشومت) وفي شرح النهج لابن ابي الحديد ج ١٨ ص ٢٢٤ (تشوفت وقال ويروى تشوقت بالقاف)

شبيه جده علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

روى محمد بن قيس عن الباقر أنه قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (والله إن كان علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ليأكل أكل العبد ويجلس جلسة العبد وإنه كان ليشتري القميصين فيخير غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر فإذا جاز أصابعه قطعه وإذا جاز كعبه حذفه ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة ولا أقطع قطيعا ولا أورث بيضاء ولا حمراء وأنه ليطعم الناس من خبز البر واللحم وينصرف إلى منزلة ويأكل خبز الشعير،والزيت والخل وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضا إلا أخذ بأشدهما على بدنه ولقد أعتق ألف مملوك من كد يده وتربت فيه يداه وعرق فيه وجهه وما أطاق عمله أحد من الناس وإن كان ليصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وأنه كان أقرب الناس شبهاً به علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)وما أطاق عمله أحد من الناس بعده) [1]

التأثر والاقتداء بالآباء والأجداد والسلف الصالح سمة من سمات الإنسان الاجتماعي حيث يحاول عند بناء شخصيته وتكوين ذاته واتخاذه لايدلوجية فكرية معينة يصوغها لفلسفة حياته من أن يجمع النقاط الايجابية التي يلاحظها في مجتمعه وخصوصا اهله ومتعلقيه وهل يوجد مدرسة فكرية هائلة تزخر بالعطاء وينعم إشعاعها ببارق الضياء بعد خاتم الأنبياء كصاحب الحوض وحامل اللواء فهو صاحب الدعاء وتالي القرآن وحليف السجدة الطويلة ونرى حفيده زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد انغرست هذه الصفات

١- مجمع البيان ج ٩ ص ١٤٧ وتفسير البرهان ج ٧ ص ١٩٥ ح ١٠

السامية في ينابيع ذاته وسنأخذ قبساً من شخصيته بخصوص قراءته لكتاب المجيد وصوته الشجي الدافئ فقد ذكر [١] في قراءته القرآن واجتماع السقاءين بباب داره (عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال كان علي بن الحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أحسن الناس صوتا بالقرآن و كان السقاؤون يمرون فيقفون ببابه يسمعون قراءته) وعن علي بن محمد النوفلي عن أبي الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : ذكرت الصوت عنده فقال إن علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كان يقرأ القرآن فربما مر به المار فصعق من حسن صوته وإن الإمام لو أظهر من ذلك شيئا لما احتمله الناس من حسنه قلت ولم يكن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن فقال إن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقون) [٢]

أقول إن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) كان يمثل سهولة الشريعة وسماحتها ويسرها فلذا لم يكن يطيل على الناس بصلاته ولا يثقل كاهلهم ولذا في بعض الأخبار أنه خفف صلاته فسألوا عن ذلك وتعجبوا فأجابهم ألم تسمعوا ببكاء الطفل فهو (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) يراعي حال الضعفاء والمأمومين كبار السن والأطفال في حياته وجوانبه العبادية وقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (فربما مر به المار فصعق من حسن صوته) وقد ورد في القرآن الكريم (وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) [٣] وكذا أيضا (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله ثم نفخ

١- الحدائق ج ١٨ ص ١٠٩

٢- يراجع الحدائق ج ١٨ ص ١١٠

٣- الأعراف ١٤٣

فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) [١] فالصعق حالة من الذهول التام والإغماء التي تصاحب الشخص بسبب أمر حاصل له لا تستطيع جوارحه ونفسه من تحمل صدمته ومن المهم القول أنَّ الاقتباس من شخصية الآباء والتأثر بهم ممدوح جداً عند العرب فقد ورد في الرجز

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

وينسب لرؤبة بن العجاج يقال مدح فيه عدي بن حاتم الطائي ولعله عدي آخر لأن وفاة رؤبة سنة ١٤٥هـ ووفاة عدي سنة ٦٨ هـ وبين الوفاتين سبعة وسبعون سنة أو لعله أراد حاتم النوعي لا الشخصي ومعنى فما ظلم اي لم يظلم أمه لأنها جاءت به على مثال أبيه الذي يرجع إليه لأنه لو اتت به على غير أخلاقه لنسبوه إلى غير أبيه فكان ذلك ظلم لأمه وهذا غير مستقيم في علم النفس ومعرفة السلوك الإنساني لأن هذه الصفات مكتسبة وليست وراثية دائمية فليس بالضرورة أن يكون ابن الكريم كريم ولا ابن البخيل بخيل ولا ابن الشجاع شجاع ولا ابن الجبان جبان ولا يجمعها ضابطة كلية ولا قاعدة سيالة مطردة بل هي موهبة من الله تعالى مجده ومجاهدة من الإنسان نفسه وتأثر بشخصية معاصرة فعالة تحمله على هذه السجايا الحسنة كمن يتأثر بمعلم أو أستاذ في موقع درسه يغرس بداخله بذور الخير والعطاء وفضائل الصفات النبيلة فالإنسان الذي تنجذب إليه القلوب ويشعر معه بتناغم فكري يستطيع بما له من مهارة وتكتيكات إبداعية ان يحل ما يعرض على الشخص اللي المتأثر به من مشاكل بل يمنع حدوثها قبل أن تقع

١- الزمر: ٦٨

وتعرض عليه ولذلك تنسب هذه المقولة إلى البرت اينشتاين (المفكرون هم من يحلون المشـاكل أما العباقرة فيمنعون حدوثها)

البعد النفسي لما بعد واقعة الطف

مـن زاويـة التحليـل النفـسي فـإن من يمـر بمصيبة تبـدأ قـواه البدنية والنفسية بالتلاشي شيئا فشيئا وخصوصا عندما تكون المصيبة هي قتل الاب والأعمام والإخوة والأرحام دفعة واحدة وترويع النسـاء الأطفال لا ريب أن صبر الإنسان يخور وتجلده يذوب إلا من امده الله بشعاع من التأييد وقذف في قلبه مزيد من التسـديد وهنا يفسر لنا قانون المتناقضات بعض من سـيرة الأمام السجاد(عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو في تلك الظروف العصيبة وما مروا به وما اخفاه التاريخ لنا اكثر من ما سمعنا به وقرأناه -لان اكثر ما في التاريخ قد حكمته منطـق القـوة وليس قوة المنطق - أقول وهو في تلـك الحال التي يفترض أن من يمر بمعشـارها يترنح من تلك الصدمـات في ميدان المنازلة ويتهاوى عند المصاولـة نراه قد خرج بهدوء منقطـع النظير واتزان وحكمة اذهلت الحاكم والغفـير إذ لم يحدثنا التاريخ أنـه انهار أمام من وتروا أهله وجزروا بعضه وكله بل برز كالجبل الأشم وامتص موجة الغضب الهادرة التي قررت أن لا تبقى لأهل هذا البيت من باقية وقلبت الطاولة على أعداء أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الذين كانوا يعيشون حالة اما كل شيء او لا شيء اما ابادة هذا النسل الطاهر ومحـو ذكرهـم وإلا فهم لم يحققوا أي هدف من اهدافهم لو لم يحصلوا على هـذا المغنم الـذي ارادوه حيث بـرع الامام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رغم هـذا الوجوم الذي

كانوا يعيشونه في تلك الحقبة الزمنية ومن الجدير بالذكر انه في العواصف العاتية والرياح الشديدة الآتية لا ينفع معها الوقوف بوجهها ومجابهتها وجها لوجه بل يحتاج الامر الى مناورة في الفكر وطراز خاص من النظر ويمتلك مظلة واسعة من العمق المجتمعي فنحن نرى الاشجار الكبيرة التي تقف بوجه العواصف المدمرة تنكسر وتقتلع من الارض بخلاف سنابل السهول التي تتمايل مع الرياح يمنة ويسرة تستطيع النجاة والبقاء صامدة فليس بالضرورة ان تكون القوة والشدة هي العلاج الناجع بل العلاج الناجح هو الذي مطعم بدواء الحكمة الذي يحتاجه الناس في ذلك الظرف ولعيش معهم بوئام لأنه لو لا الوئام لهلك الانام وسنذكر شذرات مما مر عليه بعد الواقعة الاليمة ونتناول البعد النفسي لشخصيته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وكيف خرج (عَلَيْهِ السَّلَامُ) شامخاً من هذه الدوامة العصيبة التي عصفت به فقد ذكر الطبري [1] (حدثني محمد بن عمارة قال: ثنا إسماعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المري عن السُّدَّي عن أبي الديلم قال لما جيء بعلي بن الحسين (صلوات الله عليهما) أسيرا فأقيم على دَرج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قربى الفتنة فقال له علي بن الحسين (صلوات الله عليهما) أقرأت القرآن قال نعم قال أقرأت آل حم قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ما قرأت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قال وإنكم لأنتم هم قال نعم)

ومن طرقنا لما دخل علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على يزيد نظر اليه ثم قال

١- الطبري في تفسيره ج ٢٥ ص ٣٢

لـه يـا علي(ما أصابكم من مصيبة فبما كسـبت أيديكم) قال علي بن الحسـين (عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ) كلا مـا هـذه فينا نزلـت إنما نزلت فينا (ما أصـاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسـكم الا في كتـاب مـن قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسـير لكيـلا تأسـوا على ما فاتكـم ولا تفرحوا بما آتاكم) فنحـن الذين لا نأسى على ما فاتنا من امر الدنيا ولا نفرح بما أُتينا [1] فالإنسـان في مثل هذه الظروف التي يمر بها بحاجة الى من يضمد جراحاته ويسكن روعه ويبعث الطمأنينة لقلبه الكليم نرى هؤلاء العلوج يكيلون سنان لسانهم طعنا في درة التاج لبني هاشم الامام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ولكن هيهات للشخص الذي احاط خُبرا بالمـدى المنظور وغير المنظور لقومه ومجتمعـه ان لا يتمكن من اذابة الجليد الـذي لبّـد أوهامهم واعمى ابصار افئدتهم نعم حاولـوا تجريحه ونقده وقد اجـاد الكاتـب الامريكي ديل كارينجي في كتابـه [2] (بقدر قيمتك يكون النقد الموجـه اليك) فهذه القمة والقامة الشـامخة قد احتـوت مثل هؤلاء وتعاملت معهـم بمهنيـة عالية من دماثة الخلق ودفع غائلهـم في ان يجدوا مبرراً لقتله صلـوات الله وسـلامه عليه وقـد حقن دمه الشريف بكلامـه المنيف وقد قال زهير ابن ابي سُلمى

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

١- تفسير البرهان ج ٧ ص ٤٩٠ ح ٤ والكافي ج ٢ ص ٣٢٦ ح ٣

٢- دع القلق وابدأ الحياة

وقال ابن السكيت الكوفي رحمه الله تعالى

يمـوت الفتـى مـن عثـرة بلسـانه وليس يمـوت المرء من عثـرة الرجل

فعثرتـه بالقـول تذهـب رأسـه وعثرتـه بالرجـل تـبرا عـلى مهـل

ونختم هذا البحث بهذا البيت الذي ينسـبه بعضهم لزهير بن ابي سُـلمى ولكنه من المظنون قويا للمتنبي وهو

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا وَمَا ظَالِمٌ إِلَّا سَـيُبْلَى بِـأَظْـلَمِ

الامام القائم (عجل الله فرجه الشريف) على لسان جده سيد الساجدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

عن إسـحاق بن عبد الله[1] عن علي بن الحسـين(عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) في قول الله عز وجل (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) قال قوله تعالى (إنـه لحق) هو قيام القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وفيـه نزلت (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليسـتخلفنهم في الأرض كما اسـتخلف الذين من قبلهم و ليمكنـن لهم دينهـم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعـد خوفهم أمنا) اقول هـذا من باب قاعدة الجري وأحد تطبيقات الآية المباركة واسـقاطها على اهم أفرادها . وان الاشـارة من احدهم للأخر (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بالإشـارة والايماء احيانا والتصريـح والتلوِيح احيانا اخرى ومن السـابق للاحـق هي قضية تكررت منهـم لإلفـات نظر الامة وايقـاظ ضميرها وانارة جذوة شـعاع العقل حتى لا يخمـد وينطفئ وكما ان السـجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اشـار لحفيـده صاحب العصر

١- تأويل الايات ج ٢ ص ٦١٥ ح ٤

والزمـان (عجل الله فرجه الشريف) فكذلك امير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اشـار لإمامة سـيد السـاجدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فعن سُـليم بن قيس الشامي انه سمع عليا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقـول (اني وأوصيائي من ولدي ائمـة مهتدون كلنا محدّثون قلت يـا أمير المؤمنين من هم قال الحسـن و الحسـين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ثـم ابني علي بن الحسـين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) قـال وعلي يومئـذ رضيع ثم ثمانية من بعـده واحدا بعد واحـد وهم الذين أقسـم الله بهم فقـال (ووالد وما ولد) اما الوالد فرسـول اللـه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) ومـا ولـد يعنى هـؤلاء الأوصياء قلت يا أمـير المؤمنين تجمـع امامـان قال لا الا واحد همـا مصمت لا ينطق حتى يمـضى الأول) [1] ولعله لأجل إستقراه عجل الله فرجه الشريف في العراق وخصوصاً في الكوفة ولأجل تمهيد قواعده الشـعبية عبر الامام السـجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن اهل العراق واهل الكوفة بأنهم الشـعار دون الدثار - والشـعار هي الملابس التي تلامس بشرة الانسـان اما الدثار فهي التي تكون فوق الشـعار - فقد روى حنان بن سدير عن ابيه قال : دخلت أنا وأبي وجدي وعمي حماما بالمدينة و إذا رجل في بيـت المسـلخ فقـال لنا ممن القـوم فقلنا من أهل العراق فقـال أي العراق فقلنـا كوفيـون فقال مرحبا بكـم يا أهل الكوفة أنتم الشـعار دون الدثار ثم قـال ما يمنعكم من الازر فإن رسـول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) قال عورة المؤمن على المؤمن حرام قال فبعث إلى أبي كرباسـة فشـقها بأربعة ثم أخذ كل واحد منا واحـدا ثـم دخلنا فيها فلمـا كنا في البيت الحار صمد لجـدي فقال يا كهل ما يمنعك من الخضاب فقال له جدي أدركت من هو خير مني ومنك لا يختضب

---

١ - الاختصاص ص ٣٢٩

ومـن ذلـك الذي هو خير مني فقال:أدركت عـلي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو لا يختضـب قال فنكس رأسـه وتصاب عرقا وقـال صدقت وبررت ثم قال يا كهل إن تختضب فإن رسول الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)قد خضب وهو خير من علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وإن تـترك فلـك بعلي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اسـوة قال فلما خرجنـا من الحمام سـألنا عن الرجل في المسـلخ فإذا هو علي بن الحسـين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ومعه ابنه محمـد بـن علي (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) [1] فهو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في موقـف واحد قد رحب بهؤلاء النفر واشاد بهم وبوطنهم ثم بين بعض الأحكام الشرعية التكليفية فهم عدل القـران ودرر البيـان وبهم يحصل مـن الزيغ الأمان كما ترشـد اليه الرواية المباركـة فعـن أبي حمزة الثمالي قال: دخل قاضٍ مـن قضاة أهل الكوفة على عـلي بـن الحسـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال له جعلنـي الله فداك أخبرني عـن قول الله عـزو جل (وجعلنا بينهم وبين القرى التـي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السـير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) قال له ما يقول الناس فيها قبلكم قـال يقولـون أنها مكة فقال وهل رأيت السرِق في موضع أكثر منه بمكة قال فمـا هـو قال إنما عنى الرجال قال وأين ذلك في كتاب الله فقال أو ما تسـمع إلى قوله عز وجل (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسـله) وقال (وتلك القرى أهلكناهم) وقال (واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) أفيسـأل القرية أو الرجال أو العير

قال وتلا عليه آيات في هذا المعنى قال جعلت فداك فمن هم قال نحن هم

فقال:أو ما تسمع إلى قوله (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) قال آمنين من الزيغ[2]

---

١ – الفقيه ج ١ ص ١٣٧ باب غسل يوم الجمعة ودخول الحمام ح ٢٨

٢–الاحتجاج ج٢ص ٣٦٠.

موائمة سلمان لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)

روي عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أن سلمان الفارسي قال: دخلت على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) فلما نظر إلي قال(يا سلمان إن الله عز وجل لم يبعث نبياً ولا رسولا إلا جعل له اثنا عشر نقيبا)قال قلت يا رسول الله لقد عرفت هذا من أهل الكتابين قال يا سلمان فهل عرفت من نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم الله تعالى للإمامة من بعدي) فقلت الله ورسوله أعلم فقال(يا سلمان خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعته فخلق من نوري علياً فدعاه فأطاعه وخلق من نوري ونور علي فاطمة فدعاها فأطاعته وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعا فسمانا الله عز وجل بخمسة أسماء من أسمائه فالله المحمود وأنا محمد والله العلي وهذا علي والله فاطر وهذه فاطمة والله ذو الإحسان وهذه الحسن والله المحسن وهذا الحسين و خلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله عز وجل سماءً مبنية وأرضا مدحية أو هواءً أو ماء أو ملكا أو بشرا وكنا بعلمه أنواراً نسبحه ونسمع له ونطيع) قال فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما لمن عرف هؤلاء حق معرفتهم فقال(يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم واقتدى بهم فوالى وليهم وتبرأ من عدوهم كان والله منا يرد حيث نرد ويكون حيث نكون) قلت: يا رسول الله فهل يكون إيمان بغير معرفتهم بأسمائهم وأنسابهم فقال(لا يا سلمان قلت يا رسول الله فأنى لي بهم فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) (قد عرفت إلى الحسين) قلت نعم قال رسول الله

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) (ثم سيد العابدين علي بن الحسين ثم ابنه محمد بن علي باقر علم الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ثم جعفر بن محمد لسان الله الصادق ثم موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبراً في الله ثم علي بن موسى الرضا الراضي بسر الله تعالى ثم محمد بن علي المختار من خلق الله ثم علي ابن محمد الهادي إلى الله ثم الحسن بن علي الصامت الأمين على سر الله ثم [م ح م د] سماه بابن الحسن الناطق القائم بحق الله تعالى) قال سلمان فبكيت ثم قلت: يا رسول الله إني مؤجل إلى عهدهم قال(يا سلمان اقرأ (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا)

قال رحمه الله : فاشتد بكائي وشوقي وقلت: يا رسول الله أبعهد منك فقال(إي والذي بعثني وأرسلني لبعهد مني وبعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمة من ولد الحسين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وبك ومن هو منا ومظلوم فينا وكل من محض الإيمان أي والله يا سلمان ثم ليحضرن إبليس وجنوده وكل من محض الكفر محضا حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار والثارات ولا يظلم ربك أحدا ونحن تأويل هذه الآية (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)

قال سلمان: فقمت من بين يدي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وما يبالي

سـلمان كيف لقي المـوت أو لقيه) . [١]

في هـذه المحـاورة الطويلـة التي جرت بين النبـي الأكرم(صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ) وبـين سـلمان رحمه الله كشـف النبـي محمد(صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ) مـن الأسرار الغيبية والمعارف الخفية التي لا يتحملها كل أحد حيث أبان له شيئا عن عالم الاظلـة الذي كانوا صلوات الله وسـلامه عليهم أجمعـين فيه وافصح له نتفاً من عالم الاشـباح الذي كانوا يرتعون فيه بالتسـبيح والحمد للحق تقدسـت اسـماؤه وكشـف لـه النقاب عن نكت مـن عالم الأنوار الـذي كانوا يضيئون اصقاعه بالثناء والتمجيد لبارئهم سبحانه وتعالى وهذه الأسماء الشريفة هي التـي علمها لآدم (عَلَيْهِٱلسَّلَامُ) في قوله تعالى(وعلم آدم الأسـماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسـماء هـؤلاء إن كنتم صادقين) فإن الضمير(ثم عرضهـم) للعقلاء ولـم يقل(ثم عرضها) لو كانت الأسـماء أسـماء جمادات وعجماوات ويؤكده ما ورد في الأخبار الشريفة منها ما ورد في تفسـير فرات بن إبراهيم: عن جعفر بن محمد الفزاري بإسناده عن قبيصة بن يزيد الجعفي قال: دخلت على الصادق (عَلَيْهِٱلسَّلَامُ) وعنده ابن ظبيان والقاسم الصيرفي فسلمت وجلسـت وقلت يا ابن رسـول الله قد أتيتك مسـتفيدا قال : سل وأوجز قلت أين كنتم قبل أن يخلق الله سـماءً مبنية وأرضا مدحية أو ظلمة أو نورا قال يا قبيصة لم سـألتنا عن هذا الحديث في مثل هذا الوقت أما علمت أن حبنا قد اكتتم وبغضنا قد فشا وإن لنا أعداء من الجن يخرجون حديثنا الى اعدائنا من الانس وان الحيطان لها آذان كآذان الناس قال : قلت قد سـألت عن ذلك قال

١- يراجع مصباح الشريعة ص ٥٩ الباب الثامن والعشرون في معرفة الائمة عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ

يا قبيصة : كنا أشباح نور حول العرش نسبح الله قبل أن يخلق آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بخمسة عشر ألف عام) وهذه الطاعة التي كانوا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لا نفهم منها الا المفاهيم التي تنسبق الى اذهاننا من هذه الصيغ البيانية من الكلام والا فحقيقة ذلك العالم وتلك الاشباح والاظلة وعبادتهم وطاعتهم لله سبحانه لاندرك كنهها ولا نسبر غورها حيث ورد في الرواية التي نقلها الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بين النبي الاكرم محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وسلمان رحمه الله فيها (خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعته) وعن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (ودعاه فاطاعه) وهكذا عن تفاحة الجنة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) (ودعاها فأطاعته) وقد ورد في زيارتها (عَلَيْهَا السَّلَامُ) (السلام عليك يا ممتحنة امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك وكنت لما امتحنك صابرة) وهذه الولاية التي جعلها الله لهم وهم في في تلك العوالم قد ذكرها الحق سبحانه لنبيه الخاتم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) مشافهة قبل عرضها على الناس في آية إكمال الدين وإتمام النعمة واية التبليغ وذلك في معراجه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وكأنه لتثبيت قلبه الشريف وتسليته عما يصيبه ويصيب أبن عمه من كلمات التجريح التي تصدر من بعض المسلمين وجمهور المنافقين ففيتفسير البرهان [1] (عن عبد الصمد بن بشير قال سمعت أبا عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول أتى جبرائيل رسول الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وهو بالأبطح بالبراق إلى قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثم مضى به جبرائيل حتى انتهى به إلى موضع فوضع إصبعه على منكبه ثم دفعه فقال له امض يا محمد فقال له يا جبرائيل تدعني في هذا الموضع قال فقال له يا محمد

١- تفسير البرهان ج ١ ص ٥٩ ح ٩

ليس لي أن اجوز هذا المقام ولقد وطئت موضعا ما وطئه احد قبلك ولا يطؤه أحـد بعدك ثم يختم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الخـبر بقوله قال : قال الله يا محمد من لأمتك من بعدك فقال (الله اعلم) قال : علي أمير المؤمنين قال : أبو عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والله ما كانت ولايته الا من الله ومشافهة لمحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) أقول ليقف القلم هنا مرتجفاً واللسـان وجفاً فما الذي تدبجه براعة الشـخص وما الذي يسطره القلم عن هذه المشافهة التي لم يخبر الحق سبحانه عن تفاصيلها بل أجملهـا بقولـه تعالى (فأوحى إلى عبده ما أوحى) فمـا الذي أوحاه الله لنبيه ومـا الـذي حصـل هناك كل ذلك لا نعلمه نحن ولكن الـذي نعلمه هو أن علي بن أبي طالب قد حسـم اللقب بجدارة وسـبق الأولين والآخرين بالصدارة .

الصديقون والشهداء

عـن أبـي خضـيرة عمن سـمع علي بن الحسـين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) يقـول وذكر الشهداء قال فقال بعضنا في المبطون وقال بعضنا في الذي يأكله السبع وقال بعضنا غير ذلك مما يذكر في الشـهادة فقال انسـان: ما كنت أدري ان الشهيد الا مـن قتـل في سـبيل الله فقال علي بن الحسـين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)(ان الشـهداء اذاً لقليـل) ثم قـرأ هذه الآية (الذين آمنوا بالله ورسـوله أولئـك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) ثم قال هذه لنا ولشيعتنا) [1] وعن منهال القصاب قال: قلت لأبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (ادع الله لي بالشهادة فقال ان المؤمن لشهيد حيث مات أو ما سـمعت قول الله في كتابه (والذين آمنوا بالله ورسـله أولئك هم

---

١ - التهذيب ج ٦ ص ١٦٧ ح ٣١٨

الصديقـون والشـهداء عند ربهم) [١] وعن زيد بن ارقم عن الحسـين بن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (ما من شـيعتنا إلّا صدّيق شـهيد) -قال : قلت فداك جعلت أنّى يكون ذلك وعامتهم يموتون على فرشـهم فقال أما تتلو كتاب الله في الحديد ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال فقلت كأني لم اقرأ هذه الآية من كتاب الله عز وجل قط قال (لو كان الامر كما تقولون كان الشهداء قليلا) [٢] وعن حديث الحارث بن المغيرة عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال كنا عند أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (قال العارف منكم بهـذا الامر المنتظر له المحتسـب فيه الخير كم جاهـد والله مع قائم آل محمد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بسيفه) ثم قال (بل والله كم جاهد مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) بسيفه) ثم قال الثالثة (بل والله كمن استشهد مع رسول الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) في فسطاطه وفيكم آية في كتاب الله) قلت وأية آية جعلت فداك قال قول الله عـز وجـل (والذين آمنـوا بالله ورسـله أولئك هم الصديقون والشـهداء عند ربهم) ثم قال(صرتم والله صادقين شـهداء عند ربكم) [٣]

قـال في اللسـان مادة صـدق (صدّقه قبـل قوله) وقال أيضـا (والصِّدِّيق مثـال الفسَّـيِّق : الدائـم التصديـق ويكون الذي يُصـدِّق قولـه بالعمل ذكره الجوهري ولقد اسـاء بالفسِّـيِّق في هذا المكان) وقال أيضا (والصِّدِّيق المبالغ في الصـدق) وعندهـم (الصَّـدق : الكامـل من كل شيء) (والصِّـدق : الصلابة والشـدة) إذن فهـذه المادة مشـوبة بالكمـال ومطعمة بالقوة والشـدة ولهذا

١- المحاسن ص ١٦٤ ح ١١٧

٢- تفسير البرهان ج ٧ ص ٤٤ ح ٢

٣- مجمع البيان ج ٩ ص ٣٩٦

نقـول تصادق الصديقان أي تبادلا قوة المودة والاخاء وكمال الإخلاص وقد ورد عـن أمـير المؤمنـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (إنما سـمي الصديق صديقـا لأنه يصدقك في نفسـك ومعايبـك فمن فعل ذلك فاسـتنم إليه فإنه الصديـق)[1] وكذا قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في نفس المصدر (صديقك من نهاك وعدوك من اغراك) اي صديقك مـن نصحـك واعترض على أفعالك لو كانت خاطئـة وليس يصدّق كل أفعالك ويشـير برأسـه دائماً بإشـارة الرضى حتى لو كانت تصرفات نابية ومبتذلة ومغلوطـة إذن فمفـردة (الصِّدِّيق) هي مرتبة تطلق على النفوس المتسـامية و المتفانيـة في ذات الحـق تعالى كالأنبياء والاوصيـاء كعلي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وغيرهم كالزهـراء ومريم (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)

وحزقيل مؤمن ال فرعون وحبيب النجار مؤمن ال ياسين وليس إطلاقها جزافـاً ولكن ببركـة الروايات التي تقدمت وسـع الائمة (عَلَيْهِمِ السَّلَامُ) أفراد هذا المفهوم واسـقطوا هذا العنوان على معنونات بالعناية بحيث شـملت شيعتهم وأيضا ببركة قاعدة الجري تم التوسـع في مفردة (الصِّدِّيق) لتشـمل شيعتهم ومناصرتهم وذلك بفضل منهم ولطف يعجز اللسـان عن الرد هذا الإحسـان منهم وبعد أن تكلمنا عن هذه الكلمة لغة سـنذكر قسـم من الآيات الكريمات التـي ذكرت فيها هذه المفردة فقد ذكـر الحق تعالى مجده (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) [2] و (يوسف أيها الصديق افتنا في سـبع بقرات سـمان) [3] (والذين آمنوا بالله ورسـوله

١- ميزان الحكمة - محمد الريشهري ج ٢ ص ١٥٨٩

٢- النساء : ٦٩

٣- يوسف : ٤٦

اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) [١] و ((وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) [٢] (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا) [٣] (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) [٤] (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) [٥] وإسماعيل هذا ليس هو ابن إبراهيم(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) بل هو اسماعيل صادق الوعد فإنه قد وعد رجلا فانتظره حولاً وهذا النبي الذي هكذا يتمتع به مثل هذه الخصال جزاه قومه بجزاء سنّمار فإنهم أخذوه فسلخوا فروة راسه ووجهه فاتاه ملك فقال إن الله وجل جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت فقال لي اسوة بما يصنع بالحسين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)

أقول : يالله ما هذه الحكمة التي يمتاز بها هؤلاء القمم والقامات ومن الآيات ايضا منها مادة (صدق) قوله تعالى (وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا)[٦] و (والذي جاء بالصدق وصدق به)[٧] وأما بخصوص الأخبار فسنذكر بعض الأخبار من المدرسة السنية ثم نحاول أن نعالج حالة التحسس التي تحصل عندما

١- الحديد : ١٩
٢- المائدة : ٧٥
٣- مريم : ٦٥
٤- مريم : ٤١
٥- مريم : ٥٣
٦- مريم ٥٠
٧- الزمر ٣٣

يـدور الكلام عن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) و أفضليته فنقول (أخرج البخاري في تاريخه عن ابن عباس قال : قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الصديقون ثلاثة حزقيل مؤمـن آل فرعون وحبيب النجار صاحب آل ياسـين وعلي بـن أبي طالب)[1] ويقولـون عـن هذا الحديث هـو مرفوض عند أهل السـنة والجماعة لأنه من الأحاديث المدسوسـة وأن الصديقين لا ينحصرون بهؤلاء الثلاثة ولعمري ألا يعلـم النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذلـك ثم أليس القرآن نزل على قلبه الشريف وفيـه إن إبراهيـم وادريـس ويوسـف عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانوا صديقين كمـا ذكرنا في الآيات السـالفة وكذلك مريم وإسـماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ صادق الوعد فكيف يحصر هذا اللقب بهؤلاء الثلاثة

وجوابنا ان هذه الرواية رميت بالضعف بسبب دلالتها ولم ترم بالضعف من ناحية سـندها لأنه ليس عندهم مغمـز فيه بينما في الرواية التالية رموها بالضعف بسـبب سـندها وسـتأتي مناقشـتها أيضا بعونه تعالى فنقول عن هـذه الرواية بأنها من باب الحصر الإضـافي وليس من باب الحصر الحقيقي والحـصر الإضافي مـن فنون علم البلاغة وورد نظيره في القرآن الكريم فمثلا يذكـر أحمد الهاشـمي في جواهـر البلاغة في المبحث الثالث في تقسـيم القصر باعتبـار طرفيـه إن الآيـة الكريمـة (وما محمد إلا رسـول قد خلـت من قبله الرسـل) من الحصر الإضافي وكذا في المبحث الرابع في تقسـيم القصر الإضافي أن الآيـة الكريمـة (إنمـا الله إله واحد) من أمثلة القـصر الإضافي رداً على من اعتقد ان الله ثالث ثلاثة وسـماه إفراد بل نقول ورد في أشـعار العرب فمثلا

١- الدر المنثور ج٥ ص ٢٦

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت. فـإن هـم ذهبـت اخلاقهـم ذهبـوا

ليـس عـار بـأن يقـال فقـير. إنمـــا العـــار أن يقـــال بخيـــل

فليـس ذهـاب الأمـم بذهـاب الأخلاق حقيقـة ولا العـار بقولهـم بخيل بل ذهـاب الأمم بذهاب دينها ولغتها وخنوعها وخضوعها وغير ذلك وكذا العار بتدنيـس العرض وهدر كرامة الإنسـان وبيع الاوطـان للأجنبي والفرار من سـاحات الوغـى وغير ذلـك ولنرجع إلى الروايـة التي جمعت هـؤلاء الثلاثة فإنـه قد جمعتهـم خصلتان بارزتـان الخصلة الأولى أنهم قـد تفانوا في ذات الله سـبحانه وقدموا انفسـهم لأعلاء كلمته وديمومة دينه وحصلت لهم من الصعـاب والمشـاق من قومهم مـا لا يعلمه إلا الله سـبحانه وتعالى والخصلة الاخـرى هـي مداراتهـم لقومهـم ومراعاتهـم حتـى في السـياقات الخطابية للبيـان عـن مرادهم ولنقرأ محـاورة حزقيل مؤمـن آل فرعون﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُواْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَلَمَّا جاءهـم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ اقْتُلُواْ أبناء الَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ وَاسْتَحْيُواْ نِسَآءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾ [1] هنـا في هذا الجو الرهيب من قتل الأبناء واسـتحياء الأزواج وتهديد فرعون بقتل مـوسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)وأمام الطغمة الحاكمة من هامان وقارون وجلاوزة فرعون وهيئة مستشاريه و منظومة حكومته كلها يبرز موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)فيقول (إني

١- غافر ٢٣ - ٣٣

عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) فكأنه يعطي جرعة منشطة لشخص سينهض يزلزل عروشهم ببيانه وسحر لسانه فيقول الله تعالى عنه ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

ثم أخبر الله سبحانه عنه فقال عز من قائل [1] ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى

---

١ - غافر ٣٨ - ٤٥

اللهَّ إِنَّ اللهَّ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللهَّ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ فأي قلب من زبر الحديد يستطيع أن يقف بوجه فرعون وطغمته وما هذا اللسان الذي القمهم حجراً وجعلهم كأن الطير على رؤوسهم في هذا الخطاب الطويل الذي لم يجرؤا على مقاطعته او تبكيته أنها طاقة الاستمداد من الحق سبحانه وهنا في خاتمة هذه المحاورة لم يختم للرجل بالشهادة ولتكن هذه الملاحظة على أذهاننا لأنا سنشير إليها بعد قليل ولنكمل المسير في تسلسل الاحداث مع حبيب النجار صاحب آل ياسين فيقول الحق سبحانه [1]

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ *اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ .

فهنا عند المقارنة بين الخطابين أي بين محاورة مؤمن آل فرعون وصاحب قال آل ياسين نرى وكأن الرجلين بينهما انسجام فكري و توأمة في الرؤى و تخاطر ذهني وايماء جمع العناوين العامة التي أشارا إليها بل قوة القلب التي امتلكاها والطاقات المتفجرة من أعماقهما ويوجد فارق واحد بينهما وهو في الآية (قيل ادخل الجنة) هل تدل على أن القوم قتلوه ونال مرتبة الشهادة أولا تدل لأنها ليست نصاً في دلالتها بينما المؤكد والمقطوع به أن فحل الفحول علي ابن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد نال هذه المرتبة في محرابه

١- سورة يس ٢٠ - ٢٧

بمسـجد الكوفة وهو صائم في شـهر رمضان و سـاجد لربه في صلاة الفجر وهي مرتبة ما بعدها مرتبة تحسب له (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في تفضيله عليهما وايضا [١] حيث قال (قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) لمبارزة علي بن أبي طالب(عَلَيْهِ السَّلَامُ) لعمـرو بن عبـد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتـي إلى يوم القيامة) ولا ريـب أن القـرآن يصرح (كنتم خير أمة أخرجت للناس) فإذا كانت أمة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) أفضـل الأمم جميعاً ومبارزة علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أفضل من أعمال أمتـه إلى يوم القيامة فعليك باسـتخراج فارق النسـبة بين علي(عَلَيْهِ السَّلَامُ) وبين فردين من فردي الأمم السـالفة وهما مؤمـن ال فرعون يوم الخندق افضل مـن اعمـال امتي الى يـوم القيامة. ولا ريب أن القـرآن يصرح (كنتم خير امة اخرجت للناس) فإذا كانت أمة محمد صلى الله عليه وآله وسـلم أفضل الأمم جميعا ومبارزة علي عليه السلام افضل من اعمال امته إلى يوم القيامة فعليك باسـتخراج فارق النسـبة بين علي عليه السـلام وبين فردين من فردي الامة السالفة وهما مؤمن آل فرعون وصاحب آل ياسين ونزيد هنا بيانا بما رواه ابو ذر رحمه الله قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع عليا فقد اطاعني ومن عصى عليا فقد عصاني)[٢].

وقال الحاكم عن هذا الحديث (هذا الحديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه) اقـول أي البخـاري ومسـلم واقول بترتيب قياس من الشـكل الاول الذي هو

١- ذكر الحاكم في مستدركه ج ٣ ص ٣٤ ح ٤٣٢٧

٢- مستدرك الحاكم، ج٣، ص ١٣١، ح٤٦١٧.

بديهي الانتاج تكون طاعة علي عليه السلام طاعة الله ومعصية علي عليه السلام معصية لله سبحانه وتعالى وسنذكر اخر شيء عن رواية (الصديقون ثلاثة) ونختم به الحديث عنها بما اورده الحاكم في مستدركه ليدل على افضلية علي عليه السلام على مؤمن آل فرعون وصاحب آل ياسين فعن ابي هريرة قال(قال عمر بن الخطاب لقد أُعطي علي بن أبي طالب عليه السلام ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها احب اليَّ من أن أعطي حمر النعم . قيل: وما هن؟ قال: تزوجه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسكناه المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحل له فيه ما يحل له والراية يوم خيبر). و علق عليه الحاكم بقوله (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)[1]. ونحن لا نعلق على ما ذكره الحاكم وعلى قول عمر ونترك المجال لذكاء القارئ ومساحة تفكيره! فبعد هذا الذي ذكرناه لا ادري هل ارتفعت الحساسية في تفضيل علي عليه السلام بعد ذكر هذه المضادات الحيوية لبعض الافكار او ان الرواسب الفكرية باقية لا تزول. وأيضا نظير الحديث الذي ذكرناه في صدر البحث روى الثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن قال: (حدثنا ابراهيم بن الفضل بن مالك قال: حدثنا عن اخيه عيسى عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابيه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب آل ياسين ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون

١- مستدرك الحاكم ، ج٣، ص ١٣٥، ح٤٦٣٢.

وعلي افضلهم[١]. وقد بينا وجه افضلية علي عليه السلام على غيره أما الرواية الثانية التي ذكروها ولعلها اشد حساسية من الاولى وهي ما رواه ابن ماجة في سننه[٢]. قال: (حدثنا محمد بن اسماعيل الرازي حدثنا عبيد الله بن موسى أنبأنا العلاء بن صالح عن المنهال عن عباد بن عبد الله. قال: (قال علي انا عبد الله واخو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. وأنا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي الا كذاب. صليت قبل الناس لسبع سنين). وهذه الرواية لفرط حساسيتها رموها بضعف السند بعباد نفسه قالوا ولا يصح ذلك لانه مكذوب على علي عليه السلام وعباد ضعيف عند العلماء. فاقول هذه الرواية ليس مصدرها سنن ابن ماجة فقط بل ذكرها الحاكم في مستدركه[٣]. ذكر اسلام امير المؤمنين عليه السلام. قال الحاكم: وحدثنا ابو بكر بن ابي دارم الحافظ ثناء ابراهيم بن عبد الله العبسي قالا ثنا عبيد الله بن موسى ثناء اسرافيل عن ابي اسحاق عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبيد الله الاسدي عن علي عليه السلام. قال: اني عبد الله واخو رسوله وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي الا كاذب صليت قبل الناس سبع سنين قبل ان يعبده احد من هذه الامة. وقد ذكر العلامة الاميني[٤] من سفره القيم (الغدير) زهاء ستة عشر مصدراً من مصادر المدرسة السنية التي ذكرت هذا الحديث. واما عباد بن عبد الله الاسدي فسنسعترض حال الرجل ونرى هل هم مجمعون

١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تفسير الثعلبي، ج٨، ص ١٢.
٢- سنن ابن ماجة، ج١، ص ٦٥.
٣- مستدرك الحاكم، ج٣، ص ١٢٠.
٤- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة الاميني، ج٢، ص ٣١٤.

على تضعيفه او الرجل موثق؟ وهل الرجل ضعيف في نفسه او بسبب نقله لهذا الحديث؟ فنقول. قال عنه علي بن المديني ضعيف الحديث وابو الفرج ابن الجوزي اتهمه بالوضع وابن حجر العسقلاني ضعيف اما احمد بن حنبل فسئل عن حديث فقال: اضرب عليه فانه حديث منكر. اذن الرجل مشكتله في حديثه انه نقل حديث علي بن ابي طالب عليه السلام (أنا عبد الله واخو رسوله وانا الصديق الاكبر...) والركن الركين في تضعيف حديثه هي الجملة الثالثة من الحديث وما بعدها. نعم اطلق ابن حجر العسقلاني في ضعفه ولم يقيده بكونه ضعيف في الحديث وابن حجر حاله معروف في ميوله ثم ننقل طائفة اخرى اخف وقعاً على الرجل ولم يجدوا مغمزاً فيه فقالوا ومنهم ابو محمد ابن حزم الظاهري مجهول وقال عنه الذهبي لا يعرف وقال عنه ابو الفتح الازدي روى احاديث لا يتابع عليها وقال عنه محمد ابن اسماعيل البخاري فيه نظر ولا اعرف ما هذا النظر الذي حصل للرجل ولم يبينه الا لأن عباداً ذكر هذا الحديث ثم خفّت الحدة عن الرجل فقال عنه سعد الكاتب الواقدي له احاديث ولم يطعن عليه او يقدح في احاديثه ثم وجدنا ان بعضهم قد وثق الرجل ومنهم احمد بن صالح الجيلي فقد وثقفه بل بعضهم بالاضافة الى توثيقه قال عن هذا الاسناد الذي في الحديث الذي ذكره عباد بأنه اسناد صحيح وهو الامام البوصيري في تعليقته (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة) فقد علق على الحديث في ج١، ص ٦٥، رقم الحديث ١٢٠. هذا اسناد صحيح، رجاله ثقاة) اذن الرجل وثقه قوم وانكرو ضعف احاديثه اخرون وهم لم يجرؤوا بتكذيبه - وتوسط اخرون

بقولهم، له احاديث ووثقه بعض اخر فهذا الحديث هو معروف في كتب القوم وليس الراوي له مجمع على ضعف احاديثه فمن شاء فليأخذ بهذا الحديث ومن شاء فليترك. وأما من طرفنا فقد نقل الصدوق في العيون عن الرضا عليه السلام عن ابائه عن الحسين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: يا علي انت امام المسلمين وامير المؤمنين وخير الوصيين وسيد الصديقين. يا علي انت الفاروق الاعظم وانت الصديق الاكبر يا علي انت خليفتي على امتي وانت قاضي ديني وانت منجز عداتي[١]. وغيرها من الروايات بهذا المضمون وقد روى الكاظم عليه السلام (أن فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة) [٢]. وأما المفردة الثانية في عنوان البحث وهي (الشهداء) فقد قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة مادة شهد (الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم واعلام لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه من ذلك الشهادة يجمع الاصول التي ذكرناها من الحضور والعلم والاعلام يقال شهد يشهد شهادة والمشهد محضر الناس) وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته مادة شهد (شهد: الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة اما بالبصر او بالبصيرة وقد يقال للحضور مفردا قال: (عالم الغيب والشهادة)[٣]. لكن الشهود بالحضور المجرد اولى والشهادة مع المشاهدة اولى، وقال ايضا، والشهادة قول صادر عن علم حصول بمشاهدة

١- العيون، ج٢، ص ٩٢.

٢- الكافي، ج١، ص ٤٥٨.

٣- الانعام، ٧٣.

بصيرة او بصر، ووقال ايضا (والذين لا يشهدون الزور) [١]. أن لا يحضرونه بنفوسهم ولا بهمهم وارادتهم، وقال ايضا(واما الشهيد فقد يقال للشاهِد والمشاهِد للشيء وقوله (سائق وشهيد) [٢]. أي من شهد له وعليه وكذا قوله (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) [٣]. وقوله (اوالقئ السمع وهو شهيد) [٤]. اي يشهدون ما يسمعونه بقلوبهم على ضد من قيل فيهم (اولئك ينادون من مكان بعيد) [٥]. اقول اطلق شاهد في القرآن المجيد على الممكنات كقوله تعالى (وشهد شاهد من أهلها) [٦]. وعلى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم (يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا)[٧]. وكلمة (شهيد) كذلك اطلقت في القرآن الكريم على غيره سبحانه (واستشهدوا شهيدين من رجالكم)[٨]. وكذا على النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) ولعله فرق بين الهيئتين لانه الاولى اسم فاعل وهذه صيغة مبالغة ففي الدار الاخرى آتى بصيغة المبالغة لاستكماله الشهادة واتمامها على قومه وامته بينما في الدار الدنيا اتى بصيغة اسم الفاعل لانه في مقام تجديد الشهادة وتحريكها شيئا فشيئاً على امته والله اعلم. وأما مفردة (شهداء) فقد ذكرت

١- الفرقان، ٧٢.
٢- ق، ٢١.
٣- النساء،٤١ .
٤- ق، ٣٧.
٥- فصلت، ٤٤.
٦- يوسف، ٢٦.
٧- الاحزاب، ٤٥.
٨- البقرة، ٢٨٢.

اكثر من مرة فيها (ولا يأب الشـهداء إذا ما دعوا) [١]. وكذا قوله تعالى: (ولم يكن لهم شـهداء الا انفسـهم فشهادة احدهم اربع شـهادات بالله) [٢]. وهذه الهيئة من الجمع لا يعرف مفردها هل هو شـاهد أو شـهيد لأن شهيد جمعه شـهداء وشُـهُد وأشهاد كذا شاهد، جمعه شهداء وشـهود وأشهاد وشهواهد وشـاهدون وشهَّد وأما بالنسبة إلى الحق سـبحانه فقد اطلقت كلمة (شهيد) وهي من اسـماءه الحسـنى ومعناها الحاضر المشـاهد المطلع على ما لا يعلمه المخلوقـون المشـهود لـه بالوحدانية وتدل الشـواهد على عدلـه وحكمته وقد وردت في القـرآن الكريـم في عدة مواضع منها (والله شـهيد على ما تعملون) [٣]. و (إن اللـه عـلى كل شـئ شـهيد) [٤] ، و (قـل الله شـهيد بينـي وبينكم) [٥]، و (قل كفى بالله شـهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)[٦]، و(يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسـوه والله على كل شيء شـهيد)[٧]. ولم يرد من اسماءه الحسـنى (الشاهد) ولعله لأن (الشهيد) فيها من المبالغة ما ليس في (الشـاهد)، نعم ورد في القرآن المجيد (ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً) [٨]. والشهود جمع شاهد وليس جمع شهيد، نظير العليم من أسـماءه الحسـنى دون العالم فقد ورد (إن الله كان عليما حكيماً)

١- البقرة، ٢٨٢.
٢- النور، ٦.
٣- آل عمران، ٩٨.
٤- الحج، ١٧.
٥- الانعام، ١٩.
٦- الرعد، ٤٣.
٧- المجادلة،٦.
٨- يونس،٦١.

[١]. و(كان الله عليما حليما) [٢]. و(إنه كان عليما قديرا) [٣]. و(وكان الله بكل شيء عليما) [٤]. وغيرها كثير. ولم يرو او يطلق على الحق تعالى في سلطانه في القرآن الكريم (العالم) الا في موردين من سورة الانبياء ولكن بصيغة الجمع. الاولى في الآية ٥١(ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكتابه عالمين) والثانية من الآية ٨١ من نفس السورة (ولسليمان الريح عاصف تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين) وفي موردين اطلقت لفظة (عالم) ولكن بإضافتها إلى ما بعدها فالأولى في سورة الجن الآية ٦٢ (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ألا من ارتضى من رسول) [٥]. والأخرى في سورة الرعد الآية ٩ (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) ولم يطلبق الشهيد في القرآن الكريم على من قتل في سبيل الله ولعل المناسبة بتسميته شهيداً في الاخبار الشريفة لشهود الملائكة له لحظة استشهاده او يشهدون في وقت استشهاده ما اعد لهم من النعيم او الشهادة ارواحهم عند ربهم او غير ذلك من المناسبات.

١- النساء، ١١.

٢- الاحزاب،٦١.

٣- فاطر، ٤٤.

٤- الفتح، ٢٦.

٥- الرعد، ٩.

سعيد بن المسيب والإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

عن الزبير بن سعيد القرشي قال كنا جلوساً عند سعيد بن المسيب فمر بنا علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ولم أر هاشمياً قط كان أعبد لله منه فقام اليه سعيد بن المسيب وقمنا معه فسلمنا عليه فرد علينا فقال له سعيد يا ابا محمد أخبرنا عن فاطمة بنت اسد بن هاشم أم علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال :نعم حدثني أبي قال: سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) في قميصه وصلى عليها وكبر عليها سبعين تكبيرة ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوي عليها وخرج من قبرها وعيناه تذرفان وحثا في قبرها فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئا لم تفعله على أحد فقال يا عمر إن هذه المرأة كانت مثل امي التي ولدتني إن ابا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة وكان يجمعنا على طعامه فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيباً فأعود فيه وإن جبريل(عَلَيْهِ السَّلَامُ) اخبرني عن ربي عز و جل انها من أهل الجنة وأخبرني جبريل(عَلَيْهِ السَّلَامُ) إن الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلون عليها) . [1]

وقريب من حديث تكفين النبي الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) لفاطمة بنت اسد في قميصه ما ذكره الجويني [2] حيث قال (عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَلْبَسَهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ

١- المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١١٦ ح ٤٥٧٤

٢- فرائد السمطين ج ١ ص ٣٧٩ رقم الحديث ٣٠٨

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)قَمِيصَهُ، وَاضْطَجَعَ مَعَهَا فِي قَبْرِهَا فلما سوى عليها التراب قال بعضهم يا رسول رَأَيْنَاكَ صنعتَ شيئاً لم تصنعه بأحد قال أني لبّستها قميصَي لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت معها في قبرها لأخفف عنها من ضغطة القبر انها كانت احسن خلق الله صنيعاً الي بعد أبي طالب) . من الجدير بالذكر أن الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) كانوا يعيشون هموم الأمة و يواكبون ما استجد من مشاكلها ويلتقون برجالات الامة الاسلامية و الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كان حلقة من هذه السلسلة الذهبية فإنقاذه للزهري مما المّ به قصة معروفة عند الفريقين وتعليمه لأنواع الصوم الأربعين نوعاً مشتهرة واستفادة سعيد بن المسيب منه قد ذكرها هو نفسه في أكثر من مناسبة وفي موارد تصدر منهم مضايقات وجرأة عليه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يمتصها بفكر ثاقب وذهن حصيف وطوية شفافة وهو يعلم أنه نفخ في غير ضرام ولكن لعل وعسى اقتداءً بسيرة ابائه واجداده الاطهار (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) تآلفهم وتحمل تطاولهم ومن ذلك ما حصل له (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مع عباد البصري التي يرويها لنا الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فيقول (لقى عَبّاد البصري علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في طريق مكة فقال له يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحج ولينته إن الله عز وجل يقول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [1] فقال له علي بن الحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)

١- التوبة : ١١١

(أتم الآية) فقال ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [١] فقال علي بن الحسين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج.) [٢] سبحان الله ما هذا الجواب المزلزل الذي لم يجرؤ عباد على النطق ببنت شفة ولم ينبس بكلمة بعدها ولا بد أن نذكر أن كل من يلتقي بالأئمة (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) ينفعل بشخصيتهم الفذة والكاريزما الخاصة بهم ميتهم كما في المصطلح المعاصر ويعيش هذه الحالة الايجابية فترة من الزمن ثم على الأغلب تضمحل هذه الجذوة البراقة والشعلة الخلاقة فلاحظ ما ذكره ابن خلكان [٣] يحكي عن المبرد من كتابه الكامل واقعة قد حصلت لرجل كان يجالس سعيد بن المسيب يقول هذا الرجل (فأمهلت شيئا حتى جاء علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) فسلم عليه - اي على سعيد بن المسيب - ثم نهض فقلت يا عم من هذا قال هذا الذي لا يسع مسلماً أن يجهله هذا علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)) ولنقرأ أيضا ما قاله [٤] (وجلس إلى سعيد بن المسيب فتى من قريش فطلع (فخرج) علي بن الحسين (عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ) فقال القرشي لابن المسيب من هذا يا أبا محمد فقال هذا سيد العابدين علي بن الحسين فكان الزهري يقول لم أر هاشميا أفضل من علي بن الحسين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)) ثم لنذكّر

١- التوبة : ١١٢

٢- تفسير البرهان ج ٣ ص ٥٠٠ ح ١

٣- وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٢٧ ترجمة برقم ٤٢٢

٤- الفصول المهمة ص ٣٠٥

بما المحنا إليه قبل قليل من انطفاء الجذوة فقد قال ابن سعد [١] عند الكلام عن بقية الطبقة الثانية من التابعين ما نصه (قال أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا أبو معشر عن المقبري قال لما وضع علي بن الحسين ليصلّى عليه اقشع الناس إليه وأهل المسجد ليشهدوه وبقي سعيد بن المسيب في المسجد وحده فقال خشرم لسعيد بن المسيب يا ابا محمد ألا تشهد هذا الرجل الصالح في البيت فقال سعيد أصلي ركعتين في المسجد أحب إلي من أن أشهد هذا الرجل الصالح في البيت الصالح) أقول لعله لم يسمع بالرواية التي تقول (أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) قال من صلى على الجنازة فله قيراط ومن تبعها حتى تدفن فله قيراط) [٢] وقد فسر القيراط بمثل جبل أحد كما في البخاري [٣] هذا إن كانت جنازة لأحد المسلمين وليس من بيوت اذن الله ان ترفع ولذا غيره قد رد عليه ولم يتابعه بما ذهب إليه وأملاه عليه فقهه فقد نقل ابن سعد في نفس المصدر [٤] (قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عثيم بن نسطاس قال رأيت سليمان بن يسار خرج إليه فصلى عليه وتبعه وكان يقول شهود جنازة أحب إلي من صلاة تطوع) ولعله دفع ضريبة ذلك حينما ضربه عبد الملك بن مروان خمسين سوطا واقامه بالحرة وألبسه تبان شعر فقد ذكر ابن سعد في طبقاته [٥] (أن عبد الملك بن مروان ضرب سعيد بن المسيب خمسين سوطا

١- ابن سعد في طبقاته ج ٥ ص ١١٤

٢- البخاري و الجنائز(١٣٢٥) ومسلم : الجنائز (٩٤٥)

٣- البخاري : الايمان (٤٧) وأبي داود الجنائز (٣١٦٨)

٤- ص ١١٥

٥- ج ٥ ص ٦٥ عند ترجمته لسعيد بن المسيب برقم ٦٧٩

وإقامة بالحرة والبســه تبان شــعر قال فقال سعيد اما والله لو علمت أنهم لا يزيد في على الضرب ما لبست لهم التبان إنما تخوفت أن يقتلوني فقلت تبان استر من غيره

الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في فكر المدرسة السنية

موقف ابن خلكان تجاه الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

قال [١] (زين العابدين أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) المعروف بزين العابدين يقال له علي الأصغر وليس للحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عقب إلا من ولد زين العابدين هذا وهو أحد الائمة الاثني عشر ومن سادات التابعين قال الزهري ما رأيت قرشيا أفضل منه وأمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس) ثم ذكر تفاصيل قصة السبي لما أتوا المدينة في خلافة عمر وبيع سبي فارس فقال في نفس المصدر (كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضا فقال له علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة قال كيف الطريق الى العمل معهن قال يقومن فمهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن فقو من وأخذهن علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فدفع واحدة لعبد الله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحمد بن أبي بكر وكان ربيبه فأولد عبد الله امته ولده سالماً وأولد الحسين ابنه زين العابدين وأولد محمد بن أبي بكر ولده القاسم فهؤلاء الثلاثة بنو خالة وامهاتهم بنات يزدجرد) ثم قال في نفس المصدر [٢] (وكان زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كثير البر بأمه حتى قيل له إنك أبر الناس بأمك ولسنا نراك تأكل معها في صحفة فقال أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها) أقول تقدم في مطاوي

١- وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٢٧ ترجمة برقم ٤٢٢

٢- في صفحة ١٢٨

كلامنا أنها مربيته لأن والدته قد توفيت في مخاضها فظنها الناس أنها أمه ثم يكمل كلامه أبن خلكان [١] فيقول (وحكى ابن قتيبة في كتاب المعارف أن أم زين العابدين سندية يقال لها سلافة ويقال غزالة والله أعلم بالصواب وأنه زوجها بعد أبيه بزبيد مولى أبيه وأعتق جارية له وتزوجها فكتب إليه عبد الملك بن مروان يعيره ذلك فكتب إليه زين العابدين (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وقد أعتق رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) صفية بنت حيي بن أخطب وتزوجها وأعتق زيد بن حارثة وزوجه بنت عمته زينب بنت جحش . وفضائل زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تحصر وكانت ولادته يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثمان وثلاثين للهجرة وتوفي سنة أربع وتسعين وقيل تسع وتسعين وقيل اثنتين وتسعين للهجرة بالمدينة ودفن في البقيع في قبر عمه الحسن بن علي في القبة التي فيها قبر العباس رضي الله عنه) انتهى أقول في كلامه مواضع للنظر منها ان أمه سندية واسمها سلافة او غزالة فهذا غير صحيح لأنها من فارس وقد تقدم الكلام عن سيرته الشخصية و أحواله الذاتية وأنها شهربانويه او شاه زنان وكذا في تزويجه إياها بعد استشهاد أبيه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فهذا غير صحيح لأنها من السالبة بانتفاء الموضوع كونها رضوان الله عليها قد انتقلت لجوار ربها وهي في مخاضها وكذا ما يخص مولده واستشهاده كل ذلك قد تقدم الحديث عنه ثم يعقب ابن خلكان عنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فيقول (كان الحسن - يقصد الحسن البصري - يقص في الحج فمر به علي بن الحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فقال له يا شيخ أترضى نفسك للموت قال

---

١ - ابن خلكان ج ٢ ص ١٢٨

لا قـال فللـه في أرضـه معاد غير هذا البيت قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فلم تشغل الناس عن طواف البيت قال فما قص الحسن بعدها.) [١]

ثـم نختم هـذه الفذلكة التي ذكرها ابن خلـكان بقوله (وكان يقال لزين العابديـن ابـن الخيرتين لقوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) (لله تعـالى من عباده خيرتان فخيرته من العـرب قريش ومن العجم فارس) [٢]

١- وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٢٧
٢- وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٢٧

الخط البياني الفكري والعقائدي لابن كثير

وأمـا ابـن كثير فقد قال كتابه [١] (وهذه صفة مقتله - يقصد مقتل الامام الحسـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - مأخـوذة مـن كلام أئمة هذا الشـأن لا كمـا يزعمه اهل التشـيع مـن الكذب) أقول سـنترفع عـن التنـزل إلى هذا الأسـلوب المبتذل و الهابط من الادعاء على الآخرين بأسـلوب غير علمي وغير مدعوم بالأدلة من كتـب الطائفـة الشـيعية المعتمدة وقـول علماءها المحققـين والتسرع في نشر التهـم والبهتـان ووفرة مـن مجانبة الصـواب والبرهان والـذي يتضمخ اما بالحقد عن التشيع أو يتمخض بقلة المعرفة عن السلوك المعرفي لهذه الطائفة وسـوف نخصـص بعد قليل جانباً من المناقشـة العلميـة المدعمة بالأدلة معه ولنرجـع إلى مـا يقولـه في المصـدر الذي ذكرنـاه في الهامـش (وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا ومعه علي بن الحسـين وأخوه عمر بن الحسين) ثم قال في نفس الصفحة (ولما ودعهم يزيد قال لعلي بن الحسـين قبح الله ابن سـمية أمـا واللـه لو أني صاحـب أبيك ما سـألني خصلة إلا أعطيتـه إياها ولدفعت الحتـف عنـه بكل ما اسـتطعت ولو بهـلاك بعض ولدي ولكـن الله قضى ما رأيت ثم جهزه وأعطاه مالاً كثيرا وكسـاهم وأوصى بهم ذلك الرسـول وقال له كاتبني بكل حاجة تكون لك فكان ذلك الرسـول الذي أرسـله معهن يسير عنهن بمعزل من الطريق ويبعد عنهن بحيث يدركهن طرفه وهو في خدمتهم حتـى وصلوا المدينة فقالت فاطمة بنـت علي قلت لأختي زينب إن هذا الرجل

---

١ - البداية والنهاية ج ٨ ص (٢٢٠٢)

الذي أرسـل معنا قد أحسـن صحبتنا فهل لك أن نصله فقالت والله ما معنا شيء نصلـه به إلا حلينـا قالت وقلت لها نعطيه حلينا قالت فأخذت سـواري ودملجي وأخذت أختي سـوارها ودملجها وبعثنا به إليه واعتذرنا إليه وقلنا هـذا جزاؤك بحسـن صحبتك لنـا، فقال لو كان الذي صنعـت معكم إنما هو للدنيـا كان في هذا الذي أرسـلتموه ما يرضينـي وزيادة ولكن والله ما فعلت ذلك إلا لله تعالى ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم) أقول إذا كان هـذا حـال الرسـول الـذي أرسـله معهـم إلى المدينة له هـذا الحد من الثقافة الإسـلامية وإنما أحسـن إليهم الا لله تعالى و لقرابتهم من رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) أفلا يكون الوالي الذي جعله يزيد على العراق وهو عبيد الله ابن زياد له هذا الحد الأدنى من هذه المعرفة والثقافة حتى فعل بهم ما فعل الـذي بيض بفعلته يـوم الطف أفعال الجاهلية وأيـام العرب ووقائعهم قبل الإسلام ثم لو كان يزيد صادقاً في دعواه لماذا لم يعزل ابن زياد ويرسل إليه ليحـضر إلى الشـام ويعاقبه ويقتص منه جزاءً بما فعـل وليكون عبرة لغيره ولكـن هـي السياسـة والتبرير المقيـت لأفعال السـلف وقاتل الله الشـجاعة الأدبية كيف تعز في أشد ظروف الحاجة إليها والغريب ان كل من يداهن عن الحق ويبرر افعال الاخرين مهما أمكن تراه ضائعاً يحاول العثور على نفسه هـو! ولنرجـع إلى المناقشـة التـي وعدنـا بها ونقول مـن أين نبـدأ وعلى أي موضـع مـن كلامه نعقب ومن الكاذب هل الشـيعة يكذبـون بذكر مظلومية الحسـين(عَلَيْهِ السَّلَامُ) أو بظلـم يزيـد بن معاويـة الذي يظهره ابـن كثير على انه إنسـان ملائكـي الصفـات إنسـاني المكرمـات كريمـاً معهـم في كل الآنات و

الأوقـات لا يـأكل إلا معهم وقد قبح وذم بن مرجانة على فعلته ولا ندري هل ابـن مرجانـة قد فعـل فعلته التي لـو لم تتداركهـم الحكمة الإلهيـة لتزلزل الكـون بهم ولكن (ولا تحسـبن الله غافلا عما يعمـل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشـخص فيه الأبصار)[١] من رأيه السـطحي او قد حلم حلماً في منامه ثم أراد تحقيقه في أرض الواقع أو المقولة المعروفة والشـماعة المألوفة اجتهد فأخطأ - وليت شـعري هل ابن مرجانة من أهل الاجتهاد - ثم ما هذا القلب الكبـير ليزيـد حينمـا يقول (والله لـو إني صاحب أبيك ما سـألني خصلة إلا أعطيتـه إياهـا ولدفعـت الحتـف عنـه بكل ما اسـتطعت ولو بهـلاك بعض ولـدي) فهـاك الجواب من الطـبري [٢] في عنوان (خلافة يزيـد بن معاوية) فيقـول (ولم يكـن ليزيد همة حين ولي إلا بيعة النفـر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته وإنه ولى عهده بعده والفراغ من أمرهم) اقول هم الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ثـم كتب رسـالة إلى والي المدينة المنورة بعد وفـاة ابيه معاوية قائلا فيها كما ينقلـه الطـبري (وكتب إليـه في صحيفة كأنها أذن فأرة أما بعد فخذ حسـينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسـلام) [٣] واسـتمع للمحاورة التي جـرت بين الوليد وعتبة بن مروان بن الحكم (فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هـؤلاء الرهـط بالبيعـة فزع عند ذلـك إلى مروان ودعاه فلما قـرأ عليه كتاب

١- ابراهيم : ٤٢

٢- الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٥٤٨

٣- (تاريخ الطبري ص ٥٤٨ تحت عنوان خلافة يزيد بن معاوية)

يزيد استرجع وترحم عليه واستشاره الوليد في الأمر وقال كيف ترى أن نصنع قال فإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم قبل ان يعلموا بموت معاوية) [١] ثم قال مروان [٢](ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه فوثب عند ذلك الحسين فقال يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو كذبت والله وأثمت) إذن فالجو العام كان مشحونا ومهيئاً للتعامل بقسوة ضد من يمانع ويمتنع عن بيعة يزيد وخصوصاً بيعة الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فهي بيت القصيد وقد كان صدى المقولة المشهورة (اقتلوا الحسين ولو كان متعلقا بأستار الكعبة) وهي إحدى الوسائل الإعلامية في تخويف الناس من الالتفاف حول الحسين والوقوف معه يزيد حينما يرسل إلى الوليد بن عتبة هذه الرسالة الشديدة اللهجة والمبطنة بالرمزية القاسية والتي قد التقط الإشارة منها مروان حينما يقول يزيد فيها (أخذاً شديداً ليست فيه رخصة) فما معنى أخذا شديدا وما معنى ليست فيه رخصه أليس هو سد أبواب الاعتذار والتنصل عن البيعة والفرار او نصدق كلام ابن كثير حينما يقول حاكياً عن يزيد (قبح الله ابن سمية أما والله لو إني صاحب أبيك ما سألني خصلة الا أعطيته إياها ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي) لعله أن معاقرته للخمر انسته أحد القولين لديه نعم عقبه بقوله كما هي مقولة المجبرة وديدنهم

١- تاريخ الطبري ص ٤٥٨ تحت عنوان خلافة يزيد بن معاويه

٢- في الصفحة ٥٤٩ من نفس المصدر

(ولكـن الله قضى ما رأيت) بينما جـواب الوليد بن عقبة حينما أجاب مروان عـن قتل الحسـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نابعـة من فطرتـه وجبلته التلقائيـة وبدون أي جـواب مبطـن فيقول (قـال الوليد وبخ غيرك يا مـروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشـمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسـينا سـبحان[1] الله أقتل حسـينا أن قال لا أبايع والله إني لأظن أن امرءاً يحاسـب بدم الحسـين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة) [2] ثم ترسـل ابن كثير زاعماً ان الشـيعة تكذب على يزيد في عدم نقـل مثل هذه المآثـر بقوله (ثم جهزه وأعطاه مالا كثـيرا) فنقول لندع المال الكثـير لمجيري فكر ابن كثير ولنرجـع إلى ما جادت به قريحة ابن كثير حيث يقول في نفس المصدر (وقيل إن يزيد لما رأى رأس الحسـين قال أتدرون من أين أتى ابن فاطمة وما الحامل له على ما فعل وما الذي أوقعه فيما وقع فيه قالـوا لا قـال يزعـم أن أبـاه خـير مـن أبـي وأمـه فاطمـة بنـت رسـول اللـه(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) خير من أمي وجده رسـول الله خير من جدي وأنه خير مني وأحق بهذا الامر مني فأما قوله أبوه خير من أبي فقد حاج أبي أباه إلى الله عز وجل وعلم الناس أيهما حكم له، وأما قوله أمه خير من أمي فلعمري إن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم خير من أمي، وأما قوله جـده رسـول الله خـير من جدي فلعمري مـا أحد يؤمن باللـه واليوم الآخر يرى أن لرسـول الله فينا عدلا ولا ندا، ولكنه إنما أتى من قلة فقهه - يقصد

---

١ - دقـق في كلام امـير المدينـة مـن قبـل يزيـد حينـما ينسـب القتـل لنفسـه ويعـبر عـن نفسـه بأنـه فاعـل القتـل ويعجـب ممـن يجـرؤ عـلى القتـل بقولـه - سـبحان الله - لانـه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لم يبايـع

٢ - (يراجع تاريخ الطبري ج ٤ ص ٥٤٩ تحت عنوان خلافة يزيد بن معاوية)

به الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهنا كشر عن أنيابه وظهر الوجه الحقيقي وسقطت الأقنعة المموهة وكأنه لم يسمع قول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) هذان إمامان قاما أو قعدا والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وهل الأمام وسيد شباب أهل الجنة قليل الفقه ثم يكمل يزيد فيقول - لم يقرأ (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء)[1] وقوله تعالى:(والله يؤتي ملكه من يشاء) [2]) لا أدري من الكاذب على الإسلام هل الشيعة أتباع أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا او غيرهم الذين يذكرون مثل هذه الترهات عن يزيد ويزيف الحقائق له ولم يجرؤ ابن كثير و تأخذه الحمية على الدين والغيرة على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) ولم يتذكر هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) حينما يقول يزيد عن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (أتى من قلة فقهه) أو قوله لم يقرأ (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع و الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء) فهل نزع الملك من الحسين وأعطي لشريب الخمور وهل تناسب الذلة للحسين والعزة ليزيد كلا والف كلا وهو القائل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (ألا وإنّ الدعي بن الدعي قدْ ركز بين اثنتين بين السلة والذلّة وهيهات منّا الذلّة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحُجور طابت وطهرت وأُنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة على قلّة العدد

---

١ - ال عمران : ٢٦

٢ - البقرة ٢٤٧

وخـذلان النـاصر) وكـذا في قوله (فقد حـاج أبي أباه الى اللـه عز وجل وعلم النـاس أيهما حكم له) اولم يقـرأ ابن كثير قول النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) يا علي حربك حربي وسـلمك سلمي أليس حرب علي حرب رسول الله وقتاله قتـال لنبي الإسـلام ألم أن يقـرأ ابن كثير أن مبارزة عـلي لعمرو بن عبد ود أفضل من عبادة الثقلين فأي فضل لمعاوية ومن يدور في فلكه وما وزن يزيد ومعاويـة وأضربهـا مع وزن مبارزة علي يوم الخندق وكـذا ما ورد [١] (عن زيد بن أرقم أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) قال لعلي وفاطمة والحسـن والحسـين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنا سـلم لمن سـالمتم وحرب لمن حاربتم[٢]) وهـل يصح عقد المقارنة بمـن قيـل في حقـه برز الإيمان كلـه إلى الشرك كله ونطق بـه القرآن في قوله تعـالى ﴿إِذْ جَاءُوكُـمْ مِـنْ فَوْقِكُـمْ وَمِـنْ أَسْـفَلَ مِنْكُـمْ وَإِذْ زَاغَـتِ الْأَبْصَـارُ وَبَلَغَـتِ الْقُلُـوبُ الْحَنَاجِـرَ وَتَظُنُّـونَ بِـاللَّهِ الظُّنُونَـا هُنَالِـكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُـونَ وَزُلْزِلُـوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [٣] وكذا علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بدري ومن الخط الأول في بدر ومعاوية في خـط الـشرك ومـن الرعيل الأول وتفضيـل أهل بدر على غيرهـم ليس فيه خلاف وكذا علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رأس حربة الإسـلام و المبرز في الجهاد وقد فضله اللـه سـبحانه بقوله (وفضـل الله المجاهدين على القاعديـن أجرا عظيما) [٤] وهـل تصح المقايسـة بـين الطلقـاء و أبناء الطـلاق وبـين ذراري الأنبياء و

١- فرائد السمطين ج ٢ ص ٣٨ ح ٣٧٢

٢- وللحديـث مصـادر جمـة وأسـانيد كثيـرة ذكـرت في هامـش فرائـد السـمطين اسـفل الحديـث المذكـور مـن أراد فليراجـع

٣- الاحزاب ايه ١٠ و ١١

٤- النساء اية ٩٥

أسباط الأوصياء فإلى الله المشتكى وهو المعول في العافية والبلوى فقد حصحص الحق وأسفر الصبح لغير الاعشى (وإن ربك لبالمرصاد) [١] فالمحصلة النهائية لهذا البحث هي أنه إذا كان مثل إبن كثير وهو المتولد سنة ٧٠١ هـ و المتوفى سنة ٧٧٤ هـ هكذا حاله وهو صاحب التفسير وصاحب كتاب السيرة النبوية وصاحب كتاب البداية والنهاية الذي يذكر فيه الأحداث منذ بدأ الخليقة ويترجم فيه للشخصيات الإسلامية إلى القرن الثامن هكذا تجود قريحته وينسب الكذب بلا رادع ديني او اخلاقي لأهل التشيع وإذا كان حال من قبله كمسلم وهو المتولد عام ٢٠٦هـ وقيل ٢٠٤ هـ والمتوفى عام ٢٦١ هـ في مقدمة صحيحه يذكر (ان الرافضة تقول ان علياً في السحاب) [٢] والغريب أنه لم يذكر مصادر الشيعة التي تنسب لهم هذا الإفك وهم براء من هذا القذف والهتك فأقول إذا كان حال مسلم وابن كثير ومن سبق الأخير كابن تيمية بل وعاصره ردحاً من الزمن وكم له من كلم جارح وقول قادح على الشيعة وعلماءهم وكتابه منهاج السنة يوضح ما أسسه للآخرين وسنه إذن فلا غرو من الآخرين الذين آتوا من بعدهم وقرأوا أفكارهم وأفكار من تأثر بهم لا شك ان مثل هذه الافكار تستفحل وتعيش حالة العداء للطرف الآخر ويتولد شيئا فشيئا التكفير والاسلاموفوبيا ولقد قالت الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) في خطبتها عندما مرضت المرض الذي توفيت

١- الفجر اية ١٤

٢- (يراجع مقدمة صحيح مسلم باب بيان ان الاسناد من الدين وان الرواية لا تكون الا عن التقاة ج ١ من شرح النووي لصحيح مسلم ح : ٥٨)

فيه وبمحضر من نساء المهاجرين والأنصار (ثم احتلبوا ملأ[١] القعب دماً عبيطا وذعافا مبيدا هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسسه الأولون)

رحيق الازهار يضمخ نور الأبصار

أما الشبلنجي فقد ضوع في كتابه نور الأبصار مسكاً من عبق سيرة بحر الكرم والعطاء ورهام عنان السماء الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) [٢] (سمي زين العابدين لكثرة عبادته وهو الإمام الرابع على مذهب الإمامية الى قوله والقابه كثيرة أشهرها زين العابدين وسيد العابدين والزكي والأمين وذو الثفنات) ثم قال [٣] (وكان يحمل جراب الخبز على ظهره في الليل يتصدق به فلما غسلوه جعلوا ينظرون إلى سواد في ظهره فقيل ما هذا فقال كان يحمل جراب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة ولما مات (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وجدوه كان يقوت اهل مائة بيت) ثم ينتقل من درر الاصراف[٤] انه اي عليا زين العابدين خرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسبه وبالغ في سبه وأفرط فعاد إليه العبيد والموالي فكفهم عنه واقبل عليه وقال له ما ستر عليك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فإستحيا الرجل فألقى إليه خميصة [٥] وألقى إليه خمسة

١- في نسخة طلاع

٢- ذكر في كتابه في ص ٢٨٠ (فصل في ذكر مناقب سيدنا علي بن الحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) الملقب بزين العابدين)

٣- ثم قال في ص ٢٨١

٤- ثم يذكر في ص ٢٨٣ (نادرة) قال في درر الاصداف

٥- قال القاموس المحيط مادة (خمص) (خميصة : كساء اسود مربع له علمان)

آلاف درهم فقال الرجل أشهد أنك من أولاد المصطفى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) ولقيه رجل فسبه فقال له يا هذا بيني وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما ابالي بما قلت وان لم اجزها فأنا أكثر مما تقول) ونختم الكلام عنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) [1] فقال (دخل على علي زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في مرض موته محمد بن اسامة ابن زيد يبكي فقال له ما يبكيك فقال له علي دين خمسة عشر ألف دينار فقال هي علي ووفاها (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . (يروى) أنه مرض فدخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) يعودونه فقالوا كيف أصبحت يا ابن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) فدتك أنفسنا قال في عافية والله المحمود على ذلك فكيف اصبحتم أنتم جميعا قالوا أصبحنا والله لك يا ابن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) محبين وادين فقال لهم من أحبنا لله أسكنه الله في ظل ظليل يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ومن احبنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنا الجنة ومن أحبنا لغرض دنيا آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب)

شهادات صاحب الطبقات

أما ابن سعد فقد ذكر الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في طبقاته في بقية الطبقة الثانية من التابعين [2] حيث قال (علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الى قوله قال علي بن الحسين فغيبني رجل منهم وأكرم نزلي واختصني وجعل يبكي كلما خرج ودخل حتى كنت اقول إن يكن عند أحد من الناس خير

١- بما ذكره في ص ٢٨٢

٢- ج ٥ ص ١٠٨ برقم ٧٥١

ووفـاء فعنـد هذا إلى أن نـادى منادي ابن زياد ألا من وجد علي بن الحسـين فليـأت بـه فقد جعلنا فيـه ثلاثمائة درهم قـال فدخل والله عـلي وهو يبكي وجعل يربط يدي إلى عنقي وهو يقول أخاف فأخرجني والله إليهم مربوطا ً حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وانا انظر إليها فأخذت وأدخلت على ابن زياد فقال ما اسـمك فقلت علي بن الحسـين قال أولم يقتل الله علياً قال قلـت كان لي اخ يقـال لـه علي أكبر مني قتله الناس قال بل الله قتله قلت (الله يتـوفى الأنفس حـين موتها) فأمر بقتله فصاحت زينب بنـت علي يا ابن زياد حسـبك من دمائنا اسـألك بالله إن قتلته إلا قتلتني معه فتركه)وذكر بن سعد [1] فضل الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على الزهري وانقاذه له بعد الانهيار النفسي الـذي حدث له بسـبب قتله لأحدهم فقد نقل هـذه الحادثة وهي (أخبرنا علي بن محمد عن يزيد بن عياض قال أصاب الزهري دماً خطأ فخرج وترك أهله وضرب فسـطاطاً وقال لا يظلني سـقف بيت فمر به علي بن الحسين فقال يا بن شـهاب قنوطك أشـد من ذنبك فاتق الله واسـتغفر وابعث إلى أهله بالدية وارجع إلى أهلك فكان الزهري يقول علي بن حسين أعظم الناس على منة.) [2] عن الزهري مدحاً آخر منه للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال (أخبرت عن شعيب بـن أبي حمـزة قال كان الزهري إذا ذكر علي بن حسـين قال كان اقصد أهل بيتـه وأحسـنهم طاعة وأحبهـم الى مروان بن الحكم وعبـد الملك بن مروان) اقول بالنسبة لمروان فقد آواه في المدينة عندما ضاقت عليه الارض بما رحبت

١- ثم ذكر في ص ١١٠ من نفس المصدر

٢- وكذا نقل ابن سعد في نفس الصفحة (١١٠)

وأما بالنسبة لعبد الملك فقصته معه بسبب مراسلة حصلت بين عبد الملك والحجاج بن يوسف الثقفي فاطلعه الله عليها فشكر سعيه عبد الملك بذلك وقال عنه أيضا[١] (أخبرنا علي بن محمد عن عبد الله بن أبي سليمان قال كان علي بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يده فخذه ولا يخطر بيده وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فقيل له مالك فقال ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي) وكان يؤذى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من أهل الشام ومن غيرهم اما اهل الشام [٢] فقال (إن علي بن حسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كان ليمشي إلى الجمار وكان له منزل بمنى وكان أهل الشام يؤذونه فتحول إلى قرين الثعالب أو قريب من قرين الثعالب) وأما غيرهم [٣] (كان هشام بن إسماعيل يؤذي علي بن حسين وأهل بيته يخطب بذلك على المنبر وينال من علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فلما ولي الوليد بن عبد الملك عزله وأمر به أن يوقف للناس قال فكان يقول لا والله ما كان أحد من الناس أهم إلي من علي بن حسين كنت أقول رجل صالح يسمع قوله فوقف للناس قال فجمع علي بن حسين ولده وحامته ونهاهم عن التعرض قال وغدا علي بن حسين مارا لحاجة فما عرض له قال فناداه هشام بن إسماعيل (الله أعلم حيث يجعل رسالته) اقول هكذا في المصدر والصواب (الله اعلم حيث يجعل رسالته) [٤] ثم ختم بحثه ابن سعد [٥] فقال (أخبرنا إسحاق بن أبي اسرائيل

١- وقال عنه ابن سعد في ص ١١١

٢- فقد ذكر ذلك ابن سعد ص ١١٣ من نفس المصدر

٣- فقد ذكر ابن سعد في ص ١١٣ من نفس المصدر

٤- سورة الانعام اية ١٢٤

٥- في ص ١١٥ من نفس المصدر من طبقاته

قال حدثنا جرير عن شـيبة بن نعامة قال كان علي بن حسـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يبخل فلمـا مات وجدوه يقـوت مائة أهل بيت بالمدينة في السر . قالوا وكان علي بن حسـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثقة مأموناً كثير الحديث عاليا رفيعاً ورعاً) .

المنظومة الفكرية للحنفي القندوزي

هـو سـليمان بـن ابراهيم الحنفي القنـدوزي ولد سـنة ١٢٢٠ هـ وتوفي ١٢٩٤ هـ وقيل ١٢٧٠ هـ والرجل من علماء المدرسة السنية وهو من محبي اهـل البيـت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وميال للاعتدال ومرونة الفكر والسلاسـة في المنهجية وذكـر فضائـل الائمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وقد ذكر الإمام السـجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) [١] وأورد بعضاً من ادعيته من الصحيفة السـجادية بقوله (الباب الثامن والتسعون في إيـراد بعض الأدعية والمناجاة التي تكـون في الصحيفة الكاملة للإمام الهمام زين العابدين وهي زبور أهل البيت الطيبين سلام الله عليهم) وكذا في الباب الثالـث والتسـعين (في ذكر خليفة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) مع اوصيائه سـلام اللـه عليهـم) [٢] فقال (أخرج أبـو المؤيد موفق بن أحمد الخوارزمي بسـنده عن أبي سـليمان راعي رسـول اللّه قال سـمعت رسـول اللّه (صلّى اللّه عليه و آلـه و سـلّم) يقـول ليلة أسري بي الى السـماء قال لي الجليـل (جلّ جلاله) :(آمَـنَ اَلرَّسُـولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ)فقلـت و المؤمنون قال صدقت قال: يا محمد إنّي اطلعت الى أهل الأرض اطلاعة فاخترتك منهم فشـققت لك اسـماً

١- في كتابه ينابيع المودة ج ٣ باب الثامن والتسعون

٢- من نفس المصدر ص ٥٤٦

مـن أسـمائي فلا أذكر في موضـع إلاّ ذكرت معي فأنا المحمـود و أنت محمد ثـم اطلعـت الثانية فاخترت منهم عليا فسـمّيته باسـمي يا محمـد خلقتك و خلقت عليا و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة من ولد الحسين من نوري و عرضـت ولايتكـم على أهل السـموات و الأرض فمن قبلهـا كان عندي من المؤمنـين و من جحدهـا كان عندي من الكافرين

يـا محمـد لـو أنّ عبداً مـن عبيدي عبدنـي حتى ينقطع أو يصير كالشـن البـالي ثم جاءني جاحـداً لولايتكم ما غفرت له يا محمد تحبّ أن تراهم قلت: نعم يا رب

قـال لي:انظـر الى يمـين العرش فنظرت، فـإذا علي و فاطمة و الحسـن و الحسـين و علي بن الحسـين و محمد بن علي و جعفر بن محمد و موسى بن جعفـر و عـلي بـن مـوسى و محمـد بن عـلي و علي بـن محمد و الحسـن بن عـلي و محمـد المهـدي بن الحسـن كأنّه كوكـب درّي بينهم و قـال: يا محمد هـؤلاء حججـي على عبـادي و هم أوصيـاؤك والمهدي منهم الثائـر من قاتل عترتك و عزّتي و جلالي إنّه المنتقم من أعدائي و الممدّ لأوليائي .أيضا أخرجه الحمويـني) . وكـذا قد ذكـره (عَلَيْهِ السَّلَامُ) [1] (عن جابر بـن عبدالله الأنصاري قال دخل جندل بن جنادة بن جبير اليهودي على رسـول الله(صلّى الله عليه وآله وسـلّم) فقال أخبرني يا محمد عما ليس لله إلى قوله أخبرني يا رسـول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) عـن أوصيائـك من بعدك لأتمسّـك بهم قـال أوصيائي الإثنا

١ – في الباب السادس والسبعين (في بيان الائمة الاثني عشر بأسمائهم) من نفس المصدر ص ٥٠٠ في أكثر من مرة

عشر قال جندل هكذا وجدناهم في التوراة وقال يا رسول الله سمّهم لي فقال أوّلهم سيّد الأوصياء أبو الأئمّة علي ثم ابناه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولا يغرنّك جهل الجاهلين فإذا ولد علي بن الحسين زين العابدين يقضي الله عليك ويكون اخر زادك في الدنيا شربة لبن تشربه ... ثم ساق الحديث بذكر أسمائهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

رصانة البعد المعرفي لابن الصباغ المالكي

أما ابن الصباغ المالكي فقد ذكر سيرة الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في ثنايا كتابه (الفصول المهمة) (الفصل الرابع في ذكر علي بن الحسين زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو الإمام الرابع) [١] بقوله (له من الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناظرة وثبت بالآثار المتواترة) ثم قال (أما مناقبه فكثيرة ومزاياه شهيرة منها أنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كان إذا توضأ للصلاة يصفر لونه فقيل له ما هذا (الذي) نراه يعتادك عند الوضوء فيقول ما تدرون بين يدي من أريد أن أقوم) [٢] وقال عنه أيضا (وكان يتصدق سراً ويقول (صدقة السر تطفئ غضب الرب) وقال ابن عائشة سمعت المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)وقال محمد بن إسحاق كان اناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم فلما مات علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً الى منازلهم) [٣] وكذا قد ذكر ابن

١- ص ٣٠١

٢- نفس المصدر ص ٣٠١

٣- نفس المصدر ص ٣٠٣

الصباغ حدثا كان بين عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي حيث كانت مكاتبة بينهما بعد أن تولى عبد الملك الخلافة فعلم الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بإلهام من الله سبحانه بمضمونها وأخبر بذلك عبد الملك بن مروان فتعجب من ذلك وعلم صدقه واطلاعه على مغيبات الأمور والحادثة هي (لما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة كتب الى الحجاج بن يوسف الثقفي (بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف أما بعد فأنظر دماء بني عبد المطلب فاجتنبها فإني رأيت آل أبي سفيان لما ولعوا (ولغوا) فيها لم يلبثوا بعدها إلا قليلا والسلام) قال وبعث بالكتاب سراً الى الحجاج وقال له اكتم ذلك فكوشف بذلك علي بن الحسين (حين الكتابة الى الحجاج) وأن الله تعالى قد شكر ذلك لعبد الملك فكتب علي بن الحسين من فوره (بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الملك بن مروان من علي بن الحسين اما بعد فانك كتبت في يوم كذا من شهر كذا إلى الحجاج سرا في حقنا لبني عبد المطلب بما هو كيت وكيت وقد شكر الله لك ذلك) ثم طوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له من يومه على ناقة له الى عبد الملك بن مروان وذلك من المدينة الشريفة الى الشام فلما قدم الغلام على عبد الملك اوصله الكتاب فلما نظره وتأمل فيه وجد تاريخه موافقا لتاريخ كتابه الذي كتبه إلى الحجاج في اليوم والساعة فعرف صدق علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وصلاحه دينه ومكاشفته له فسر بذلك وبعث له مع غلامه (ووجد مخرج غلام علي بن الحسين موافقا لمخرج رسوله الى الحجاج في يوم واحد وساعة واحدة فعلم صدقه وصلاحه وانه كوشف بذلك فأرسل مع غلامه) بوقر راحلته دارهم وكسوة فاخرة وسيره اليه من يومه وسأله ان لا يخليه من صالح دعائه) [1]

---

١ - الفصول المهمة ص ٣٠٦

الدعاء بوصلة الإنسان عند الابتلاء

القسم الثاني

معنى الدعاء

قال الراغب في مفرداته مادة (دعا) صفحة ١٧٧ ودعوته إذا سألته وإذا استغثته قال تعالى (قالوا ادع لنا ربك) البقرة : ٦٨ أي سله وقال: (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون) الانعام ٤٠ - ٤١ تنبيهًا إنكم إذا أصابتكم شدة لم تفزعوا الا اليه) وقال أيضا:(والدعاء إلى الشيء الحث على قصده (قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) يوسف : ٣٣ وقال ابن فارس في معجمه ص ٣٣٧ مادة (دعو) وهو أن تميل الشيء اليك بصوت وكلام يكون منك تقول دعوت أدعو دعاءً) وقد ذكر الامام السبزواري (عطر الله مرقده) في تفسيره المنيف (مواهب الرحمن) ج٢ ص ٣٣٧ الدعاء وفرقه عن النداء عند تعرضه للآية الكريمة (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاءً ونداءً) حيث قال (والدعاء للقريب والنداء للبعيد غالبا وقد يستعمل أحدهما في مقام الاخر ايضاً) وأما الابتهال فهو حالة خاصة من الدعاء وتطعّم فيها حالة الانقطاع وقد ذكر الفيروز آبادي في قاموسه مادة (بهل) ص ١٧٤ ما نصه : (والابتهال : الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه).

أقول : هذه المادة وردت في القرآن المجيد في قوله تعالى (فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل

لعنة الله على الكاذبين) آل عمران : ٦١ فإذن الدعاء هو السؤال والاستغاثة بشيء ولكن بشرط أن تكون هذه الاستغاثة وهذا الطلب من دانٍ الى عالٍ وقد يكون الدعاء بمعنى النداء أيضا وليس فيه من دانٍ الى عالٍ ولا خصوصية الاستغاثة مثل (يوم يدع الداع الى شئٍ نكر خشعاً ابصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) القمر : الآيات ٦؛ ٧؛ ٨ والدعاء الذي هو مورد السؤال والاستغاثة والتضرع (وليس بمعنى النداء فقط) متعلقه طلب الخير مطابقة او التزاماً فيقال الدعاء بالبركة والخير والدعاء بالعافية والصحة والدعاء بالرزق والاستسقاء والدعاء بغفران الذنوب وما شابه ذلك من تتميم الكمال للانسان اما الدعاء بالشر فليس من الدعاء حقيقة وإنما هو لدفع السوء والشر الصادر من الآخرين وإلا فالمؤمن الحقيقي لا يرجو الشر للآخرين ولا يتمناه لهم ولأن الحق سبحانه هو منبع الخير ومنتهى العطاء ولا يصدر عن ساحة قدسه شر ابداً ومن المناسب جداً نقل بعض الأبيات من المناجاة المنظومة والمنسوبة لسيد الموحدين علي بن أبي طالب على ما ذكرها خريت هذه الصناعة الشيخ عباس القمي في جوهرته الفريدة ودرته الخريدة (مفاتيح الجنان) فيقول :

لك الحمدُ يا ذا الجُودِ والمجدِ والعُلى *** تباركتَ تُعطي من تشاءُ وتَمنعُ

إلهي وخلّاقي وحِرزي ومَوئِلي *** إليكَ لدى الإعسار واليُسر أفزَعُ

ثم يغرق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في بحر الهيام الذي لا ينزف فيقول:

إلهي لَئِن عذَّبتنَي ألفَ حِجّةٍ فَحبلُ رَجائيَ مِنكَ لا يتقطّعُ

إلهي أذِقني طَعمَ عَفوِكَ يَومَ لا بَنُونَ ولا مَالٌ هُنَالِكَ يَنفَعُ

إلهي لَئِن لَم تَرعَني كُنتُ ضائعاً وإن كُنتَ تَرعَاني فلستُ أضَيّعُ
إلهي إذا لم تَعفُ عن غيرِ مُحسنٍ فَمَـن لِـسِيءٍ بالهـوى يَتمتّـعُ

ثـم يذكـر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لوعة المحبين وانين العاشـقين في ظلمـة الديجور ولا يكشـفون ما بقلوبهم [1] من عشـق مستور فيقول :

إلهي حَلِيفُ الحُبّ في الليلِ سَـاهرٌ يُنَاجِـي وَيدعُـو والمُغَفَّـلُ يَهجَـعُ
إلهـي وهَـذا الخَلـقُ مَا بَـينَ نَائِمٍ ومُنتَبِـــهٍ في لَيلِـــه يَتَـــضَرّعُ
وَكُلّهُـم يَرجُـو نَوالَـكَ رَاجيـا لِرَحمَتِكَ العُظمى وفِي الخُلد يَطمَعُ

ثم يختمها بالعلة الغائية للخلق وبمن هو واسطة الى الحق فيقول :

إلهـي بِحَـقِّ الهاشـميّ مُحَمّـدٍ وَحُرمَـة أطهَارِهِم لَـكَ خُضَّعُ
إلهي بِحَقِّ المُصطَفَى وابنِ عَمّهِ وَحُرمَـةِ أبرارِهِـم لَـكَ خُشّـعُ
إلهي فانشرُنـي على دِينِ أحمدٍ مُنيبـاً تَقيـا قَانِتـاً لَـكَ أخضَعُ
وَلَا تحرِمنـي يا إلهي وَسَـيّدي شَـفَاعَتَهُ الكُبرى فَذَاك المُشَفّعُ
وَصـلِّ عَليـه مَـا دَعَـاكَ مُوَحِّدٌ وَنَاجَـاك أخيـارٌ بِبَابِـكَ رُكّـعُ

---

١ – ولعل من ذلك ما صوره لنا عنترة العبسي عن متيمته عبلة فيقول

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيـض الهنـد تقطـر مـن دمي
فـوددت تقبيـل السـيوف لأنهـا لمعـت كبـارق ثغـرك المتبسـم

قيود وشروط الدعاء

الدعـاء هـو حالة تواصـل العبد بربـه والتجاء المخلـوق الى خالقه وطلب العـون واسـتمداد القـوة والنصرة منه وهـذه الامور لكي تتحقـق المحصلة النهائيـة لهـا لابد من توفر المقدمات الأولية الأساسـية و تتظافر عدة عوامل لكي تتولد النتيجة التي يأملها العبد من الله سبحانه وتعالى ونزيد هنا شيئا مهماً وركنا ركينا وهو ان هذه المقدمات وتلك الوسـائل هي مقتضيات فقط وعلـل ناقصة والأمـور جميعها بيد الحق سـبحانه ومقاليدها بقدرته (والله غالـب عـلى امره) فليـس بالضرورة المطلقة انـه كلما توفرت هـذه المقدمات فـان الاسـتجابة لابدية وحتميـة وفورية بل قد تتأخر الاسـتجابة لفترة وقد تسـتمر لسـنوات لأسـباب نجهلهـا نحن وهي تجري حسـب نظـام الحكمة المتعالية مثل تأخر استجابة دعاء يعقوب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في العثور على ابنه يوسف (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وذرفه الدموع السـواجم و ابيضاض عينيه من ألم الحزن والفراق وانكسار قلبه على ولده رغم كل ذلك وبعد سنين طويلة حصل اللقاء والتقى وصـال الأحباء فهذا المشـهد لو لاحظناه من زاوية معينـة ففيه من العاطفة الجياشة والرقة الانسانية ما يفطر القلب ويسلب اللب ولكن لو لاحظناه من زاوية اخرى من المشـهد وبنظرة فيها من الرقي والتسـامي وبمجهر العقل لا العاطفـة فسـنلاحظ أن الكمـال والارتقاء بدأ ليوسـف (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وتوجهه نحـو بوصلة منصـب عزيز مصر وأصبح رأس الهرم والسـنام الأول لحاكم مصر وخوض معركة نشر تعاليم دين الله تبارك وتعالى واسندت اليه مهمة

الرسـالة الربانية في تلك البقعة من المكان وذلك الصقع من البلدان ومصر في تلـك الفترة من الزمان تعتبر مـن الدول المتقدمة في العالم القديم آنذاك ان لم نقل اولها قوة ورقياً .

هـذا بخصوص تأخر اسـتجابة الدعـاء وقد لا تكون اسـتجابة اصلاً كما ورد في سـؤال النبـي محمـد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) لربه في عـدم انقلاب قومه على وصيـه علي أمـير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقد أخبر الله سـبحانه وتعالى نبيه بذلك وطلب من الحق تعالى شـأنه أن لا يؤذوه ولا يكيدوا له المكائد ولكن الارادة الالهيـة كانـت ماضية ففي الخبر عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (يا علي إنك مبتلى ومبتلى بك) وأيضًا (قلت يا رسـول الله ما هذه الفتنة قال يا علي فإنك تخاصم فأعد للخصومة) وفي الزيارة الجامعة (الباب المبتلى به الناس) وكذا الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حينما قال (اللهم إن كنت حبست عنا النصر فاجعل ذلك لما هو خير لنا) [1]

وتأخير الاسـتجابة أو عدم تحقيقها في عالم الدنيا حقائقه مجهولة عندنا وأسبابه مختصة به سبحانه ولكن غاياته تتكشف ويظهر تبيانها شيئا فشيئا فهذا مقام أمير المؤمنين وولده سـيد الشـهداء (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) من الرفعة والسـمو في الدنيا ما لا يعلمه إلا هو سبحانه ومقام اعداءهما ومن نابذهما وحاربهما يحـاول التأريـخ جاهـداً زوراً وبهتاناً أن يـبرر أفعال مـن ناوأهما ويلتمس الأعـذار ويصطنـع المكرمات ولكـن الحق أبلـج والباطل لجلـج ولنرجع الى

---

١ - البحار ج ٤٥ ص ٤٧

الشروط المهمة التي تعتبر مفتاحاً لاستجابة الدعاء

١. اختيار الوقت المناسب كليلة الجمعة ويومها والليل بصورة عامة عندما ينام الأنام وتهدأ النفوس ويخلو الحبيب بحبيبه ولعل الآية المباركة ترشد الى ذلك (ان ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا) وهي ليست مختصة بصلاة الليل وإن فسرت في بعض الاخبار فإنها من باب أظهر الأفراد لأن الناشئة ما ينشئ بالليل سواء أكان صلاة أم دعاء أم توسلا أم اعترافاً بذنب وخصوصاً وقت السحر ووقت الزوال من يوم الجمعة وقبل الغروب منه وايضا أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وغيرهما

٢. اختيار الأماكن المشرّفة كالحرم والكعبة المطهرة وعرفة والمساجد وبجوار قبر النبي الخاتم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) والائمة الهداة خصوصاً الدعاء تحت قبة سيد الشهداء (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقد روي (ان الله سبحانه وتعالى عوض الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن قتله بأربع خصال جعل الشفاء في تربته وإجابة الدعاء تحت قبته والائمة من ذريته وان لا تعد أيام زائريه من أعمارهم .[1]

٣. عند بعض الأفعال كالصلاة فإنها معراج المؤمن وقربان كل تقي وعقيبها فإن للمصلي دعوة مستجابة بعد الصلاة وعند نزول المطر وعند الزحف على الأعداء في ساحات القتال وعند هبوب الرياح وعند نزول المطر وغيرها

١- عدة الداعي ص ٥٠ وآمالي الطوسي ص ٣١٧ ج ٩١

٤. عنـد الصدقـة فقد كان الإمـام زين العابديـن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول للخادم (امسكي قليلا حتى يدعو) . [١] وكان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقبل يده عند الصدقة فسـئل عن ذلك فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (انها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل) [٢]

٥. عدم الدعاء بالملحون وهو من موارد استجابة الدعاء كما ذكره الامام السبزواري عطر الله مرقده في تفسيره الملكوتي المواهب

٦. حالـة الخشـوع التام والانقطـاع الخالص لله سـبحانه وتعالى فإنها تجعل الإنسـان قريبا من سـاحة القدس الإلهي والمقام الربوبي وقد ورد في الخبر عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (إذا اقشعر جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبـك فدونك دونك فقد قصد قصدك) . [٣]

٧. تقديـم الصـلاة عـلى النبـي محمـد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) فعـن الصـادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مـن كان لـه إلى اللـه حاجة فليبدأ بالصلاة عـلى محمد وآله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) ثـم يسـأل حاجته ثم يختم بالصـلاة على محمد وآله فـان الله عز وجل اكرم من ان يقبل الطرفين ويدع الوسـط إذ كانت الصـلاة عـلى محمد وآل محمـد لا تحجب عنه .

٨. تقديـم الاسـم الاعظـم امـام الدعـاء وهـذا الاسـم الشريـف وإن لم يعلـم بعينـه إلا من أطلعـه الله تبـارك وتعالى عليه مـن صفوته من خلقـه كأنبياءه ورسـله وأوليـاءه إلا أنه قد وردت بعض الاشـارات

١- عدة الداعي ص ٩٥

٢- عدة الداعي ص ٦٠ وامالي الطوسي ص ٦٧٣ ج٢

٣- عدة الداعي ص ١٥٤

والرمـوز التـي يلوح منها اليه فمثـلا [١] ورد عن النبي الأكرم محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) إن (بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم أقرب الى اسـم الله الاعظـم من سـواد العـين الى بياضها) ومـا روي انـه في آية الكرسي وأول آل عمـران وآخـر الحـشر [٢] بـل ان بعض الشـامخين في مقام السـلوك الى الله تبارك وتعالى يعتبر ان كل اسـم من أسمائه الحسنى هـي من تجليات الاسـم الاعظـم واشراقات الذات الاتـم بشرط حالة الذوبان التام والانقطاع المطلق عن الخلق والسـفر نحو ساحة الحق تعالى مجده فلذا لابد من التركيز والاهتمام الاكيد بهذه الخاصية التي هـي روح الدعاء وحقيقته وإلا فمع عدم التوجه الحقيقي والحضور القلبي يكون صرف لقلقة لسـان ودعاء من فم وسنان . وايضا ننوه هنـا عـلى امر وهو ان هذه القيود التي ذكرنا مجملها توجد غيرها قد ذكرت في كتب الادعية والاذكار كمصباح المتهجد لشيخ الطائفة وعدة الداعـي لابن فهد والمصبـاح للكفعمي وغيرها ومما يجب ملاحظته أيضـا ان هـذه القيود التي في المندوبات هي من بـاب تعدد المطلوب .

١- البرهان ج ١ ص ١٠١ ومهجع الدعوات ص ٣٧٩

٢- عدة الداعي ص ٥١

دعاء الإمام السبزواري (طاب ثراه) في طريق الحج

مجمل هذه القصة ان الإمام السبزواري عطر الله مرقده كان في سفر الحج وقد نفد الوقود في سيارات القافلة وبقوا هناك اياما وان الطعام والماء قد بدأ بالنفاد شيئا فشيئا حتى سلموا أمرهم إلى بارئهم وبقوا ينتظرون أجلهم وليس لهم بارقة لأملهم ولكن هناك سيدا وملاكا روحانيا قد انعزل عنهم وبادر الى جهة اخرى من مهجعهم وكأنه يريد أن يختلي بربه ويفر منهم اليه امتثالاً لهذه الآية المباركة (ففروا الى الله) وأراد الهجرة لربه كهجرة جده إبراهيم الخليل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كما ذكره الحق تعالى مجده في كتابه الكريم حاكيا عنه (إني مهاجر إلى ربي) فحلق قلب هذا السيد ونقل فؤاده إلى حبيبه الأول ولنرسم في مخيلتنا تلك الحالة بذكر شعر لابي تمام حينما يقول :

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه ابدا لأول منزل

فألقى خُمرة صلاته (أي سجادة الصلاة) على البيداء وحلق بروحه إلى فاطر الارض والسماء فأشرقت امارات الضياء ولاح في صفحات الوجود ملامح استجابة الدعاء حيث ظهر لهم بعض الأولياء ما يسر لهم من القدر والقضاء . ولنقتطف من مواهبه ما يذكره هو عطر الله مرقده حيث يقول :(وقد اعتبر بعض العلماء رحمهم الله تعالى ان بعض مراتب الانقطاع التام اليه عز وجل إذا كانت الحالة جامعة للشرائط من الاسم الأعظم وقد جربت ذلك في بعض

أسفاري الى بيت الله الحرام بعد انقطاع الرجاء إلا منه

فـكان مـا كان ممـا لسـت اذكـره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر انتهى.

ونقول ان هذا البيت هو من أبيات للشاعر ابن المعتز نقتبس بعضاً منها

لاحظتـه بالهـوى حتى اسـتقاد له طوعـاً واسـلفني الميعـاد بالنظـر

وجاءنـي في قميـص الليل مسـترا يستعجل الخطو من خوف ومن حذر

فقمت افـرش خـدي في الطريق له ذلاً واسـحب أذيـالي عـلى الأثـر

ولاح ضـوء هـلال كاد يفضحنـا مثـل القلامـة قـد قدت مـن الظفر

فـكان مـا كان ممـا لسـت اذكـره فظـن خـيرا ولا تسـأل عـن الخبر

التفاعل التام بين المقدمات والنتائج

أتى شخص للإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال له (آيتان في كتاب الله عز وجل اطلبهما فلا أجدهما قال وما هما قلت قول الله عز وجل (ادعوني أستجب لكم) فندعوه ولا نرى إجابة قال أفترى الله عز وجل أخلف وعده قلت لا قال فمما ذلك قلت لا أدري قال ولكني اخبرك من أطاع الله عز وجل فيما أمره من دعائه من جهة الدعاء أجابه قلت وما جهة الدعاء قال (تبدأ فتحمد الله وتذكر نعمه عندك ثم تشكره ثم تصلي على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) ثم تذكر ذنوبك فتعترف بها ثم تستعيذ منها فهذا جهة الدعاء ثم قال وما الآية الاخرى قلت قول الله عز وجل (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وإني انفق ولا ارى خلفا قال أفترى الله عز وجل أخلف وعده فقلت لا قال فمم ذلك قلت لا أدري قال لو أن أحدكم اكتسب المال من حله وانفقه في حله لم ينفق درهما إلا اخلف عليه)[1] في هذه المحاورة يلاحظ هنا وجود ارتباط هندسي بين مادة الدعاء والنتائج المنتظرة منه وليس هنا حالة من العشوائية اللا منتظمة التي فقط تذكر فيها الألفاظ من مخارجها دون ان تمس الجوهر الإنساني وأعماق الروح فقد ورد في الخبر عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه فاذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الاجابة) ونظيره ورد في الاستشفاء بتربة سيد الشهداء (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بأنه لابد من الاعتقاد بأنها جزء السبب في حصول الشفاء

---

١ - البرهان في تفسير القرآن ج ٧ ص ٣٣ ج ٧ اصول الكافي ج ٢ ص ٤٥٥ ح ٨

بعـد حصول المشـيئة الالهية ولابد من تحريك للنفس ورفـع للحالة المعنوية للشخص الذي يلتمس الشفاء من الله عز وجل بسببها ورفع الحالة المعنوية وتنشـيط قدرته الصحية من المسلمات في علم الطب وخصوصاً الطب النفسي الذي يعالج المريض من الزاوية النفسـية وملاحظة أبعاد النفس وانفعالاتها وهواجسـها ووضع الحلول الناجعة لها كما يذكر ذلك الدكتور علي كمال في كتابـه (النفس انفعالاتها وامراضها وعلاجهـا) وكذا يبحث هذا الموضوع في علم الاجتماع وهو كون الانسـان عنصرا نشـطاً وفعالا في محيطه الاجتماعي وعـدم التقوقـع التام على نفسـه والانطواء عـلى ذاته فانه احد اسـباب هدم الشـخصية الانسـانية ويجعلها تفقد القدرة على مواصلة اداء الرسالة الالهية التي كلفنا بها فالتراجع القهقرائي في النفس الانسـانية للافراد ينعكس سلباً على المجتمع بصورة عامة لان المجتمع هو الكائن العضوي المؤلف من الأفراد فتأثـير القدرة النفسـية في المجتمع مما لا ينكر وايضا ان المقدرة النفسـية لا تختص بالبعد النفسي العلاجي للمريض بل في رفع الحالة النفسـية للمقاتل في ميادين الحـروب وسـاحات الوغى فلها اثر بالغ في تحديـد نتائج المعارك وادامـة زخم القتال لان انكسـار نفسـية المقاتل توجب انهيـاره التام وفقده لأخـذ زمـام المبادرة ولو كانت العدة والعدد ووجود الاسـلحة المتطورة لديه وهذا ما ذكره النبي الاكرم محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) (نصرت بالرعب) وترشـد اليه الآية المباركة (سألقي في قلوب الذي كفروا الرعب) وهو ما يسمى الآن في العصر الحديث الحرب السـيكلولوجية او البروباغندا وهي ايضا تسـتعمل في احباط معنويات الاعداء بتكتيكات تسهل كسر شوكتهم وفي كتاب (بروباغندا

: تشـكيل مواقف الرجال) تناول جاك إلول الحرب النفسية واعتبرها صورة من صور العدوان غير المباشر ومن المهم الاشـارة هنا لشيء وهو انه يصعب صـد هـذا العدوان النفـسي اذ لا توجد محكمـة عدل دولية قـادرة على درئه لأنه لا سـبيل الى البت فيه قانونيـا ففيها يتم التعامل مع خصم يريد تحطيم معنوياتـه بوسـائل نفسـية ليجعله منخـورا من الداخل ويوجـد الآن في علم الحـروب الحديثـة مصطلـح الحـرب السـيبرانية وهـي مزيج مـن الحروب النفسـية الالكترونية والقتال والمواجهة ولكـن من خلال الهجوم الالكتروني وتدمـير حواسـيب وانظمـة التواصل للخصـم وهي حرب لا تقـل اهمية عن الحرب الاسـتراتيجية والذي قرأناه في التاريخ المدرسي من انكسار للمسلمين بسـبب الانهيار النفسي في معركة أحد ومعركة حنين هو شـاهد واضح لهذا الموضوع الهام .

النسبية بين الدعاء والقرآن

عن معاوية بن عمار قلت للصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رجلان افتتحا الصلاة في ساعة واحدة فتلا هذا القرآن فكانت تلاوته اكثر من دعائه ودعا هذا فكان دعاؤه اكثر من تلاوته ثم انصرفا في ساعة واحدة أيهما أفضل قال كل فيه فضل كل حسن قلت اني قد علمت ان كلاً حسن وان كلا فيه فضل فقال الدعاء أفضل أما سمعت قول الله عز وجل (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) هي والله العبادة هي والله افضل هي والله افضل أليست هي العبادة هي والله العبادة هي والله العبادة أليست هي اشدهن هي والله اشدهن هي والله اشدهن) [1] الملاحظ هنا انه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد اقسم بربه تبارك وتعالى سبع مرات واستعمل صيغ الجمل الاسمية التي تدل على الدوام والثبوت واتى ايضا بالاستفهام التقريري كل هذه القرائن تشير الى ان هناك شيئا يريد ان يبينه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وإلا فما الداعي الى كل هذه التأكيدات والاقسام المتعددة بل يكفيه اخبار واحد بأن الدعاء افضل من تلاوة القرآن لذا لابد من التأمل في هذه الرواية ولماذا اكد الامام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومن المعروف للجميع ان القرآن رتبته هي رأس الهرم بل فوقه وهو كلام الحق تسامى في كبرياءه وغيره كلام المخلوق من كلام النبي الاكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) الى كلام مولى الموحدين علي(عَلَيْهِ السَّلَامُ) وغيره من الائمة الاطهار بل ان الآية المباركة ليس في منطوقها ما يشير الى افضلية الدعاء على قراءة القرآن فلا تصلح ان تكون دليلا لهذه الدعوى وذلك لانها في مقام

١- التهذيب ج٢ ص ١٠٤ ح٣٩٤
البرهان في تفسير القران ج٧ص٣٢ ح ٤

دعوة الناس اليه سبحانه لقضاء حوائجهم وان من يمتنع من طلب حوائجه منه سبحانه ويتوجه لغيره بل ويستكبر في طلب جميع متعلقاته من ربه فهو قد جعل ذاتا اخرى يتوجه اليها هي ند لله ويدخل في زمرة ابليس واتباعه الذي استكبر وتمرد على ربه . فأذن مفاد الآية ما اشرنا اليه اما كلام الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وكثرة فقرات القسم التي تكررت - خصوصاً وهم يقولون ان القسم مكروه صادقا وان كان هذا الكلام غير مسلم على اطلاقه لأنه قد ورد القسم من خليل الرحمن في القرآن ولو اجابوا بأنه لا يستلزم ما في شريعته بأن يكون غير مرجوح عندنا فلعله في شريعته مباحاً وعندنا مكروه فنقول انه نذكرهم بالمقولة الشهيرة لأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عندما ضربه اللعين ابن ملجم على رأسه الشريف حيث قال (فزت ورب الكعبة) فهذا قسم منه وهو ذاهب الى علياء ربه - فأذن لابد من توجيه هذه الرواية بأنها في مقام الرد على الذين يتلون القرآن فقط بدون التوجه الى الله ودعائه وطلب الحوائج منه و اهمال ادعية الائمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وعدم التزود من هذه المعارف الالهية والينابيع الربانية او القراءة السطحية التي لا تعدو فقط اهتماماً بالألفاظ بدون الغوص في باطن القرآن واستخراج دره وجواهره وغيرها من المحامل وإلا كيف يكون تفضيل الدعاء على القرآن وهم قد ورد عنهم انهم يتلون القرآن ويتمونه في ثلاثة ايام واكثر بل ورد عنهم انهم يستطيعون اتمامه بأقل ولكن لا يفعلون ذلك وماذا نقول ونحن نقرأ قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيبتي) وهو الثقل الأكبر والعترة هي الثقل الأصغر وهل يكون الدعاء أثقل من الثقل الاكبر

جدلية نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقومه

(قال ربِّ اني دعوت قومي ليلاً ونهارا فلم يزدهم دعاءي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا) [١] ان هذا النبي العظيم في هذه الآيات المباركات يبث شكواه الى خالقه ومعبوده والمطلع على جميع احواله وكل حركاته وسكناته هنا يلتذ بمخاطبة الحق تعالى شأنه وما لهذه المناجاة من ترويح عن النفس وطرح ما موجود من ثقل الهموم والآلام التي تحملها من قومه فهو يلتمس العون منه سبحانه وامداده بالفيض الرباني والنصر الرحماني فيكشف لربه انه قد باشر مهمة الدعوة بنفسه في جميع الآنات وبحسب الطاقة البشرية خلال اليوم وبمختلف الأوقات مما يكشف عن حجم المنزلة وأداء الرسالة الملقاة على عاتقه حيث باشر العمل ميدانيا وحاول جهد الامكان ان يصحح مسار بوصلة قومه نحو خالقهم وارجاعهم الى فطرتهم النقية وطبيعتهم الاولية التي جبلهم الله عليها ولكنهم ابوا إلا عنادا وإصرارا على باطلهم فان الانبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وكما يقول مولى الموحدين امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في نهج البلاغة (فبعث فيهم رسله وواتر اليه انبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول) إذن هدفهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) تنقية الضمائر وارجاع الناس لشفافيتهم الاصلية التي خلقهم الله

١- نوح الآيات ٥ - ٩

عليها واثارة نوازع الحق التي بذورها في خبايا نفوسهم حيث يقول تبارك وتعالى (فماذا بعد الحق إلا الضلال) [١] وهنا وقفة تستحق التأمل وهي كيف اصبح دعاء هذا النبي المربي ان ينقلب علاجه الى أثر عكسي ويكون سببا للابتعاد عنه والنفرة منه بل الملاحظ ان علامات الانكسار والهروب من الخصم هي سمتهم حيث انهزموا من كلمات ملكوتية واسرار لاهوتية فهو لم يستعمل معهم قوة بدنية ولا قدرة جسمية بل دعوة للحق وتوجيهاً للخلق ولكنهم لم يقابلوا الكلمة بالكلمة ولا الحجة بالحجة بل تفرقوا ايدي سبأ وتفرطوا تفرط العقد ولنستمع لجرحه النابض وتألمه عليهم حيث يقول لربه تعالى شأنه (واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا) فهو يدعوهم لكي تغفر ذنوبهم وتحط عنهم الآصار عن ظهورهم ويقربهم لربهم زلفى يجعلون اصابعهم اي اناملهم في آذانهم وهو هنا مجاز مرسل من باب اطلاق الكل على الجزء وهم ايضا يتغطون بثيابهم لكي لا يسمعوا من خلال وضع الانامل في الآذان ولا يروه من خلال التغطي بالثياب وقريب هذه الآية المباركة قوله تعالى (ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) ونلاحظ هنا هذا المقطع من قوله تعالى (واصروا واستكبروا استكبارا) فهي جملة فعلية والجملة الفعلية كما هو معلوم تدل على التجدد والحدوث بخلاف الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت فهم في حالة تجدد لهذا الاصرار وتتابع لهذا الاستكبار بل اكده الحق تعالى مجده بالمفعول المطلق (استكبارا)

١- يونس آية ٣٢

ومعلـوم في العلوم الادبية بأن مـن احد معانيه تأكيد عامله فهم قد بالغوا في الاستكبار ووصلوا النهاية في الإنحدار الى اسفل قرار فلذا اتى سبحانه وتعالى بهـذه التأكيدات ب (إنّ) والجملة الاسـمية واتى بالمفعـول المطلق النائب عن المصدر وهو (جهارا) ليبين عزمه في محاربتهم ورباطة جأشه في مصاولتهم وكـذا تكـرار الجار والمجرور (لهـم) في الجملتين لإفادة التشـديد منه في هذا المجال بالإعلان منه لهم والاسرار كذلك في الدعوة لهم ثم أكد بالمفعول المطلق (إسراراً) لتوكيـد عاملـه فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ قـد ذكر ثلاث حالات ٠

الحالة الاولى: وهي الدعوة السرية

الحالة الثانية: هي حالة الدعوة العلنية

الحالـة الثالثـة: حالة الدعوة الزمانية بقدر الوسـع فكأنه في باب الامر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر راعى هذه الحـالات ولاحظ جميـع الصفات وبمختلف الاسـاليب والابتداء بالأسـهل والاخف مؤونة عليهم شـيئا فشـيئا حتـى لا تتنفـر نفوسـهم ولكنهم وضعـوا اصابعهم في آذانهم بـل هنا نكتة بيانيـة في قولـه تعالى (واستغشـوا ثيابهم) أتى بالاسـتفعال فكأن ثيابهم قد غشـيتهم وليسـوا هم من تغطوا في ثيابهم وفي هذا من سـحر البيان ما يحير الجنان

الشمولية في الدعاء

عن الامام موسى بن جعفر الكاظم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) انه قال (كانت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ اذا دعت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها فقيل لها يا بنت رسول الله انك تدعو للناس ولا تدعو لنفسك فقالت الجار ثم الدار) [١] نكران الذات منقبة من المناقب لا تحصل لأي فرد ولا تحصل اعتباطا بل هي مزيج من مجاهدة الانسان لنفسه وغمر الاخرين بدفء حنانه فيحصل السمو لهذه النفس التي تشعر بنشر ما يترشح منها على الاخرين وكذا تحصل بلطف الهي وتفضل ربوبي يمنحه لمن يرى منه الاهلية الكاملة لهذا التفضل لأنه بقدر الاستعدادات تكون الافاضات والزيادات ولذا يقول ابو الطيب المتنبي عن هذه النفوس الكبيرة

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجساد

ولعله هو اقتبس هذا المعنى من قول امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لهمّام في وصف المؤمنين[٢] حيث يقول (نفسه منه في عناء والناس منه في راحة اتعب نفسه لأخرته فأراح الناس من نفسه) فهذه النفس التي تسمو في علياءها وتسخو بما عندها لرفع المحن عن كاهل الاخرين وسر سعادتها ان تمالئ الكبد الحرى وتهطل الرهام على الصديان

والى هذا المعنى يشير المتنبي ايضا

١- وسائل الشيعة ج ١٧ ص ١١٣

٢- الكافي ج٢ ص ٢٢٦

البحار ج ٦٤ ص ٣٦٥

إذا كان مـا تنويـه فعـلا مضارعـاً مـضى قبـل ان تلقـى الجوازمُ

فمـن يتطبع بهذه الطباع وتصبح لازمة له لا تنفك عنه فمن الممكن ثبوتا القـول انهـا تلازمه في غير هـذه الحياة الدنيـا من العوالم الاخرى فيتوسـل بخالقه ويشفع ويتوسط لانقاذ الاخرين من ظلمات الذنوب وتبعات العيوب بل اثباتا قد ورد ما يؤكد هذا المعنى فعن النبي الأكرم محمد (صلى الله واله وسـلم) (اهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الاخرة) [١]

وقـد ذكر في البحـار [٢] نقلا عن تنبيه الخاطر ان مالك الاشـتر رضي الله عنه كان مجتازاً بسـوق وعليه قميص خام وعمامة منه فرآه بعض السـوقة فـأزرى بزيه فرماه ببندقة تهاونا به فمضى ولم يلتفت فقيل له ويلك تعرف لمـن رميـت فقال لا فقيل له هذا مالك صاحـب امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فارتعد الرجل ومضى ليعتذر اليه وقد دخل مسجداً وهو قائم يصلي فلما انفتل انكب الرجـل عـلى قدميه يقبلهما فقال مـا هذا الامر فقال اعتـذر اليك مما صنعت فقال لا بأس عليك فو الله ما دخلت المسـجد الا لأسـتغفرن لك ٠

وسـبب ارتعـاد هذا الشـخص وخوفه وذلـك لان مالكاً هو قائـد القوات العلوية وهو كما يقول عنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (كان لي كما كنت لرسـول الله) [٣] فهو بمثابـة وزيـر الدفـاع في المصطلـح الحديث الآن ويقـول عنه ايضـا لما نعي الأشـتر مالك بن الحارث النخعي الى امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تأوه حزنا وقال رحم الله مالكاً وما مالك عز علي به هالكا لو كان صخرا لكان صلدا ولو كان

١- الكافي ج ٤ ص ٣٠ ح ٣ باب ان اهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الاخرة

٢- البحار ج ٤٢ ص ١٥٧

٣- رجال ابن داوود الترجمة برقم ١٢٥٤ وشرح النهج ج ١ ص ٩٨

جبـلا لكان فندا وكأنه قدّ مني قدا)[١] ولنذكر هذه الرواية ختاماً لكلامنا ولا نعقب عليها بشيء ونترك التعقيب للقارئ نفسـه ٠ فعن علي بن أسـباط عن ابراهيـم بن ابـي البلاد او عبد الله بن جندب قال كنت في الموقف فلما أفضت لقيت ابراهيم بن شـعيب فسـلمت عليه وكان مصابا بإحدى عينيه واذا عينه الصحيحة حمراء كأنها علقة دم فقلت له قد اصبت بإحدى عينيك وانا مشفق لك على الاخرى فلو قصرت من البكاء قليلا فقال قال لا والله يا ابا محمد ما دعوت لنفسي اليوم بدعوة فقلت لمن دعوت قال دعوت لإخواني لأني سمعت ابا عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول من دعا لأخيه بظهر الغيب وكل الله به ملكاً يقول ولـك مثـلاه فأردت ان اكون انما ادعو لإخواني ويكون الملك يدعو لي لأني في شـك من دعائي لنفسي ولست في شك من دعاء الملك لي[٢]

ابراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رائد الدعوة التوحيدية

قـال تعـالى (ان ابراهيـم لأواه حليم) التوبة/ ١١٤ وكـذا قوله تعالى (ان إبراهيـم أواه منيب) هود /٧٥

ومعنـى الأواه هـو المتـضرع الى اللـه سـبحانه وتعـالى كثير الدعـاء لربه والتأوه على ما سلف منه من تقصير بحقه ٠ ومما حبا الله ابراهيم ان جعله اباً للديانات الثلاث اليهودية والمسـيحية والاسـلامية وكلها تفتخر بأنها منه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وان النبـي الخاتـم محمـد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) من ذريتـه حيث يقول

١- رجال الكشي ١ / ٢٨٣ وجامع الرواة ج ٢ / ٣٧ ورجال ابن داود ١٥٧ / ١٢٥٤

٢- الاختصاص ص ٨٩ والبحار ج ٩٠ ص ٣٩

(أنـا دعـوة ابي ابراهيم) [١] وذلك لان ابراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد دعا الله سـبحانه وتعـالى في ان يبعـث فيهم نبيه محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) كما ذكره الله في كتابه المجيد (وابعث فيهم رسـولا منهم) [٢] ومن المهم ان نسـلط الضوء على بعض مميزات هذه الشـخصية الملكوتية فهو قد قارع العتاة من فراعنة قومه وهو في مقتبل عمره كما يصرح به كتاب الله الكريم بقوله (سـمعنا فتىً يذكرهم يقال له ابراهيم) فواجه بمفرده سـلطة الطغاة وأذنابهم بقوة مسـتمدة من الحـق تعالى شـأنه ولا ريب انه في تلك الفـترة من عمره على قدر من الاتصال بربه والذوبان في الدعاء مع الحق سـبحانه وإلا فشـاب في بداية عمره وليس له ركن وثيق يلجأ اليه عندما تدور اعاصير الظلم عليه من المحال ان يحافظ على تماسكه وقوة قلبه ما لم يكن هناك اتصال الهي ودعاء نبوي كي تتدفق على قلبه الشريف الطاقة الايجابية التي تعصمه من الانهيار امام اعداءه فهذا الدُعاء الذي يعتبر كجرعة منشـطة للانسان تدفعه للامام وتحثه على الاقدام قد امتاز به الانبياء وابرزهم خليل الرحمن وجليل المنان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومن لوازم هـذا الدعاء ان افاض عليه صفة الحلم وغض الطرف عن اسـاءة الاخرين له حتى وان كانت من اقرب الاشـخاص له كما في قصة ايذاء سـارة له وتحمله وصبره على سـوء خلقها معه وشـفقته الواسـعة على قومه بل على غير قومه ولنأخذ الفرق الواسـع في هذا المجال بينه وبين نبي الله لوط (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حيث يخبرنـا اللـه في كتابـه المجيد عن لـوط (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بقولـه (ان موعدهم الصبح

١- امالي الشيخ ص ٣٧٩

٢- البقرة: ١٢٩

اليس الصبح بقريب) حيث طلب اهلاك قومه واستئصال شأفتهم بسبب فعلهم الشـنيع المنافي للفطرة الانسانية وهم يسـتحقون ما ينزل بهم من العذاب الا ان صاحـب القلب الرحيم والنبي الحليم كان جوابه لرسـل اللـه تعالى من الملائكة مختلف عن جواب لوط (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حيث يقول (ان فيها لوط) فهو قد انتزع من وجود فرد واحد صالح وجعله ذريعة لعدم اهلاك الاخرين ولا غرو في ذلك لان الانبياء يتفاوتون بمؤهلاتهم ويتفاضلون في خصوصياتهم والله تبارك وتعالى يقول (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) [١] ولنذكر مثالاً آخر على ابداعات هذا الرسول العظيم فان المحاورة التي جرت بينه وبين الملائكة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) تبين الفارق الكبير في التعبير والصياغة البيانية بينه وبين الملائكة فمثلاً عند دخولهم عليه اخبرت الآية الكريمة عن ما قالوه وهو (فلما دخلوا عليه قالوا سلاما) بينما هو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد قال (قال سلامٌ) فما الفارق هنا بين الصياغتين فنقول الفارق كبير وذلك لانهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) استعملوا الجملة الفعلية وهي سلاماً اي نسلم نحن عليـك سـلاماً والجملة الفعلية كما هم معلوم في العلـوم الادبية تدل على التجدد والحدوث بينما هو قد اسـتعمل الجملة الاسمية ولنرجع الى تعبيره حيث يقول (قال سـلام) اي سـلام عليكم فاسـتعمل الجملة الاسـمية وهي تدل على الدوام والثبوت فهو يخبر عن دوام وثبوت السـلام لهم وفرق كبير بين الحدوث وبين الدوام والثبوت وهذا النكات والرشـحات من شـخصية هـذا النبي العظيم هي افاضات من الحق سبحانه بسبب تفانيه واتصاله بالدعاء مع ربه وافناء نفسه في سـاحة معدن العظمة وفيض الرحمة ٠

---

١ - البقرة : ٢٥٣

الاحتياج الى الدعاء في داخل جهنم

(قال الذين استكبرا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال) [١] من الملفت للنظر في هذه الآية المباركة ان هؤلاء الكافرين يأنفون من العبادة لربهم ودعاءه في انارة طريقهم وهدايتهم وهم في دار الدنيا بينما بعد فوات الاوان وطي صفحة عالم الدنيا وبداية عالم العدالة الالهية يتوسلون ويوسطون ملائكة العذاب في جهنم ان يرجوا الله في تخفيف العذاب ورفع شدة المصاب ولو يوما واحد كي يتنفسوا الصعداء ويرفع عنهم العناء حتى لو كانت الفترة محدودة والمعاودة عليهم مردودة ولكن هيهات لا عطر بعد عرس ومن المهم الاشارة الى انه يوجد تناسب طردي بين الاستكبار والانفة من الدعاء وهم في دار الدنيا كما تخبرنا بذلك الآية الكريمة (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) فهو قد اخبر عنهم وعن مآلهم انهم في النار اذا استكبرتم وانفتم عن دعائه وكذا الآية الشريفة (واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذنهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارًا) بينما في دار الاخرة تنقلب الصورة فالذين كانوا مستكبرين يتوسلون ويطلبون من الوسائط ان يدعوا الله سبحانه في تخفيف العذاب عنهم ٠ وهنا ملاحظة تحتاج الى تأمل

---

١ - غافر الايات ٤٨ - ٥٠

في الآيــة محــل البحث في كلمة (ربكم) اي لماذا لــم يقولوا (ربنا) فهي تحتمل عدة احتمالات

الاحتمال الاول : عدم اســتطاعة الســنتهم النطق بها بســبب اســتكبارهم وطغيانهــم فهــم لا يتقبلون هذه الكلمة حتى وهم في اشــد حالات العذاب

الاحتمال الثاني : حالة الهســتيريا التي يعيشــونها من شدة صعق العذاب وتتابــع ارتداداتــه عليهم فهم لا يســتطيعون الســيطرة التامــة على مفردات كلامهم

الاحتمــال الثالــث : هــي ان طبيعتهــم في دار الدنيــا التــي امتــازوا فيهــا بالاستكبار والتمرد اصبحت من لوازمهم الذاتية التي لا تنفك عنهم وانتقلت معهــم الى العوالــم التي انتقلــوا اليها ٠

الاحتمــال الرابــع : لعلــه بســبب عــدم اســتحقاقهم للخطــاب الربوبــي والمحــاورة المباشرة معه ســبحانه بل لابد من واســطة بينهــم وبينه وهذا ما ترشــد اليه الآيــة المباركة (اخســئوا فيهــا ولا تكلمون)

وهنــا لمســة بيانية ينبغــي الالتفات اليها وهــي الفعل (تــك) لان حقة ان يكــون (تكن) فلمــاذا حذفت النون هنا وما هو المبرر لذلــك ولعله والله اعلم انــه حذفــت لعدم رغبة خزنة جهنم الاسترســال في الــكلام معهم والاقتصار عــلى ادنى حد من المحــاورة ونظير هذا الآية الشريفة الآيــة الاخرى (ولم أكُ بغيا) فان مريم (عَلَيۡهَاٱلسَّلَامُ) لم ترغب في مطاولة الكلام مع شــخص لم تعرفه ولم يتسنَ لها ان تتفحص عن جوهره فاقتصرت على الحد الادنى من الكلام والايجاز الاقصى من المرام

وختـام هـذا البحـث نلاحظ ان الاسـتكبار عنـصر فعال وسـبب اكيد في حرمان الانسان من الدعاء والابتعاد عن باعث الخير والعطاء وسلب التوفيق عن التوجه الى الذات الاقدس وطلب العون منها في ان يشمل الانسان بعطفه ويحيطه بلطفه ٠

ذو دعاء عريض

قال تعالى في الآية المباركة (واذا انعمنا على الانسـان أعرض ونأى بجانبه واذا مسـه الـشر فذو دعاء عريض) [١] تشـير هـذه الآية الشريفـة الى قضية كبروية ترافق هذا المخلوق وهي عند هطول النعم ودفع البلايا والنقم يشيح بوجهه ويثني عطفه وينأى بجانبه ويكفر بربه (قتل الانسـان ما اكفره) إلا من عصمه الله بحبل الاعتصام وهيأ له الاسـباب التوفيق على مدار الايام اما عنـد مـا يذوق البلاء وتحيط بـه اللأواء فهو المتهجد في أنات الليل وسـاعات النهـار والمتنسـك في العبـادة والمتورع في اداء الشـهادة يتخـذ التقوى جلبابا واليقين بربه حجاباً ٠ ونظير هذه الآية المباركة ايات كثيرة نستعرض جملة منهـا كقولـه تعـالى (وما بكم مـن نعمة فمن اللـه ثم اذا مسـكم الضر فإليه تجـأرون) وايضـاً قوله عـز من قائل (واذا مسـكم الـضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) وكذا قوله تعالى (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسـه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون)

١- فصلت : ٥١

وغيرهـا من الآيات المباركات ٠

وسـوف نحـاول في هـذا البحث ان نسـتنطق هذه الآيـة الكريمة ونميط اللثام وننقب بقوة الملك العلام ما نستطيع اخراجه من درر الكلام فان فيها ما يحير العقول ويشـير الى قصـور الفهم عن ادراك منتهى الوصول

فنقول : المس كثيرا ما يستعمل في الاسلوب القرآني بالامور التي متعلقها الـضر والألآم والشر حسـب اسـتقصائنا لكثـير من مواردهـا ولنذكر بعض الامثلـة غـير التـي ذكرناها آنفا فمثلا في سـورة يونس الآيـة ٢١ (واذا اذقنا الناس رحمة بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا) فهنا استعمل الضر مع المس وكذلك في سورة البقرة آية ٢١٤ (مستهم البأساء والضراء) وهذا المقطع (اذا مسـكم الضر) قد تكرر في القرآن المجيد في اكثر من مورد واما في سـورة ص الآية ٤١ (واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه أني مسـني الشـيطان بنصب وعذاب) فقد استعمل المس مع الشيطان وهو محور الشر والضر ومثله ايضا قوله تعالى (الذي يتخبطه الشـيطان من المس) البقرة آية ٢٧٥ بل اسـتعمل كما قلنا فيما يسـبب الألآم والعذاب كقوله تعالى (وقالوا لن تمسـنا النار) [١] و (ذوقـوا مس سـقر) [٢] نعم قد يكون المس لغـير ذلك مما ذكرناه ولذا قلنا كثيرا ما يستعمل ولم نقل دائماً وذلك كقوله تعالى (وان طلقتموهن من قبل ان تمسـوهن) [٣] وكذا (لا جناح عليكم ان طلقتم النسـاء مالم تمسـوهن) [٤]

١- البقرة آية ٨٠

٢- القمر آية ٤٨

٣- البقرة آية ٢٣٧

٤- البقرة آية ٢٣٦

وحكاية عن قول مريم (عَلَيْهَا السَّلَامُ) (أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر) [١] فهذه كلها كناية عن النكاح ولذا فقول الراغب في مفرداته مادة (مسس) ص ٤٨٧ (المس كاللمس ٠٠٠٠ الخ) وقوله ايضا في مادة (لمس) ص ٤٣٧ (اللمس ادراك بظاهر البشرة كالمس) خلاف قاعدتهم المعروفة (ان زيادة حروف المباني تدل على زيادة المعاني) حيث بين مادة (مس) و (لمس) زيادة اللام وان كان لنا كلام في كلية هذه القاعدة ٠

واما مفردة (عريض) كما وردت في الآية الكريمة فهي من العرض والعرض تارة هو ضد الطول وهو امر حسي خارجي ولكنه قد يطلق على المعنويات كهذا الآية الكريمة ولعل منها على بعض الوجوه الآية الكريمة (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً) [٢] وقد تطلق هذه المادة بمعنى المواجهة والجهة غير ملحوظ فيها انها خلاف الطول مثل (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) [٣] و(ثم عرضهم على الملائكة) [٤] و (وعرضوا على ربك صفا) [٥] بل قد تستعمل هذه المادة اعم من الطول والعرض كما في كقوله تعالى (وجنة عرضها السموات والارض) [٦] فالعرض هنا هو الحجم الذي له ابعاد ثلاثة وبمعنى السعة والشمول ومنه التعريض في الكلام وهو

١- آل عمران ٤٧
٢- الاحزاب : ايه ٧٢
٣- الكهف اية : ١٠٠
٤- البقرة اية ٣١
٥- الكهف اية ٤٨
٦- آل عمران آية ٣٣

الذي له شمول ووجهان ظاهر وباطن او واضح وخفي ٠

وفي هـذه الآية الشريفة سـنتعرض الى بحث نفيـس وهو الفرق بين أداتي الشرط (اذا) و(إن) فنقول ان (اذا) الشرطية تسـتعمل في المتيقن وقوعه مثل (كتـب عليكـم اذا حضر احدكم الموت) لان كل واحد منا سـيموت حتما ومنه ايضا (فاذا جاء اجلهم لا يسـتأخرون سـاعة ولا يستقدمون) و(قالوا أإذا كنا عظامـا ورفاتـا أإنا لمبعوثون خلقـا جديدا) ولذا أتى الحـق تبارك وتعالى في سـورة النصر ب (اذا) في قوله تعالى (اذا جاء نصر والفتح) للإشـارة الى انه من المقطوع حصوله ومن موارد استعمال (اذا) في الغالب الوقوع ايضاً مثل (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها او ردوها) و (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائماً) فهنا في هاتين الآيتين ليستا من المتيقن وقوعه بل من الغالب وقوعه بينما مثلا الآيات المباركات (اذا السماء انشقت) و (اذا السـماء انفطـرت) و (اذا الشـمس كورت) الأمر هنا ليـس غالبي الوقوع بل هو من القسـم الاول وهو المتيقن وقوعه ٠

جـاء في الإتقـان للسـيوطي (تختـص اذا بدخولها على المتيقـن والمظنون والكثـير الوقوع بخلاف (ان) فانها تسـتعمل في المشـكوك والموهوم والنادر ولهـذا قال تعالى (اذا قمتم الى الصلاة فاغسـلوا) [١] ثـم قال (وان كنتم جنبا فاطهـروا) [٢] فأتـى ب (اذا) في الوضـوء لتكرره وكثره اسـبابه وب (ان) في الجنابة لندرة وقوعها بالنسـبة الى الحدث وقال تعالى (فاذا جاءتهم الحسـنة

١- المائدة : ٦

٢- المائدة : ٦

قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا) [١] و (واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بهـا وان تصبهم سـيئة بمـا قدمت ايديهم اذا هم يقنطـون) [٢] أتى في جانب الحسنة ب (اذا) لان نعم الله على العباد كثيرة ومقطوع بها و (ان) في جانب السيئة لأنها نادرة الوقوع ومشكوك فيها) [٣] وجاء في التفسير الكبير للرازي في قولـه تعـالى (اذا زلزلـت الارض زلزالها) [٤] قالوا كلمـة (إنْ) في المجوز و (اذا) في المقطـوع به ونظـيره ورد في الطراز (إنّ (انْ) انما يكون ورودها في الامور المحتملة المشـكوك في وقوعها كقوله تعالى (فإن جاءوك فاحكم بينهم او أعرض عنهم)[٥] واما (اذا) فإنما تسـتعمل في الامور المحققة كقوله تعالى (اذا زلزلت الارض زلزالها) وقد ذكر الدكتور فاضل السـامرائي في كتابه [٦] ما نصه (يدلك على ذلك ايضا أن (اذا) على كثرة اسـتعمالها في القرآن الكريم - فقد وردت في اكثر من ثلاثمائة وسـتين موضعاً - لم ترد في موضع واحد غـير محتمـل الوقوع بل كلها امـا مقطوع بوقوعها او كثـير الوقوع بخلاف (إنْ) قالوا ولما كانت (اذا) تفيد الجزم بالوقوع غلب معها لفظ الماضي لكونه ادل على الوقوع باعتبار لفظه بخلاف (إنْ) التي تستعمل في المعاني المحتملة والمشـكوك فيها فانه غلب معها الفعل المضارع) ٠

١- الاعراف : ١٣١

٢- الروم : ٣٦

٣- الاتقان ج ١/ ١٤٩

٤- الزلزلة : ١

٥- المائدة : ٤٢

٦- معاني النحو ج ٤ ص ٦٥

طلب الدعاء المتكرر

(واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) [١]

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي) [٢]

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) [٣]

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء لمهتدون) [٤]

خاطب الحق سبحانه وتعالى في هذه الايات المباركات بني اسرائيل في زمن النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وابتدأ فيها بقوله (واذ قلتم) وهم لم يقولوا هذا الكلام بل ان القصة كلها في زمن نبي الله موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وان أسلافهم واجدادهم السابقون هم الذين حدثت معهم هذه المحاورة ولكنه بما انهم كانوا راضين بأفعال اسلافهم وعاملين بما كان اباءهم الاقدمون يعملون به نسب الفعل لهم ولا ضير في ان يتمسك الانسان بأفعال اسلافه المتقدمين اذا كانوا مرضيي الافعال محمودي الخصال وليس من التقليد الاعمى المنافي للشرع المبين وحبل الله المتين ٠

١- البقرة: ٦١

٢- البقرة: ٦٨

٣- البقرة: ٦٩

٤- البقرة: ٧٠

ولنعم ما قال الشاعر العراقي معروف الرصافي

هـي الاخـلاق تنبـت كالنبات — اذا سـقيت بمـاء المكرمـات

تقـوم اذا تعهدهـا المربـي — على سـاق الفضيلـة مثمرات

واخـلاق الوليد تقاس حسـناً — بأخـلاق النسـاء الوالـدات

وليـس ربيـب عاليـة المزايـا — كمثـل ربيب سـافلة الصفات

الى ان يقول وهو موضع الشاهد

فمـاذا اليـوم ضر لـو التفتنا — الى اسـلافنا بعـض التفـات

فهم ساروا بنهج هدىً وسرنا — بمنهـاج التفـرق والشـتاتِ

فبنـوا اسرائيـل في طلبهـم مـن نبيهم مـوسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد تكـررت منهم هـذه العبـارة (ادع لنا ربك) اربـع مرات ؛ مرة واحدة عندمـا طلبوا الطعام الادنى وذلك في قوله تعالى (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) وثلاث مرات بخصوص البقرة التي أمروا بذبحها وهم كانوا من السهولة بمكان ان يذبحوها من اول مرة قبل رجوعهم المتكرر لنبيهم ولذا عندما شـددوا شـدد الله عليهم واصبحوا فردا بارزاً لقاعدة الشيء كلما زادت قيوده قل في الخارج وجـوده ٠ ولعـل السر في هذا الأخذ والرد بينهـم وبين نبيهم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) علماً ان الامـر لا يحتـاج لهذا الجدال وعناء القيل والقال هو ان نحلل شـخصيتهم ونسـلط الضوء على جوهرهم فنقول ان الإنسـان بسبب التسلط القهري من سلطة حاكمة عليه لسنين متطاولة وأعوام متراكمة يصبح عبدا مطيعا وفردا منفذاً لما يراد منه – هذه الحالة غالبية في ثقافة الشـعوب وحياة الامم – ولا يملك لنفسـه ارادة ولا قيمة ذاتية فهذه النفسـية التي اعتادت سـماع الاوامر

المتكررة من فرعون وزبانيته حيث استعبدهم الأقباط لعقود من الزمن حتى سهل عليهم الانقياد ولذا تراهم لم يستطيعوا القتال عندما واجههم موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بسبب لباس الذل والهوان الذي احاط بهم حينما قالوا (فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون) وقد ورد في الشعر العربي ما يشير لهذا المضمون فقد قال المتنبي

من يهن يسهل الهوانُ عليه ما لجرح بميت ايلامُ

فهذا الانسان بعد ان يحصل على الحرية المتاحة له بعد زوال العوامل القهرية والسلطة القسرية التي كانت قد ذوبت ذاته وجاءت حكومة اعطته الحرية التامة واوجدت قيمة ذاتية لشخصيته يبدأ هذا الانسان بنسيان تلك الحقبة ويأخذ بالتمادي في هذه الحرية المتاحة له ويجعلها حرية مفرطة لاحد لها من عدم الرضا وعدم القبول عن كل شيء واصبح لا يعرف ماذا يريد بل كل ما في الدنيا لايكفيه وتجارب الامم والشعوب الماضية بل التجارب المعاصرة لثقافة البلدان تغنينا عن اقامة البرهان ٠

ولنلاحظ قولهم (ربك) ولم يقولوا (ربنا) فهو يكشف عن تعاليهم وتكبرهم فقد اخذهم الغرور بانهم الشعب المختار وابناء الله واحباءه ولذا نبههم الحق تعالى في جبروته وتسامى في ملكوته (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون)[1] وفي هذه الآية الاخيرة ابحاث تجعل الانسان حائراً في كشف

---

١ - البقرة ٤٧ - ٤٨

أسراها واستكشاف مضمونها فلماذا نكّر الله سبحانه وتعالى كلمة (نفس) الاولى والثانية ولماذا نكرّ ايضا كلمة (شيئا) وعلى من يعود الضمير في قوله تعالى (ولا يقبل منها شفاعة) هل يعود الضمير على النفس الشافعة او النفس المشفوع لها وكذا على من يعود الضمير في قوله تعالى (ولا يؤخذ منها عدل) هل يعود على النفس الآخذة او النفس المأخوذ منها ثم لماذا جمع الضمير ولم يفرده في ذيل الآية (ولا هم ينصرون) ان هذا ما يذهل الالباء ويسلب اللب عن الاذكياء

دعائه إذا بلغ الحجر الاسود

عن عاصم بن حميد عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (كان علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ اذا بلغ الحَجَر قبل ان يبلغ الميزاب رفع رأسه فقال (اللهم ادخلني الجنة برحمتك وعافني من السقم واوسع عليه من الرزق الحلال وادرأ عني شر فسقة الجن والانس وشر فسقة العرب والعجم) [١]

حالات الائمة الطاهرين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) متعددة وعناوين ادوارهم مختلفة وهم مع ذلك قد جسدوا مظهرا خاصاً وحالة تفاعلية لإصلاح المجتمعات في تلك الحقبة التي عاشوها مع ملاحظة جهة جامعة ونقطة مشتركة وهي ان المضمون واحد والهدف فارد والسمة البارزة للامام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هي صفة الدعاء وتكرار التواصل والنداء وتعدد الابتهال والثناء لبارئ الاشياء فهو في كل حالة من حالاته وكل فعل من أفعاله يتخذ من الدعاء وسيلة الى

١- التهذيب ج٥ ص ١٢٢ ح١٢ باب الطواف

الدليل على خالقه والارشاد الى طريقه وذلك واضح لمن راجع زبور آل محمد - الصحيفة السجادية - وادعيته فيها اما هنا فنسلط الضوء على هذا الدعاء الذي نقله لنا الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بقوله - اذا بلغ الحجر قبل ان يبلغ الميزاب رفع رأسه - فالملاحظ ان السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) المشتهر بهذا اللقب لكثرة سجوده ودوام هجوده هنا يرفع رأسه ويرمق ببصره فكأنه - والله اعلم - للشعور بلذة النظر الى الكعبة وقد ورد عنهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) (النظر الى الكعبة عبادة) التي تشعر الانسان بعظمة الهيبة الالهية والخشية الربانية فيقول (اللهم ادخلني الجنة برحمتك) فكأنه يثير تصريحاً ويبين توضيحاً لهذه الآية الكريمة (والله يختص برحمته من يشاء) التي ورد فيها (المختصون بالرحمة نبي الله ووصيه وعترتهما ان الله خلق مائة رحمة فتسع وتسعون رحمة عنده مدخورة لمحمد وعلي وعترتهما ورحمة واحدة مبسوطة على سائر الموجودين) [١] وأيضا يشير (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لهذه الرحمة في دعاءه يوم عرفة فيقول (وأوجدني برد عفوك وحلاوة رحمتك وروحك وريحانك وجنة نعيمك) فالامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يتحسس دفأ هذه الرحمة ولذة التقلب في جاذبيتها ثم ينتقل فيقول (وعافني من السقم واوسع عليّ من الرزق الحلال) وايضا قد ورد عنهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فيما يخص العافية الشيء الكثير نذكر هذا المقطع (اللهم اني اسألك العافية وتمام العافية ودوام العافية والشكر على العافية يا ولي العافية) [٢] وايضا ورد عنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في دعاءه يوم عرفة

١- تأويل الايات ج١ ص ٧٧ ح ٥٥

٢- البحار ج ٨٣ ص ٧١

(واجمع لي الغنى والعفاف والدعة والمعافاة والصحة والسعة والطمأنينة والعافية) وايضا يقول فيه (وسربلني بسربال عافيتك وردّني رداء معافاتك) فهنا في هذه الاوقات المرغوبة والامكنة المندوبة يمزج في ادعيته بطلب العافيه والصحة ودفع السقم والالم وسعة الرزق الحلال للتوسعة على الاهل والعيال والتأكيد على العافية والصحة وذلك لانهما لا تعرفان بحقيقتهما ولا يدرك بعد غورهما إلا عند فقدانها وما احسن قول كثير عزة حينما قال

لا يعرف الحزن الا كل من عشقا وليس من قال اني عاشقا صدقا

للعاشقين نحول يعرفون به من طول ما حالفوا الاحزان والارقا

نعم لا يعرف طعم الصحة ولذتها الا من ذاق طعم الوجع ولم يهنأ عند الشبع.

ثم يقول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (وادرأ عني شر فسقة الجن والانس وشر فسقة العرب والعجم) لا ريب ان هذه المخلوقات الشريرة هي موانع قد تحول ولو جزئيا عن التفرد مع الحق سبحانه والخلوة لمناجاته والعزلة في الجملة يحتاج اليها الانسان ولذا حكى الله سبحانه عن الخليل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (واعتزلكم وما تدعون من دون الله) وايضا ورد عنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في دعاءه يوم عرفة (وزين لي التفرد بمناجاتك بالليل والنهار وهب لي عصمة تدنيني من خشيتك وتقطعني عن ركوب محارمك) بل في اخر دعاءه في يوم عرفة يقول (واجعل باقي عمري في الحج والعمرة ابتغاء وجهك يارب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين والسلام عليه و عليهم ابد الآبدين)٠

فهو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يريد ان يكون عمره كله زاخرا بالتواصل مع الله سبحانه

والعـروج اليـه واشـغال كل جوارحـه بخدمته جل شـأنه حتـى لا يبقى اي مكان في جسـده الشريف واي آن من آنات الزمن الا ويشـغله بذكره ويعمره بشـكره ولذا فهو يرجو الله تبارك وتعالى ان يدرأ عنه شر الفسـقة من مردة الجن وشـياطين الانس ورد كيدهم ولا ريب ان شر الانس ومكرهم وكيدهم وايذائهم لهذا النفوس القدسـية قد صدر خارجاً وحل بهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ما حلَّ والآية المباركة (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله) ترشـد الى انهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ينبغي لهم الصبر وتحمل المكاره والمشـاق في سـبيل مرضاة اللـه سـبحانه ولكن هل الجن قد صدر منهم مـا يزعج الائمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وما يؤذيهم والجواب ان الآية الكريمة التي سنذكر فيها ما يرشد الى انه قد صدر بعـض الـضر والالآم لبعض الانبياء كنبي الله ايـوب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كقوله عز من قائل (إني مسـني الشـيطان بنصب وعذاب) وأيضًا (إني مسـني الضر وانت ارحـم الراحمـين) اما بخصوص الائمة الهداة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فقد تمثل الشـيطان بصـورة افعى للإمام السـجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ليشـغله عن عبادته فلـم يلتفت اليه فجـاء الى ابهـام رجله وآلمه فلم يقطع صلاته الى ان اتم ورده فسـمع صوت ولا يـرى قائلـه وهو يقول انت زيـن العابدين [1] وايضـا ان بعض الجن قد حـاول إزعاج أمير المؤمنـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في قليب الماء عندمـا طلب النبي الاكرم محمـد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) في احدى الغزوات ان يجلبـوا الماء فلم يجلبوا وذهب بطل الاسـلام امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ونزل البئر وكلما نزل اكثر كان صوت الجـن يزداد اكثر لإخافته وازعاجه الى ان سـكت الصوت فتبين انه (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

١- البحار ج ٤٦ ص ٥

قد قتل هذا المارد من الجانّ ويمكن حمل دعاءه وتعوذه من شر فسقة الجن على محمل آخر وهو لتعليمنا نحن كيفية الاستعاذة بالرحمن من شر الانس والجان او لكون فسقة الجن يوسوسون لفسقة الانس في ايذاء الائمة الهداة نظير ما ورد في الآية الكريمة (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) ٠

وبما انه قد انجر الكلام في هذا البحث الى ذكر بعض المقاطع من دعاءه (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في يوم عرفة فمن المناسب ذكر بعض الفقرات من دعاء ابيه سيد الشهداء (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) فهو معلمه الاول والمربي القريب الى قلبه الذي يطرز هذا الخرائد على افئدة العاشقين لربهم والسالكين سبل الوصول اليه فيقول (ثم اخرجتني للذي سبق لي من الهدى الى الدنيا تاما سويا وحفظتني في المهد طفلا صبيا ورزقتني من الغذاء لبنا مريا وعطفت علي قلوب الحواضن وكلفتني الامهات الرواحم وكلأتني من طوارق الجان) فهو (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) يبدأ بذكر ما افاضه الله على الانسان فمنذ نشأته وبداية تقلبه في ادوار حياته وما يسكبه الله على الطفل من محبة عليه فترى الوالدين يتحركون بفطرتهم التي اودعها الله فيهم الى تقديم كل ما يديم وجود مولودهم ولو على حساب راحتهم وحياتهم بل تقديم اولوياته على وظائفهم الضرورية وقلنا بفطرتهم لأنه لا تحتاج هذه الفطرة إلى حض وحث من أحد وهذا السر في عدم ارشاد الله سبحانه في كتابه الكريم للآباء والامهات في الاهتمام والرعاية لأطفالهم بينما أرشد وأكد على الاحسان للوالدين ومصاحبتهما في الدنيا بالمعروف

لأنه من زاوية الاولاد ليست القضية غريزية بتلك الدرجة التي عند الابوين ولذا ورد في الخبر لماذا نحب اولادنا اكثر مما يحبونا فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لانهم خرجوا منكم ولم تخرجوا منهم وحسب القانون الالهي والمعادلة الربانية لابد من رد الجميل لهما ومقابلة الاحسان بالاحسان بل اكثر منه كما تصرح به الآية المباركة (للذين احسنو الحسنى وزيادة) ولنرجع الى ذيل الفقرة من دعاء الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (وكلأتني من طوارق الجان) ومعنى كلأتني هو حفظتني وحرستني ورعيتني وطوارق الجان هم الجن الذين يطرقون الاطفال ويزعجونهم والطارق هو الذي يطرق الباب ليلاً ثم توسع ليشمل كل ما حصل بالليل او النهار من شر فهولاء الجان يؤرقون الاطفال في نومهم ويشاكسونهم في سهادهم فترى الصبيان يبكون ولايعلم الاهل بذلك ولذا ورد بعدم تبكيت الطفل في هذه الحالة لان هذه المخلوقات هي من تؤذيهم واستحباب اتخاذ الحمام او الديكة والدجاج لطرد شرهم ولنسلط الضوء على بقعة اخرى من الدعاء حيث يقول فيها (حتى اذا اتممت علي جميع النعم وصرفت عني كل النقم لم يمنعك جهلي وجرأتي عليك ان دللتني الى ما يقربني اليك ودفعتني لما يزلفني لديك فان دعوتك اجبتني وان سألتك اعطيتني وان اطعتك شكرتني وان شكرتك زدتني كل ذلك اكمالاً لأنعمك علي واحسانك الي فسبحانك سبحانك من مبدئ معيد حميد مجيد وتقدست اسمائك وعظمت آلاؤك فأي نعمك يا الهي احصي عددا وذكرا أم اي عطاياك اقوم بها شكرا وهي يارب اكثر من ان يحصيها العادون او يبلغ علماً بها الحافظون) يا الهي ماذا يقول القائل واي قلم يتجرأ بكلمة يضيفها هنا الا

الوقوف خجلاً ورفع القبعة اجلالا واحتراما لهذه النفوسية الملكوتية التي لها من البيان سحراً ومن العبير عطرا فما أن تسمع الآذان هذه الكلمات وتهمس هـذه المعاني في الجنان الا وتحلق مشـاعر الانسـان في افـق رحب من الخيال وتغوص في ميادين الجمال والجلال وينتقل من عالم ذي ابعاد ثلاثة الى عالم ابعاده لا متناهية من انوار القداسـة وجنان حورها مياسـة ٠

ومن دعائه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لولده

اللهـم ومـنّ علي ببقـاء ولدي وبإصلاحهـم لي وبإمتاعي بهـم الهي امدد لي في اعمارهـم وزد لي في آجالهـم وربّ لي صغيرهـم وقوِّ لي ضعيفهم واصح لي في ابدانهم واديانهم واخلاقهم وعافهم في انفسـهم وفي جوارحهم وفي كل مـا عنيت به مـن امرهم وادرر لي وعلى يدي أرزاقهـم واجعلهم ابراراً اتقياء وبصراء سـامعين مطيعين لـك ولأوليائك محبين مناصحـين ولجميع اعدائك معاندين ومبغضـين آمين ٠٠٠ الدعاء) ٠

الولـد اعـم مـن الابـن لان الولد لغة يشـمل الذكـر والانثى قـال الله جل ذكـره (يوصيكـم الله في اولاكـم للذكر مثل حظ الانثين) وقـال ايضا (ووالد ومـا ولـد) والولـد قطعة من الكبد بل الكبد كله ولا ننـسى وصية الامام امير المؤمنـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لولده الحسـن المجتبـى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حيث يقـول (من الوالد الفـان المقـر للزمـان - هنا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يعترف بقسـوة الزمان وتقلبـات الدنيا باهلهـا ويمهـد له كما يسـمه علماء البلاغـة براعة الاسـتهلال- المدبر العمر المستسـلم للدهر الذام للدنيا السـاكن مسـاكن الموتى والظاعـن عنها غدا الى

المولود المؤمل مالا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية المصائب الى ان يقول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيئا لو اصابك اصابني وكأن الموت لو اتاك اتاني فعناني من امرك ما يعنيني من امر نفسي) فهنا يشير الامام امير المؤمنين وكذا الامام السجاد (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) الى قضية فطرية كامنة في اعماق الانسان وهي خوفه على اولاده وحرصه على سلامتهم حتى وان انقطع عن هذه الدنيا وارتحل الى دار اخرى وكأنه يستشعر الانسان بحبه للامتداد الطبيعي وبقاءه في هذه الحياة حتى ولو كان بشيءٍ يذكر الاخرين به فمثلا ترى للإنسان صورة له في منزله حتى يبقى له فيها اثر او يجعل له مجسماً في بعض الاماكن كما يفعله بعض آخر وايضا رغبته الشديدة في وجود ابن له يترك الاب بصمته من خلاله وقد ورد في الشرع الحنيف تعزيز هذه النزعة الطبيعية للإنسان عند الدخول على امرأته في ليلة زفافه ويرجو الله سبحانه وتعالى في ان يهب له ابنا صالحاً وجعل المشرع الاسلامي لهذا الابن الاكبر - هذا عند الشيعة الامامية - الحبوة وقضاء ما فات عن ابيه من الصلاة ولعله هي احدى الحكم التي لاحظها الشارع المقدس في استحباب طلب الولد الذكر وهذا الولد الذكر في نهاية حياة والده يستحب له انزال والده في قبره بخلاف الاب فانه يكره له ان ينزل ابنه الى ملحودة قبره وهنا شيء ينبغي بيان ذكره وهو ان المربي الحقيقي للإنسان هو الله سبحانه وتعالى اما الوالدان فهما مربيان بالتبع والمجاز اي بتوسيط وعناية منه سبحانه وذلك لأن معنى الرب كما يقوله اهل اللغة وعلماء التفسير هو المنعم ولكن الاقرب ان الرب هو المربي

الذي يرعى الشــخص ويقوم بالاهتمام به ولا ريب ان ما يلازم هذه الرعاية وهذا الاهتمام هو الانعام والتفضل اي المعنى الاولي للرب هو المربي وترشد اليــه الآية المباركــة (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) بينما يشــير امير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بقوله: (هيهات انت اكرم من ان تضيع من ربيته) فهو يبــين ان المربي الحقيقي هو الحق تعالى شــأنه ٠

ثــم يسترســل الســجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بقولــه (وأدرر لي وعــلى يــدي ارزاقهم) فالإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يرجو الله في اعانته في رفع الثقل عن هذه المســؤولية الملقاة عــلى عاتق الاب وهي مســؤولية جســيمة ذاق مرارتها الابــاء فان الاب عندما ينفد رزقه ويبدأ ما بحوزته بالتقلص شــيئًا فشــيئا يخيم الوجوم على وجهه ويستشعر ثقل الهم الجاثم على صدره و يساوره الخوف من المستقبل المبهم قبــل ان تمتــد اليه يــد العناية الالهية التي لا تنسى مــن ذكرها ولا ينقص من شــكرها وهــي التي تــرزق البهائم والطيــور كما ورد تغــدو خماصا وتعود بطانــا ومن المهم الاشــارة لشيء وهو ان الــذات المحمدية (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) قد اشــير اليها في بعض الاخبار بأنها قد نســب لها الرزق وواسطة فيض جارية لإســتمطار الخير وهو ما ترشــد اليه الآية المباركة (وما نقموا الا ان اغناهم الله ورســوله من فضله) [١] ٠

قال الشيخ الكراجكي (ذكروا ان ابا حنيفة اكل طعاما مع الامام الصادق جعفــر بــن محمــد (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فلما رفع الصــادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يده مــن اكله قال الحمــد للــه رب العالمين اللهم هــذا منك ومن رســولك (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) فقال

١ – التوبة آية ٧٤

ابـو حنيفـة يا أبا عبد الله اجعلت مع الله شريكا فقال له ويلك فان الله تعالى يقول في كتابه (وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسـوله من فضله) [١] ويقول في موضـع آخـر (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسـوله وقالوا حسـبنا الله سـيؤتينا الله من فضله ورسوله) [٢] فقال ابو حنيفة والله لكأني ما قرأتهما قط من كتاب الله ولا سمعتهما الا في هذا الوقت فقال ابو عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بلى قد قرأتهما وسـمعتهما ولكن الله تعالى انزل فيك وفي اشـباهك (ام على قلوب اقفالها) وقال (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) [٣] ولاريب ان نبينا الاكـرم محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) هو واسـطة الفيض وهو اكرم المخلوقات على الله سـبحانه وتعالى فالسـيل النازل من الكرم الالهي والفيض الربوبي بقدر ما تحمله هذه الذات المحمدية وما يترشح من خلالها (كماء انزلناه من السماء فسـالت اودية بقدرها) ولننقل خيال المتنبي حينما يسرح به فيقول

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ وَتَأتـي عَلى قَـدرِ الكِـرامِ المَكارِمُ

وَتَعظُـمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها وَتَصغُرُ في عَـينِ العَظيمِ العَظائِمُ

ولنذكر ما جادت به قريحة ابي طالب عم المصطفى وصنو ابيه في لاميته العصماء فيقول :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهـه ثـمال اليتـامى عصـمـة لـلأرامـل

يلـوذ به الهـلاك من آل هـاشـم فـهـم عـنـده في نـعـمـة وفواضل

---

١ – التوبة آية ٧٤

٢ – التوبة آية : ٥٩

٣ – كنزا الفوائد للكراجكي ج ٢ ص ٣٦

ولنختم هذا البحث بهذين البيتين من نونية ابن الرومي

قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم كلا لعمري ولكن منه شيبان

وكم اب قد علا بابن ذرى حسب كما علت برسول الله عدنان

أدعية الصحيفة السجادية

ومن دعائه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب

(اللهم و حملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك ولا يسأمون من تقديسك ولا يستحسرون من عبادتك ولا يؤثرون التقصير على الجد في امرك) ابتدأ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في هذا الدعاء بالثناء على حملة عرشه سبحانه وتعالى وهو هنا في دعائه كأنه جده امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في اول خطبته في النهج حينما يذكر ملائكة الرحمن فيقول (فملأهن أطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العين ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان... الى ان يقول: وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بالنظائر)

أقول : فكأن النور واحد والقلم قد تفتق عن اسرار حجب الغيب واجتمع

النهـر بالبحر والتقى الماء على أمر قـد قدر وكأنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يغترف من عباب جـده بـاب مدينة علـم النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وإلا فمـن ذا الذي يجرؤ على الخوض في هذه المسـالك ويدرك غور هذه المدارك وكل من يطيل الكلام سـواهم في هذا المقام هو نفخ في غير ضرام٠

ومفـردة العـرش وردت في اكثـر من مـورد في القران الكريـم منها قوله تعـالى (الذيـن يحملـون العرش ومن حولـه) و (ويحمل عـرش ربك فوقهم يومئـذ ثمانيـة) وغيرها واما في الاخبـار المعصومية فقد ورد عـن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (السماوات والارض وما بينهما في الكرسي والعرش هو العلم الذي لا يقدر احد قدره) فالامام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يصوره بشيء روحاني لا يقدر على فهم حقيقتـه احـد ولا يدرك كنهـه والاطلاع على كل تفاصيله سـوى الحق تعالى مجـده بينما في تفسـير العياشي عن زرارة في قوله عز وجل (وسـع كرسـيه السـموات والارض) قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (لا بل الكرسي وسـع السـماوات والارض والعرش وكل شيء خلق الله في الكرسي) فالمراد من العرش هنا العرش المادي اي ما عدا الله سـبحانه من مخلوقاته ولندع القلم جانبا ونقتبس من خريت هذه الصناعة وناقد هذه البضاعة الامام السـبزواري عطر الله مرقده وعلت في جنـان الخلد اقدامـه فيقول [1] (ومحصل الكلام في العرش والكرسي انهما اما معنويات وروحانيات او جسـمانيات اي عالم الاجسـام ولا بد وان يميز بحسـب القرائن بين الأقسـام الاربعـة لئلا يختلط بعضها ببعـض والقرائن موجـودة في نفس الاخبار لمن تأمل فيها)

---

١ - المواهب ج٤ ص ٢٧٩

اقـول : قد أشـار (قدس سره) الى زبدة المخض لمـن احاط خبرا بالاخبار وجاس خلال الديار ولنرجع الى فقرات الدعاء ونلاحظ جملة (ولا يسـأمون مـن تقديسـك) ونقارنهمـا بقول الملائكـة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) (ونحن نسـبح بحمدك ونقدس لك) فان المادة واحدة وهي مادة (قدس) ومعناها الطهر أي ينسبونه سـبحانه الى الطهر وكذا الفقرة الاخرى من الدعاء (لايفترون من تسـبيحك) وتطابقهما مع الآية المباركة (ونحن نسبح بحمدك) والتسبيح هو التنزيه من النقائص وكل ما لا يليق بساحة الحق تسامى في علوه ويتسلسل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في فقرات دعاءه فيقول (وملك الموت واعوانه منكر ونكير وروومان فتان القبور والطائفين بالبيت المعمور) فقد ابتدأ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بدعائه لملك الموت ولنذكر شيئا عـن هذه الذات القاهرة للانسـان التي منحها الله سـبحانه القدرة بحيث ان الدنيا بين يديه كالقصعة بين يدي احدنا يديرها حيث يشاء كما جاء في الخبر وايضا له من القدرة ان يتصفح البيوت في اوقات الصلاة الخمسة وهنا وقفه تسـتحق التأمل فما مقدار هذه الطاقة الشـمولية التي منحت لهذه الملك وما هذه القوة الالهية التي اعطاها الله له واين قدرة عفريت من الجن الذي كان بخدمـة سـليمان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من هذه القدرة بل اين قـدرة آصف بن برخيا من قدرة هذا الملك فإن آصف يأتي بعرش بلقيس قبل ان يرتد طرف سليمان اليه بينمـا ملك الموت بنفسـه يتصفح بيوت بنـي آدم في ارجاء المعمورة في اوقات الصلاة الخمسة فياالله لهذه القوة الجبارة والطاقة التي فوق حد التصور بل ان في الخبر لملك الموت شـيئا قد لا يعرفه كثير من الناس لان الناس يحيكون في مخيلاتهم الذهنية صورة غير مناسـبة له بسـبب التلازم بينه وبين الموت

وهـذا الامـر الـذي لا يعرفه معظم الناس هو ان ملك المـوت يلقن المؤمن عند موته شـهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسـول الله فانظر لهذا الملك ورقته ورحمتـه للعبـد المؤمـن فهو يقف بجانبـه في تلك الحالة الشـديدة التي يعبر عنها الباري سبحانه في كتابه المجيد بالمصيبة حيث يقول (فأصابتكم مصيبة الموت) وان اتباعه يوكلون بهذه المهمة ايضا في قبض الارواح فكأن السلسلة ممتدة الى الاعلى بدايتها اعوانه يقبضون الارواح كما ترشد اليه الآية المباركة (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم) و (حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسـلنا وهـم لا يفرطون) وبعدها يسـلمون ما قبضوه مـن الامانة اليه الذي بدوره يقبضها ثم تسلم الى الحق سبحانه فلذا هذه الطولية محفوظة وترشد اليـه الآيـة الكريمة (قـل يتوفاكم ملك المـوت الذي وكل بكـم) و (الله يتوفى الانفس حين موتها) بل يفهم ان مع كل انسـان ملائكة يرافقونه ويلازمونه ويحفظونه من كل سـوء يحيط به وهم في عين كونهم يحفظونه ويحرسونه فعنـد حصول اجله يقبضون روحه بعد صدور الاشـارة لهم بقبضها اي ان وظيفتهم مزدوجة كما ترشد إليه الآيتان المباركتان في سورة الانعام[1] (وهو القاهـر فوق عباده ويرسـل عليكم حفظة حتى اذا جـاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) ٠

ثـم ذكر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في دعاءه منكـر ونكير وروما ن فتان القبور فقد تطرق الامـام زيـن العابديـن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الى رومان- بضـم الراء- ويفهـم من الدعاء

١- الانعام اية ٦١ و٦٢.

الشريف انه احد ملائكة القبر وهو وان لم يتعرض له في مصادرنا الا انه ذكر في مصادر المدرسة السنية ويفهم منها انه اول من يدخل القبر له من النورانية الساطعة ويأمر الميت بكتابة جميع اعماله من الاعمال الصالحة والطالحة وقلم الميت هو اصبعه وكفنه هو صحيفته ومداده هو ريقه فيكتب ماعمله من الخير اما سيئاته فيستحي منها .

ثم ذكر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الملائكة الطائفين بالبيت المعمور وهو في السماء الرابعة ويسمى الضراح ايضا محاذٍ للكعبة المكرمة يطوف منه سبعون الفاً من الملائكة يوميا لا يعودون إليه ولنعطر هذا البحث بذكر سيد الشهداء (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وذكر الملائكة الحافين بقبره الشريف فقد ذكر في جامع احاديث الشيعة [1] في رواية العمركي من باب ٥٨ اقل ما يزار فيه الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله أربعة الآف ملك من طلوع الفجر الى ان تغيب الشمس ثم يصعدون وينزل مثلهم فيصلون الى طلوع الفجر وفي رواية سدير من باب ٥٩ التسليم على الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من بعيد ومن قريب قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اما علمت ان لله الف الف ملك شعث غبر يبكون ويزورون ولا يفترون . بل يدل في بعض الادعية والاخبار ان الملائكة المقربين محدقون بقبره ومقيمون عنده وان في بعض الاخبار ان لله ملائكة موكلين بقبر الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وفي رواية الاستشفاء بتربة سيد الشهداء (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وبحق الملائكة الحافين به (اي بقبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ) وفي رواية ابن سنان قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وفيه (اي قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ) معراج الملائكة الى السماء وليس من ملك مقرب ولا نبي

١- جامع احاديث الشيعة ج ١٢ ص ٤٦١

مرسـل الا وهو يسـأل الله ان يزوره ففوج يهبط وفوج يصعد . والروايات في ذلك متظافرة في هذا المضمون فسلام عليك يا أبا عبد لله يوم ولدت ويوم استشـهدت ويـوم تبعث حياً والخزي والنار لمن حاربكـم ونابذكم ولم يراعِ حرمة جدكم فيكم .

ومن دعائه لأبويه(عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فيقول

(اللهـم اجعلنـي أهابهمـا هيبـة السـلطان العسـوف، وأبرهمـا بـر الام الـرؤوف، واجعل طاعتي لوالدي وبري بهما أقر لعيني من رقدة الوسـنان، وأثلـج لصـدري من شربة الظمـآن حتى أوثر على هـواي هواهما واقدم على رضـاي رضاهما وأسـتكثر برهما بي وإن قل وأسـتقل بـري بهما وإن كثر. اللهـم خفض لهما صوتي، وأطب لهما كلامـي، وألن لهما عريكتي، واعطف عليهما قلبي، وصيرني بهما رفيقا، وعليهما شفيقا. اللهم اشكر لهما تربيتي وأثبهما عـلى تكرمتي ... الدعاء)

هـذه الفقـرات مـن الدعاء مـن المظنون قويـاً هي قد خرجت على لسـانه الشريف بعد واقعة الطف الأليمة لأنه بالنسـبة لوالدته عَلَيْهِ السَّلَامُ قد انتقلت الى دار كرامـة اللـه وهي في مخاضها فهو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد ذاق فراق الام منذ ولادته ولـم ينعـم بحضنها الدافئ وهكذا ارادت المشـيئة الالهية التـي قدرت له ولا ريب ان نشأة الوليد بين حضني والديه لها من هالة الحب والدفء ما تعجز عنـه الكلمات وكيف تفسر الكلمات سر هذا الارتباط الروحي بينهما والتعلق القلبي فيهما وقد اجاد الشـاعر ابو اسـحاق الصابي حينما قال

اسرة المرء والداه وفيما بين حضنيهما الحياة تطيب

فاذا ما طواهما الموت عنه فهو في الناس اجنبي غريب

وأيضا فقد قال الأحوص

فلا تحسبي ان الغريب الذي نأى ولكن من تنأين عنه غريب

ولذا ورد النهي عن المساس باليتيم باي لون من الوان الايذاء كما ترشد اليه الآية المباركة (فأما اليتيم فلا تقهر) [١] وورد ان العرش يهتز لبكاء اليتيم فقد ورد [٢] عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (إذا بكى اليتيم اهتز له العرش، فيقول الله تبارك وتعالى: من هذا الذي أبكى عبدي الذي سلبته أبويه في صغره؟ فوعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لا يسكته عبد مؤمن إلا أوجبت له الجنة)

نعم لا يعرف فقد احدهما او كليهما الا من ذاق مرارة فراقهما ورماه الدهر بنصال بعدهما وذلك لان العلم الانفعالي اقوى شكيمة وابعد غورا من العلم الفعلي وقد اجاد الشاعر بقوله

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

لا يسهر الليل الا من به الم ولا تحرق النار الا رجل واطيها

ولنأخذ هذا المقطع من دعاءه ونحوم حول كلماته وليلتفت القارئ والسامع لادعيته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ويرجع لنفسه مباشرة ويناجيها هل هي اتصفت بما يقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وكم من هذه الجمل قد انطبقت على احدنا انطباقاً كلياً او

١- سورة الضحى آية : ٩

٢- الفقيه ج ١ ص ١٨٨

جزئيا وكم من سلوك عملي لواقع هذه الجمل قد حققها احدنا مع والديه او هي بعيدة عنه أو بالأصح هو بعيد عنها فان لهذه الفقرات من ادعيته فيها من الصدى الارتدادي النافذ في اغوار شخصية الانسان ونتحدى اي قارئ او سامع لها ان لا يقارنها مع نفسه ولا يلاحظها مع ذاته .

فما الذي يتكلم به هذا الامام الهمام وما هي الطاقة الكامنة في ادامة زخم هذه الكلمات كي تعانق القلوب وتخرق عباب لجج المحبوب حيث يقول (أين إذًا يا إلهي طول شغلهما بتربيتي وأين شدة تعبهما في حراستي وأين إقتارهما على أنفسهما للتوسعة علي هيهات ما يستوفيان مني حقهما، ولا أدرك ما يجب علي لهما، ولا أنا بقاض وظيفة خدمتهما) .

ومن الملفت للنظر انه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد امتد في شموله بأدعيته على نحو الامتداد الطولي والامتداد العرضي وقصدنا من الامتداد الطولي شموله بدعائه لابويه كما في هذا الدعاء بل الى رأس الهرم من آبائه وهو ادم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كما في ص ١٨٠ من أدعية الصحيفة السجادية ودعاءه لولده كما في ص ٨٣ أما بخصوص الامتداد العرضي ففي ص ٣٥ ابتدأ بدعائه لنفسه ثم دعاءه لأهل ولايته وفي ص ٨٦ شمل دعاءه لجيرانه واولياءه ص ٨٧ دعاءه لأهل الثغور بل شمل في ادعيته لعالم الملكوت كما في ص ٣٠ من دعاءه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب وهكذا هو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عين سيالة ينبع منها الخير العميم والفضل الجسيم .

مهم جداً : ورد في الاخبار ان من صدر منه تقصيراً بحق والديه وعقوقاً فممكن له ان يستدرك ذلك بالاحسان لهما وصلتهما باعمال البر والخير بعد

موتهمـا فيكتـب بارا لهما وايضا من كان باراً لهما في حياتهما ثم لم يصلهما بعد وفاتهما ولم يذكرهما يكتب عاقاً لهما .

ومن دعائه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إذا مرض

أَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا لَمْ أَزَلْ أَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ سَـلَامَةِ بَدَنِي، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْدَثْتَ بِيْ مِنْ عِلَّةٍ فِي جَسَـدِي.

فَمَا أَدْرِي يَـا إلهِي، أَيُّ الْحَالَيْنِ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَكَ، وَأَيُّ الْوَقْتَيْنِ أَوْلَى بِالْحَمْدِ لَـكَ، أَوَقْتُ الصِّحَةِ الَّتِي هَنَّـأْتَنِي فِيهَا طَيِّبَاتِ رِزْقِكَ، وَنَشَّـطْتَنِي بِهَا لابْتِغَاءِ مَرْضَاتِكَ وَفَضْلِكَ، وَقَوَّيْتَنِي مَعَهَا عَلَى مَـا وَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ طَـاعَتِـكَ أَمْ وَقْتُ الْعِلَّـةِ الَّتِـي مَحَّصْتَنِي بِهَا، وَالنِّعَـمِ الَّتِي أَتْحَفْتَنِي بِهَا تَخْفِيفـاً لِمَا ثَقُلَ بِهِ عَلَى ظَهري مِنَ الْخَطِيئاتِ وَتَطْهيراً لِمَا انْغَمَسْـت فيهِ مِنَ السَّيِّئاتِ، وَتَنْبِيهاً لِتَنَاوُلِ التَّوْبَـةِ، وَتَذْكِيراً لِمَحْوِ الْحَوْبَةِ بِقَدِيـمِ النِّعْمَةِ، ... الدعاء)

يـا للـه لمعدن الفصاحة وأهل الجود والسـماحة وسـادات بني هاشـم ما احـد سـنانهم واجلى بيانهم فما هذه المقارنـة التي يصورها لنا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بين الصحة والمرض والعافية والسقم ويجعل نفسه عاجزاً عن شكر اي الحالتين وذاهلاً عن مجازاة الفضل بين هاتين الدرجتين وكأنه يرسم لوحة يمزج فيها بين متضادين ويزاوج بين متباينين ويأخذك بأسلوبه الساحر النافذ الى جنان الانسـان ويهز المشـاعر من الاعماق ويناجي الضمائر المتيمة بلهفة العشـاق ومـا أرق عبارته وأعذب جملته حينما يقول (والنعم التي أتحفتني بها) فهو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يعتبرهـا نعماً منه سـبحانه وتحفا وهدايـا فكأنه يقول ما يأتي من

المحبوب محبوب وما يترشح من المعشوق مرغوب لانه صادر منك يا الهي ولأنه مترشح من جنان قدسك فهو اثر من آثارك ونور من انوارك .

فلسفة المرض

لاريب لمن طالع الاخبار وتصفح السير والآثار قد علم ان الانبياء واوصيائهم قد حصلت لهم الابتلاءات والعلل والامراض فمنها ابتلاء ايوب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كما ترشد اليه الآية الكريمة (اني مسني الضر وانت أرحم الراحمين) وان يعقوب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد بكى حزنا على ولده يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن وان شعيباً كان اعمى وقد رمدت عينا علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) واصابته الحمى ومرض الحسنان (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ونذر امير المؤمنين والزهراء (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) وكذلك فضة ان عافاهما الله ان يصوموا والآية تصرح بذلك (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) [1] بل ان السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كان مريضا في واقعة الطف وانه في حياته كان مصابا بالقرأي البرد ولكن لماذا يمرض الله سبحانه الناس عموماً و أنبياءه وأولياءه خصوصاً والجواب: أما فيما يخص عموم الناس فلزيادة الأجر وغفران الذنوب وكذا ارسال اشارات الهية للانسان في إيقاف حركته في خط غروره وظلمه وإيذاءه للآخرين وكذا لأجل سماع صوته كما ورد في الخبر وايضا الاشارة لعجز هذا الكائن المتمرد وبيان تفاهة سطوته وقدرته وقد عاصرنا ما مر على البشرية من فايروس كوفيد / ١٩ وسلالاته المتعددة والمتحورة الذي شل حركة العالم بما فيه من الدول

---

١ - سورة الانسان اية ٧

العظمى وغيرها من خلال كائن لا يرى بالعين المجردة فاصابهم بالذعر ولف العالـم الهلـع واصبحت الحيـاة متوقفة تماماً وكأن عجلـة الزمن قد توقفت وحـروب الدول في مـا بينها قد سـكنت وحفلات المجـون والصخب اندثرت . ولأن كان القـرآن الكريـم يـصرح لكفار الجاهلية بهـذه الآية المباركة (وان يسـلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) [1] فعباقرة الالفيـة الثالثـة وافـذاذ علماءها قد صدموا ولم يـدر في خلدهم يوما ان هكذا كائن مجهري يجعل العصا في دولاب مسيرة تقدمهم . وايضا هذه الابتلاءات تبين تفاهة هذه الدنيا وعدم اللذة التامة بها وعدم الاطمئنان الى دوامها فهذه المـآسي والامـراض ظاهرها المعاناة والهموم والمشـاق ولكن جوهرها تمكين الانسان من فلترة نفسه وصياغة منظومته الفكرية حتى يكون طراز تفكيره بعد هذه الاختبارات فيه تحديث عما كان سابقا ودفع عجلة تقدم العلوم الى الامام في استكشـاف اسـباب هذه الامراض وعللها ووضع الادوية والعقاقير الناجعة لها وكما يقول الحق تعالى شـأنه (لا تحسـبوه شرا لكم بل هو خير لكم)

ونظـير المـرض ورد في الفتـن ايضا حيث يقـول مـولى الموحدين علي بن طالـب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في نهجـه (ان الفتـن إذا أقبلـت شـبهت، وإذا أدبـرت نبهت، ينكـرن مقبلات، ويعرفـن مدبرات)

وأمـا ما يخص الانبياء والاوصيـاء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فهي زيادة لأجرهم ورفعة وعلو لشـأنهم فان هذه الذوات القدسـية هي محل فيـض الله تبارك وتعالى

---

١ - الحج آية ٧٣

وكل مـا يصدر منه سـبحانه وتعالى فهو لهم هدايـا وعطايا وكما يقول بدر شاكر السياب

لكَ الحـَمدُ مهما إستطالَ البـــلاء ومهمـــــا إستبـــد الألـــم

لكَ الحمدُ إنَّ الرزايـــا عطـــــاء وإن المَصيبـــات بعض الكـَـــرَم

الى قوله

لـــك الحمـــد، ان الرزايـــا نـــدى وإنّ الجـــراح هدايـــا الحبيـــب

أضـــم إلى الصـــدرِ باقتـــــها هدايـــاكَ في خافقـــي لاتَغيـــب

وايضا عن فلسـفة المرض لهم هو لعدم اتخاذهم آلهة وارباباً ولتبيان ان هذه الذوات الشريفة هي من صنف البشر فتمرض وتصاب بالألام الجسـدية وتـأكل وتشرب كما في قوله تعالى (كانا يـأكلان الطعام) وهذه الآية المباركة فيهـا اشـارة الى امر خفي وهو بعد تحلل الطعـام وانتهاء العمليات الايضية يطرح الزائد خارج الجسم ولم يعبر عنه تعبير فيه من التصريح الغير ملائم لهذه الذوات بل عبر بالكناية وبلازم الكلام ومن المهم الاشارة الى فيضه العميم فانه تبارك وتعالى يتفضل على الشخص المريض ويسجل له اعماله التي كان يعملهـا حـال مرضه وكأنه يعملها الآن في حال مرضه بل ان بعض الامراض هي بسـبب البشر انفسـهم وابتكارهم لانواع الذنوب ومنقصات العيوب فقد ورد عن الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (كلّما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون ، أحدث الله لهم من البلاء مالم يكونوا يعرفون) والقرآن الكريم يصرح بذلك ففي سورة الروم آيه ٤١ (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهـم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) وكـذا قوله تعالى (وما أصابكم

من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) فإذن يوجد ارتباط عضوي وفعل ورد الفعل وهو الذي يسمى بالأثر الوضعي للعمل فذنوب الانسان واعماله المنكرة الصادرة منه لها تأثير على حياته العامة وسلوكه الشخصي وتؤثر عليه في مختلف مجالات حياته الدينية والعائلية بل وفي سير تكامله العلمي والتربوي ولنبين ذلك بسرد امثلة معصومية فعن صادق الائمة (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم . اذن فليمعن النظر القارئ للجار والمجرور (في صاحبه) ويدقق النظر والفكر فكأن التأثير سرعه متباطئة ومتعددة ولكن اسرعها يعود على صاحب الذنب ووباله عليه وعن النبي الاكرم محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) يقول اتقوا الذنوب فإنها ممحقة للخيرات، إن العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه . فهذا الحديث من الاهمية بمكان لمن تدرج في مرقاة العلوم ونال حظه منها ثم فجأة يفقد ما رزقه الله منها وتشتت افكاره ويفقد السيطرة على خزين ذاكرته الفكرية وهو شيء يحس به وبمعاناته من ذاقه من العلماء ويشعر بحرارة الالم الذي اصابه ولعله الآن يسمى بالعصر الراهن ب (الزهايمر) فاذن الذنب يؤثر على هذه الكمالات المعنوية من حرمان صلاة الليل وسلب العلم منه وايضا له تأثير على رزقه المادي فعن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ان المؤمن ليأتي الذنب فيحرم به الرزق . بل ورد عنه ايضا من يموت بالذنوب اكثر ممن يموت بالآجال فاذن خلاصة هذا البحث نستفيد ان ما يصدر عنه سبحانه هو منتهى حكمته المتعالية ولذا ان الانبياء والعرفاء يعتبرون هذه الامراض والاسقام وان كانت نعم

منه سبحانه كونها من جهته سبحانه منسوبة اليه بالتبع الا انهم مع ذلك لا يسندوها اليه أولا وبالذات خوفاً من اساءة الكلام مع الملك العلام فإبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حينما يتكلم مع المقام الربوبي يقول (واذا مرضت فهو يشفين) فهو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يلاحظ هذه الجهة بأن المرض من عندي وبسببي وان الشفاء منك سبحانك وقد ورد في دعاء كميل (يامن اسمه دواء وذكره شفاء) فهو الكافي الشافي وهو لخلقه معافي نسأله العافية للجميع عافية الدنيا والاخرى .

كراهة تكرار الدعاء على من ظلمك

عن هشام بن سالم قال سمعت أبا عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول ان العبد ليكون مظلوماً فما زال يدعو حتى يكون ظالماً [١].

الظلم كما هو المعروف وضع الشيء في غير موضعه كما في لسان العرب مادة (ظلم) وهو المتداول على السنتهم وقد عرفه أحد المفكرين بأنه سلب حق ذي الحق ولعل الاقرب هو التعدي على حق الغير كما ترشد اليه الآية المباركة (ومن يتعد حقوق الله فأولئك هم الظالمون) [٢] وكذا قوله تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) [٣] والذي نريد ان نحلله في هذه الرواية الشريفة هل ان تكرار الدعاء على من ظلم إنسانا هي قضية غير محبذة من الناحية الاخلاقية والادبية وزاوية ملاحظتها من الجانب التربوي للانسان او ان القضية متقدمة خطوة للامام وهي ان هذا الفعل فيه من

١- وسائل الشيعة ج ٧ ص ١٣١ باب ٥٣ باب تحريم الدعاء على المؤمن بغير حق

٢- البقرة ٢٢٩

٣- الطلاق : ١

الحـزازة والمرجوحيـة الاكيدة وانه ممـا لا ينبغي ان يصدر من المؤمن اي ان القضيـة ابعد مـن كونها اخلاقية بحتة والصواب هـو الفرض الثاني لبعض الشـواهد والقرائـن منها الآية الكريمة (وجزاء سـيئةٍ سـيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين) [١] فهي تبين حق مقابلة الاساءة بمثلها وتحدد دائرة هذا الحق وسـعته وهي المثلية ليس اكثر وتكرار الدعاء ومعاودتـه ادخلـه الامام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في منظور الحسـابات الشرعية وقد يجعل الانسـان المتصـف بهذه الصفة ظالمـا بعد ان كان مظلومـا وينقلب الى الضد . وينبغـي ملاحظـة امـر هام هنـا وهو ان الحـق تبارك وتعـالى قد عبر عن المجازاة واسـتيفاء الحق بلفظ السـيئة وهو من باب المشاكلة والمقابلة اي من باب مقابلة الفعل بنظيره والا فالسـيئة الثانية غير السـيئة الاولى لان السيئة الاولى جـرم وتعدٍ والثانية جـزاء وردع وفرق بين الجرم وجزاءه اذن فليس الاقتصاص سـيئة ولكنه مسـبب عنها فسمي باسـمها وهذا المعنى عندهم في علم البيان يسـمى تسـمية المسبب باسم السـبب بان يطلق لفظ السبب ويراد منه المسـبب فهنا مجاز لغوي مرسـل ونظيره قول عمرو بن كلثوم

ألا لا يجهلـــن احـــد علينـــا فنجهـل فـوق جهـل الجاهلينـا

فعـبر عـن رده عـلى جهـل الاخريـن لهـم بأنـه جهـل منهـم ايضـا

ومن الشـواهد ايضا الآية الكريمة (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل

١- الشورى : ٤

ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) [١] فقد اشارت الآية المباركة الى جانب المثلية في المجازاة والتأكيد بذيلها (واتقوا الله) وكذا (واعلموا ان الله مع المتقين) لعدم جواز التعدي في استيفاء حق الاقتصاص فتكرار الدعاء ومعاودته جهارا نهارا قد يجعل من هذا الانسان المظلوم طموحاً في التعدي على الغير الذي ظلمه بأكثر من ظلمه ويتمنى له تتابع البلايا والصعاب ثأراً لنفسه بسبب ما ألم به من حيف وظلم فلذا لم يحبذوا (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) هذا العنوان ولم يرغبوا للآخرين في فتح مثل هكذا ابواب حتى لا يبتلى الانسان بلوازم باطلة وملازمات مذمومة شرعا وكذا ذيل الآية السابقة (فمن عفا واصلح فأجره على الله) فيها حث على العفو ونشر ثقافة التسامح فيما بيننا لان النفوس مجبولة على الظلم في جبلتها ويُذكَر هذا البيت وهو للمتنبي

وَالظّلمُ من شِيَمِ النّفوسِ فإن تجدْ ذا عِفّةٍ فَلِعِلّةٍ لا يَظْلِم

فالترغيب على العفو لان المسلمين كالجسد الواحد كما يقوله النبي الاكرم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وظلم شخص لآخر فكأنه ظلم الانسان لنفسه واعتداءه على بعضه والآية توضح وتصرح (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم) فالاخوة شيء ثمين لا يقدر بنضار ولا لجين وقريب من هذا ما يصوره الشاعر نزار قباني فيقول في ديوانه

أتحسبُ أنَّكَ غيري ضللتَ فإنَّ لنا العنصرَ الأوحدا

١- البقرة ١٩٤

جمالُكَ منّي فلولاي لم تَكُ شيئاً ولولاي لن توجدا

فهو يخاطب الإنسان الآخر بلغة الحب الذي هو أنجع من الطب ويدغدغ المشاعر ويهز العواطف بانك انت ايها الآخر نفسي ولست غيري

ومن دعائه (عليه السلام) عند ختم القرآن

(اللهم إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نورا، وجعلته مهيمنا على كل كتاب أنزلته، وفضلته على كل حديث قصصته، وفرقانا فرقت به بين حلالك وحرامك، وقرآنا أعربت به عن شرائع أحكامك .. . الدعاء)

ورد في الكافي عن الباقر (عليه السلام) (يا سعد تعلموا القرآن فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق والناس صفوف عشرون ومائة ألف صف، ثمانون ألف صف أمة محمد وأربعون ألف صف من سائر الأمم ... الخبر) فهذه الرواية الشريفة تشير إلى أنه في ذلك العالم سيحصل تمثيل حقيقي للقرآن الكريم والتمثيل والتجوهر الخارجي هو شيء تألفه النفوس وتلتذ به الطباع ومثل هذا التمثيل قد حصل في دار الدنيا لبعض الذوات فمثلا قد تمثل جبريل (عليه السلام) لنبينا الخاتم محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في الدنيا عندما ظهر له وقد ملأ الخافقين ومرة اخرى عند المعراج في قوله تعالى (ولقد رآه نزلة اخرى) [1] وحصل مثل هذا التمثيل لمريم (عليه السلام) (فتمثل لها بشراً سويا) وأيضا قد تمثل وظهر ابليس اللعين لابراهيم (عليه السلام) عندما رماه قرب الجمار في الحج بل في أمالي الشيخ ص ٣٣٩ ما يفهم من رواية

---

١ - النجم : ١٣

الصـادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن آبائـه (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) انه كان يأتي جميع الانبياء لحد بعثة عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ولقاء إبليس عليه اللعنة بيحيى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فعن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عـن آبائـه (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) (ان إبليـس كان يأتـي الأنبيـاء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) من لدن آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى أن بعث الله المسيح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يتحدث عندهم ويسائلهم، ولم يكن بأحد منهم أشـد أنسـا منه بيحيى بن زكريا ... الخبر) وقريب من هـذا التمثيـل ما حصل للإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقـد كان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يصلي في بعض الايام فخر مغشياً عليه في اثناء الصلاة فسئل بعدها عن غشيته (فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مازلت اردد هذه الآية حتى سـمعتها من قائلها) فهنا لم تقوَ القوة البشرية بمكاشـفة الجلالة الالهية فهـذا القلب الملكوتي المعصومي لم يتحمل لذة العشـق الالهي والهيـام الربوبي فخر فؤاده صعقـا وارتجفت الجوارح فرقـا ولأن القرآن ربيع القلوب وكلام المحبوب كما يقوله جده أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في نهجـه (وتعلمـوا القرآن فإنه أحسـن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور وأحسنوا تلاوته فإنه انفع القصـص) وفي مورد آخـر يقول (وإن القرآن ظاهره أنيـق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به) بل ورد عن النبي الاكـرم محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) (لا يعذب قلبـا وعى القرآن) وورد عن الامام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعـد ان يكـون القرآن معـي) فهم عدل القران وهم الثقـل الاصغر وقد ورد عنهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) انهم يختمون القرآن واقله في ثلاثة ايام ولا يحبذونه في اقل مـن ذلك والقرآن من الثلاثة التي تشـتكي الى الله تبـارك وتعالى فعن الامام

الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (ثَلَاثَةٌ يَشْكُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مَسْجِدٌ خَرَابٌ لَا يُصَلِّي فِيهِ أَهْلُهُ وَ عَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ وَ مُصْحَفٌ مُعَلَّقٌ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْغُبَارُ لَا يُقْرَأُ فِيهِ) وقد كان من حكماء الدهر وسادة العصر الامام السبزواري (علت في جنان الخلد قدمه) يصلي في المساجد المهجورة ويعمرها بذكر الله وينظفها من الغبار ويصلح انارتها حتى لا تشتكي الى الله سبحانه وتعالى وهذا ديدن العالم الرباني الذي اصبح ايقونة تشع بالمعارف الالهية واخلاق النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) والائمة الاطهار (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وهو ممن تنسم العلم منذ نعومة اظفاره وهذب نفسه منذ أول نشأته . وبعد ذكر هذه السيرة العطرة لنرجع الى كتاب الله الخالد فانه يستحب هديه للمعصومين عند ختامه ويفهم من سياق بعض السور والايات ومن بعض الاخبار ان بعض مقاطعه موجودة في الشرائع السابقة فقد ورد عن سورة الاعلى انها موجودة في صحف ابراهيم وموسى (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وكما في قوله تعالى (ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) وبعض السور المباركات لها من الاسرار وخفايا والآثار ما لا يعلمه الا الله والراسخون في العلم مثل سورة الانعام فقد نزل معها سبعون الف ملك فقد ورد عن الامام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) انه قال (نزلت سورة الأنعام جملة واحدة، وشيعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتكبير فمن قرأها سبحوا له إلى يوم القيامة) ومما يلفت النظر ان الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد عبر في دعاءه عند ختم القرآن بقوله (وجعلته مهيمنا على كل كتاب) وهذا التعبير قريب من الآية المباركة في سورة [1] (وانزلنا

---

١ – المائدة اية ٤٨

اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه) وهذه الهيمنة التي خص بها هذا الكتاب هي بشموخ الفاظه وصياغته البيانية وعمق معانيه وتجلياته الروحانية وغذاءه الفكري والمعنوي للانسان وشعوره بالجاذبية الخارجة عن حد الوصف في الانشداد نحوه وجعله مركز الدائرة وقطب الرحى الذي لا يمل عند القراءة ولا يسأم الفرد عند مطالعته بل ان من نزل على قلبه الشريف وفؤاده العفيف النبي الخاتم محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) قد لقب بهذا اللقب ايضا فكأنه هو وكتابه لهما الهيمنة المطلقة على عالمي التشريع والتكوين ولوحي الخلق والتدوين وقد ورد في الزيارة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (اَلسَّلامُ عَلى رَسُولِ اللهِ اَمينِ اللهِ عَلى وَحْيِهِ وَعَزائِمِ اَمْرِهِ، الْخاتِمِ لِما سَبَقَ، وَالْفاتِحِ لِمَا اسْتُقْبِلَ، وَالْمُهَيْمِنِ عَلى ذلِكَ كُلِّهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ) . ثم عبر عنه الامام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (وفرقانا فرقت بين حلالك وحرامك) ومعنى الفرقان كما ذكره (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هو ما يميز من خلاله بين الحق والباطل والحلال والحرام فهو خارطة لمسيرة الانسان التكاملية وآفاقه المستقبلية وهو المصدر الذي لا ينضب للدراسات الانسانية (اي دراسة الفلسفة والأدب والفنون المتعلقة بالانسان وحضارته) وغيرها من العلوم والفرقان كمفهوم سيال يطلق أولا وبالذات على القرآن كما في قوله تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقد سميت سورة الفرقان تيمناً بهذا الاسم المباركة وأيضا اطلق على القرآن في قوله عز من قائل (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) وكذا اطلق هذا المصطلح ايضا في قوله تعالى على التوراة

بلحـاظ انها تفرق ايضا بـين الحق والباطل وطبعا هذا قبـل تحريفها(ولقد آتينـا موسى وهـارون الفرقان) بل اطلق ايضا على يوم بدر لانه ميز فيه بين المسلمين والكفار وفرق فيه بين اهل الحق واهل الباطل وذلك عند قوله تعالى (ومـا انزلنـا على عبدنـا يوم الفرقان يـوم التقى الجمعـان) وايضا يوجد في ثنايا كتاب الله المجيد تحفة من الأهمية بمكان اتحفها سـبحانه لأهل التقوى والخشـية منه تبارك وتعالى حباهم بها وخصهم بنيلها وهذه الهبة هي قوة فكرية وطاقة فوق البشرية اشرقت لها قلوبهم وانارت بها عقولهم فأصبحوا بأجسـادهم من اهل هذه الغبراء وبأرواحهم من سـكان ملائكة السماء وهذه الآيـة هي (ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)

مناجاة التائبين

يقول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فيها (إلهِي أَلْبَسَتْنِي الْخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتِي، وَجَلَّلَنِي التَّباعُدُ مِنْـكَ لِبـاسَ مَسْـكَنَتِي وَأَماتَ قَلْبِي عَظِيـمُ جِنايَتِي فَأَحْيِه بِتَوْبَـة مِنْكَ يا أَمَلِي وَبُغْيَتِـي وَيا سُـؤْلِي وَمُنْيَتِي فَوَ عِزَّتِكَ ما أَجِدُ لِذُنُوبِي سِـواكَ غافِراً، وَلا أَرى لِكَـسْرِي غَـيْرَكَ جابِراً، وَقَدْ خَضَعْـتُ بِالإنابَةِ إِلَيْكَ وَعَنَوْتُ بِالاسْـتِكانَةِ لَدَيْكَ، فَـإِنْ طَرَدْتَنِـي مِنْ بابِكَ فَبِمَنْ أَلُـوذُ وَإِنْ رَدَدْتَنِي عَنْ جَنابِـكَ فَبِمَنْ أَعُوذُ فَوا أَسَـفاهُ مِنْ خَجْلَتِـي وَافْتِضاحِي وَوالَهْفاهُ مِنْ سُـوءِ عَمَلِي وَاجْتِراحِي.)

الـشيء الملفـت للنظر في هذه المناجـاة الخمس عشرة تكـرار كلمة (الهي) فيهـا جميعـاً سـواءً في اول المناجـاة أم في ثناياها ومعنى (الـه) هو ما اتخذ معبودا فكأنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يعيد هذه المفردة للاقرار بالعبودية بين فينة واخرى

فيبـدأ في اول المناجـاة بعبوديتـه له سـبحانه وإقراره له تبـارك وتعالى بأنه سـيده ومالـك امره ثم يسـتغرق بجمل الثنـاء وكلمات التوسـل والرجاء او كمـا ذكرنا قـد يبدأ بسرد المناجـاة والانقطاع لربه ثم بعدهـا يذكرها ولعله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يشـابه جده امير المؤمنين صلوات الله وسـلامه عليه وعلى ابناءه في المناجاة المنظومة المنسـوبة له فانه قد ذكر كلمة (الهي) مرات عديدة جدا قد بلغت ستاً وعشرين مرة وفي المناجاة الشعبانية التي كان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يناجي بها خالقه في شهر شعبان هو والائمة من ولده قد تكررت فيها هذه الكلمة فنذكر شـيئا على سـبيل الايجاز حيث يقول (الهي كأني بنفسي واقفة بين يديك وقد اظلها حسن توكلي عليك) ويقول ايضا (إِلهِي، كَيْفَ آيَسُ مِنْ حُسْنِ نَظَرِكَ لِي بَعْـدَ مَماتِـي، وَأَنْتَ لَمْ تُوَلِّنِي إِلاَّ الْجَمِيلَ فِي حَياتِي) وايضا تراه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يبدأ بالذوبان لربه والانقطاع له من الخلق وتتسـامى حالة العشق لبارءه فيقول (إِلَهي جُودُكَ بَسَـطَ أَمَلِي، وَعَفْوُكَ أَفْضَـلُ مِنْ عَمَلِي، إِلَهِي فَسُرَّنِي بِلِقَائِكَ يَوْمَ تَقْـضِي فِيـهِ بَيْنَ عِبَادِكَ، إِلَهـي اعْتِذارِي إِلَيْكَ اعْتِذارُ مَنْ لَمْ يَسْـتَغْنِ عَنْ قَبُولِ عُـذْرِهِ، فَاقْبَـلْ عُذْرِي يا أَكْرَمَ مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُسـيئونَ، إِلَهي لا تَرُدَّ حَاجَتِي، وَلا تُخَيِّـب طَمَعِـي، وَلا تَقْطَعْ مِنْـكَ رَجَائِي وَأَمَلِي، إِلَهي لَـوْ أَرَدْتَ هَوانِي لَمْ تَهْدِنـي، وَلَـوْ أَرَدْتَ فَضِيحَتِي لَمْ تُعَافِنِي، إِلَهي مَـا أَظُنُّكَ تَرُدُّنِي فِي حَاجَةٍ قَدْ أَفْنَيْـتُ عُمْـرِي فِي طَلَبِها مِنْكَ، إِلَهي فَلَـكَ الحَمْدُ أَبَداً أَبَداً دَائِماً سَرْمَداً يَزِيدُ وَلا يَبِيدُ كَمَا تُحِبُّ وتَرْضَى. إِلَهِي إِنْ أَخَذْتَنِي بِجُرْمِي أَخَذْتُكَ بِعَفْوِكَ، وَإِنْ أَخَذْتَنِي بِذُنُوبِي أَخَذْتُكَ بِمَغْفِرَتِكَ، وإِنْ أَدْخَلْتَنِيَ النَّارَ أَعْلَمْتُ أَهْلَهَا أَنِّي أُحِبُّكَ) ولنختم هذه المناجاة بلوحة يرسم فيها القلوب الوالهة والنفوس الهائمة وهي تنطق

مـن حجـب المادة الى حجب النور ومعدن العظمـة فيقول (الهي هب لي كمال الانقطـاع اليـك وانـر ابصار قلوبنا بضيـاء نظرها اليك حتـى تخرق ابصار القلـوب حجب النـور فتصل الى معـدن العظمة وتصير ارواحنـا معلقة بعز قدسك . الهي واجعلني ممن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك فناجيته سرا وعمل لك جهرا) وايضا نقول لعل لتكرار الامام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سراً في هذه الكلمة خفيت على اذهاننا القاصرة . وهو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في هذا المقطع من المناجاة يعتبر التوبة هي حياة لقلب الانسـان وربيعاً لفؤاده فالعبد الآبق مـن مولاه يعيش حالة الهلع الدائم والخوف المسـتمر وعدم التوازن الداخلي في نفسـه ولا يطمأن الا بالعودة لسـيده لذا فهم يذكرون ان معنى التوبة هو الرجوع والعودة ونقول ان هذا الرجوع وهذه العودة هما اول مظاهر التوبة لان للتوبـة مظاهـر متعددة منها التوبة باللسـان المعبر عمـا في القلب ومنها الندم وتأنيب الأنسان لذاته حيث ورد عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (كفى بالندم توبة) ولعله ترشـد اليه الآية المباركة في سورة [1] (وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجـأ من اللـه الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم)

ومنهـا ان الحـدود الشرعيـة هـي توبة وتطهـير للعبـاد وان الله تبارك وتعـالى اكـرم من يعاقب الانسـان مرتين مرة في الدنيـا بإقامة الحد الشرعي ومـرة في الاخـرة بتعذيبه في نار جهنم اما الاسـتغفار فهـو طلب الصفح عن الذنوب والعفو عنها ومسـامحته في جرمه وذنبه ولعله ان الاستغفار مقدمة

---

١ - التوبة برقم ١١٨

للتوبــة او متقدم رتبة عليها كما ترشــد اليه الايــات المباركات كقوله تعالى[١] (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعً حسناً) وفيها ايضا [٢] (ويا قــوم اســتغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسـل السـماء عليكم مـدراراً ويزدكم قــوة الى قوتكــم) وكذا ايضا الآية ٩٠ من ســورة هود(واســتغفروا ربكم ثم توبــوا اليــه ان ربــي رحيم ودود) اما الآية المباركة في ســورة المائدة [٣] (افلا يتوبون الى الله ويســتغفرونه) فلا تدل على تقدم التوبة على الاســتغفار لان العطــف بالواو لا يقتضي ذلك ولســالكي طريق العلــم والمعرفة بل ومن اراد تيســير امــر الدنيا لــه و تفتح ابواب الــرزق له ننقل هذه الروايــة عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) [٤] (من قال كل يوم أربعمائة مرة شــهرين متتابعين رزق كَثِيراً من علم أو كَثِيراً من مال : أَسْـتَغْفِرُ الله الَّذِي لا إِلهَ إِلاّ هوَ الحَيُّ القَيومُ الرَّحْمنُ الرَّحيمُ بَديعُ السَّـماواتِ وَالارضِ مِنْ جَميعِ ظُلْمي وَجُرْمي وَإِسْرافي عَــلى نَفْــسي وَأتوبُ إليهِ) فالامام الســجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقــرع بادعيته ومناجاته القلوب القاســية والنفوس الناســية لعلها ترجع الى ربها وتعود الى رشــدها قبل ان تجتمع عليهم حسرة الفوت وسكرة الموت فلا يجدون ملجئاً يرجعون اليــه او موئلاً يســتندون اليه ولكن

لقد أسمعت لو ناديت حيًا ولكــن لا حيــاة لمــن تنــادي

ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكــن أنــت تنفــخ في الرمــاد

١- سورة هود آية :٣

٢- هود اية ٥٢

٣- المائدة برقم ٧٤

٤- الوسائل ج ٧ ص ٢٢٥

وفي ذيل هذا المقطع من هذه المناجاة ورد (سوء عملي) وهو اضافة الصفة للموصوف فان اصلها العمل السيء وقد ورد مثل هذه الهيئة في القران الكريم كقوله تعالى (ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) [١]

ولا ريب ان حساب الباري تعالى مجده لعباده ليس فيه سوء وحاشا من السوء ولكن الرواية الشريفة تفسر هذا المعنى للاية المباركة فقد روي (في الكافي عن حماد بن عثمان، قال دخل رجل على الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فشكى إليه رجلا من أصحابه فلم يلبث أن جاء المشكو فقال له أبو عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مغضباً ما لفلان يشكوك فقال له يشكوني إني استقضيت منه حقي قال فجلس ابو عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مغضباً ثم قال كأنك اذا استقضيت حقك لم تسيء ارأيت ما حكى الله عز وجل في كتابه فقال (يخافون سوء الحساب) أترى انهم خافوا الله ان يجور عليهم لا والله ما خافوا الا الاستقصاء فسماه الله عز وجل سوء الحساب فمن استقصى فقد اساء) [٢]. فإمامنا الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يبرز لنا قضية اخلاقية ويرشدنا الى معادلة اجتماعية مع اي طرف لنا حق معه في ان نتنازل عن بعض حقوقنا ونمد له غصن الزيتون ونتعامل بيسر ويسار مع الاخرين وان لا يكون مذهبنا مع الناس مذهبا براغماتيا قال الحق سبحانه في [٣] (وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) .

مناجاة الراجين

١- الرعد : ٢١

٢- الحدائق ج ١٨ ص ٤٩

٣- سورة النور آية ٢٢

ويقول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (يا مَنْ إذا سَأَلَهُ عَبْدٌ أَعْطَاهُ، وَإذا أَمَّلَ ما عِنْدَهُ بَلَّغَهُ مُناهُ، وَإذا أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَرَّبَهُ وَأَدْناهُ، وَإذا جاهَرَهُ بِالْعِصْيانِ سَتَرَ عَلَى ذَنْبِهِ وَغَطَّاهُ، وَإذا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ وَكَفَاهُ)

الحياة مليئة بالصعاب ومشحونة بالهموم وتقاطعات المحن وتقلبات الاحوال وتغير الهدوء و الطمأنينة بالاهوال وبنظرة فاحصة الى ايامنا السالفة دليل على ما نقول وما احسن قول المتنبي مصوراً لنا حالة الدهر حينما يذكر هذه الابيات فيقول

رَماني الدّهرُ بالأرزاءِ حتى ... فُؤادي في غِشاءٍ مِنْ نِبالِ
فَصِرْتُ إذا أصابَتْني سِهامٌ ... تكَسّرتِ النّصالُ على النّصالِ
وهانَ فَما أُبالي بالرّزايا ... لأنّي ما انْتَفَعتُ بأنْ أُبالي

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان هذه الصعاب والمصائب فيها جنبة تنبيه للنفس وصحوة لاهل الغفلة من الأنس ويقول الشافعي معبراً عن هذا الجانب الاخر من الشدائد والمحن فيقول

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ ... وَإنْ كانت تُغصّصُنِي بِرِيقِي
وَمَا شُكْرِي لهَا حمْداً وَلَكِن ... عرفتُ بها عدوّي من صديقي

فالعبد حينما تعرض له هذه العوارض ليس له الا سؤال ربه فهو المعتمد في قضاء الحوائج وإليه المفزع في الشدة والرخاء ولكنه مع ذلك جعل لها اسبابا وعللاً خاصة وهذه هي حكمته المتعالية وهذا ما يذكره الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) [1] فيقول (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شئ سببا وجعل

---

١ - الكافي ج ١ ص ١٨٣ ح٧

لكل سبب شرحا وجعل لكل شرح علما وجعل لكل علم بابا ناطقا عرفه من عرفه وجهله من جهله ذاك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ونحن) - وهو سبحانه قد امرنا ان نمشي في مناكبها لطلب الرزق والكسب ولذا حينما اتى العلاء بن كامل للأمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ورجاه في ان يدعو الله له بالرزق وهو خامل لا يتحرك في طلب رزقه امتنع (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من هكذا رجاء والرواية هي فعن ايوب اخي اديم بياع الهروي قال (كنا جلوسا عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ أقبل العلاء بن كامل فجلس قدام أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال ادع الله أن يرزقني في دعة فقال لا أدعو لك، أطلب كما أمرك الله) [١] فالجلوس معتزلا في الدار والانطواء على النفس عمل سلبي غير محبذ في الدين الاسلامي وانه لابد للناس من الناس والاعتماد عليهم فيما بينهم مع جعل الغاية القصوى امامنا هو الله سبحانه وتعالى بأنه الرزاق الحقيقي والوهاب الواقعي قال تعالى ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ [٢] وقريب منه خبر عمر بن يزيد في الموثق قال قلت لأبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رجل قال لأقعدن في بيتي ولاصلين ولأصومن ولأعبدن ربي فأما رزقي فسيأتيني فقال أبو عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم) [٣]

أقول : الاخران احدهما الذي يدعو على زوجته فيقول الله له الم اجعل طلاقها بيدك فلماذا تدعو عليها والاخر الذي يقرض الناس بلا شاهدين ثم ينكره المقترض فيقال له الم آمرك بشاهدين ولكن قبال ذلك ورد انه قد

١- الحدائق ج ١٨ ص ٤

٢- الطلاق : ايه ٢و٣

٣- الحدائق ج ١٨ ص ٤

يحصل الرزق بلا اسباب ظاهرية واضحة لنا فيحصل للانسان الرزق وهو جالس في بيته كما ورد لمريم (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وقد ورد في القران الكريم عنها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هُذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [1] وقد ذكر العياشي عن ابي جعفر الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ضمنت لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت، وضمن لها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ما كان خلف الباب من نقل الحطب، وأن يجئ بالطعام، فقال لها يوما يا فاطمة هل عندك شئ

قالت لا والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاث إلا شيء نقريك به، قال أفلا أخبرتني قالت كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نهاني أن أسألك شيئا، فقال لا تسألي ابن عمك شيئا، إن جاءك بشيء عفوا وإلا فلا تسأليه، قال فخرج الامام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فلقي رجلا فاستقرض منه دينارا، ثم أقبل به وقد أمسى، فلقي المقداد بن الأسود فقال للمقداد ما أخرجك في هذه الساعة قال الجوع، والذي عظم حقك يا أمير المؤمنين قال قلت لابي جعفر ورسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) حي قال ورسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) حي قال فهو أخرجني فقد استقرضت دينارا وسأوثرك به، فدفعه إليه، فأقبل فوجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جالسا وفاطمة تصلي وبينهما شيء مغطى، فلما فرغت أحضرت ذلك الشيء، فإذا جفنة من خبز ولحم قال: يا فاطمة أنى لك هذا؟ قالت: هو

---

١ – آل عمران اية ٣٧

من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ....)[١] ولكن هذه القضية ليست مطردة ولا هي سيالة لكل احد بل هي لا تحصل الا للاوحدي من الناس وصفوة الخلق كمريم (عَلَيْهَا السَّلَامُ) حيث اصطفاها الله سبحانه وتعالى مرتين قال سبحانه ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] وكذلك لسيدة نساء العالمين كما ذكرنا في الرواية السالفة وكلامنا هنا في افراد النوع الانساني لا في هذه الذوات القدسية وهنا جانب مهم ينبغي تسليط الضوء عليه وهو وجود جهة مشتركة بين القصتين والواقعتين وهي جهة الانوثة فيهما (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فكأن القضية لخصوص الرجال لا بد من الكدح والمشقة وتعمير الارض والحركة على وجه البسيطة حتى تحصل ديمومة الحياة ودفع عجلة الاقتصاد الانساني للامام وهي سيرة أنبياء الله تعالى حيث عملوا في مختلف مجالات الحياة بالاضافة الى وظيفتهم التبليغية وكذا سيرة النبي الخاتم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وتجارته بمال خديجة رضوان الله عليها وعمله في رعي الاغنام وكذا سيرة مولى الموحدين امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الحيطان التي كانت له وحفره الابار وزراعة الارض. وسيرة ابناءه الائمة الهداة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) .

١- تفسير العياشي ج١ ص١٩٤ الحديث ٤١

٢- ال عمران اية ٤٢

مناجاة الزاهدين

ويقول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فيها (الـهي اَسْكَنْتَنا داراً حَفَرَتْ لَنا حُفَرَ مَكْرِها، وَعَلَّقَتْنا بأيـدي الْمَنايا في حَبائِلِ غَدْرِها، فَالَيْكَ نلتجـئ مِنْ مَكائِدِ خُدَعِها، وَبِكَ نَعْتَصِمُ مِنَ الاغْتِرارِ بِزَخارِفِ زينَتِها، فإنها الْمُهْلِكَةُ طُلاّبَهَا، الْمُتْلِفَةُ حُلاّلَهَا، الْمَحْشُـوَةُ بالآفات)

ويقول جده فحل الفحول وبعل الزهراء البتول (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) في صفة الدنيا (مـا أَصِـفُ مِـنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَـا فَنَاءٌ فِي حَلَالِهَا حِسَـابٌ وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنِ اسْـتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ وَمَنْ سَـاعَاهَا فَاتَتْهُ وَمَنْ قَعَـدَ عَنْهَـا وَاتَتْهُ وَمَنْ أَبْـصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ وَمَـنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَـا أَعْمَتْهُ) . ويقول السـيد الـرضي ذاهلاً من كلام جده امير المؤمنـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (أقول: وإذا تأمل المتأمـل قولـه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (من ابصر بها بصَّرته) وجد تحته من المعنى العجيب والغـرض البعيـد مالا تبلغ غايته ولايدرك غوره ولاسـيما اذا قرن اليه قوله (وابصر اليها اعمته) فانه يجد الفرق بين ابصر بها وابصر اليها واضحا نيرا وعجيبا باهرا) .

لا غـرو ان الامـام زيـن العابديـن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هـو خريج جامعـة جده علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والقمة والقامة بعد والده سـيد الشـهداء في ارشـاد الامة واصلاح المجتمـع وهو الفرع الباسـق لهـذه الدوحـة المتعالية ذات الافنان الشـامخة فلاعجب ان يتقارب الاسلوب ويتماثل الخطاب وتتشابه الصياغة فهو في هذه القطعـة من مناجاته يصور حال الدنيا فكيف تبالغ في المكر لابناءها ويشـبه

المنايـا بان لها ايد تخطف بني الانسـان بحبال مـن الخديعة والغدر وتديف الموت بالسم الزعاف ليتجرعه هذا الكائن الغافل عما يجري حوله ولقد اجاد المتنبي لما صور الموت في بعض الاحيان انه يتمناه الانسان عندما تزداد البلايا وتشـتد تقاطعات الحياة على الانسان فيقول

كَفى بِكَ داءً أَن تَرى المَوتَ شافِيا وَحَسـبُ المَنايـا أَن يَكُـنَّ أَمانِيـا

تَمَنَّيتَهـا لَمّـا تَمَنَّيـتَ أَن تَـرى صَديقـاً فَأَعيـا أَو عَـدُوّاً مُداجِيا

إِذا كُنـتَ تَـرضى أَن تَعيـشَ بِذِلَّةٍ فَـلا تَسـتَعِدَّنَّ الحُسـامَ اليَمانِيـا

وهـو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يتكلـم هنا عن الزهـد والزهد ليس معناه ان لايملك الانسـان شـيئاً بـل الزهد أن لايملكه شيءٌ ولعل من فـسر الزهد بأنه الرغبة عن الشيء نظـير ما ورد في سـورة يوسـف [1] (وكانوا فيه من الزاهديـن) اي الراغبين عن اخيهم يوسـف (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ليس مراده ترك كل مقومات الحياة واساسيات الدنيـا الضروريـة فان هـذا يكاد يلحق بالمحـال بل المراد من هـذا الزهد هو القناعـة وتقبل الحياة البسـيطة بـلا تكلف والابتعاد عن زبـرج الدنيا وهذه المعانـي للزهـد هي كلها متلازمات فيما بينها فمن يزهد في هذه الدنيا ويبني لبنـات الحيـاة الابديـة في آخرته فهو قانـع هنا بأيسر سـبل العيش ولذا قال مولى الموحدين امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في قصار الحكم من نهجه الحكمة ٧٨٤ (القناعة مال لاينفد) نعم هي مال اي ما يتمول به وعدم نفادها لانها جوهر سـامي وليسـت عنصرا ماديا يتضـاءل كلما أُخذ منه ونظـير القناعة في عدم نفادهـا وكونها جوهرا معنوياً ما ورد عنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في وصيته لكميل حينما

١- اية : ٢٠

قال (المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق) وورد عنه ايضا في قبول الحياة السلسة البسيطة وقبول هكذا اشخاص واتخاذهم اخوانا والابتعاد عن من يتصفون بضد هذه الصفات ففي قصار الحكم من نهجه الحكمة ٧٨٨ (شر الاخوان من تكلف له) وقد ذكر المولى محمد صالح المازندراني [١] الرواية عن الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) التي تعزز معنى الزهد عند الناس وتحث على عدم الاغترار بالدنيا فيقول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد إرتحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا [ألا] وكونوا من الزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، ألا إن الزاهدين في الدنيا إتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا، ألا ومن إشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب، ألا إن لله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن رأى أهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة، حوائجهم خفيفة، صبروا أياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة، أما الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون إلى ربهم، يسعون في فكاك رقابهم وأما النهار فحلماء، علماء، بررة، أتقياء، كأنهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم، من ذكر النار وما فيها) فهو هنا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يبين جدلية الإنسان وصراعه الداخلي وتفضيله

١- شرح اصول الكافي ج ٨ ص ٣٨٨

الدنيـا عـلى الاخرة لانه من ابناء الدنيا والولد مطبوع على حب امه كما يقوله امـير المؤمنـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وفي نفس هـذه الرواية نفهم منهـا ان للزهد مراتب وهو يصف بها الغاية القصوى من هؤلاء الزاهدين وهم سـنام الناس وقنن الفخر وقلل الدهر فهم يأكلون من الدنيا بقدر الضرورة وكانوا يقتاتون منها كالميتة كما ورد به الخبر اي يأخذون منها ما يسد رمقهم وهم حجج الله في ارضه أئمتنا الاطهار (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وجدهم المصطفى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) فقد ربط حجـر الجـوع على بطنه وانبياء الله تعالى كمن يطالع سـيرة موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وخضرة البقل التي كان يقتات عليها وزهد عيسى ويحيى (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) وغيرهما من انبياء الله وسـفراءه الى خلقه بل ان بعض الصالحين من الشـباب الذين صحبوا علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وخالط حبه كيانهم وتأثروا بخطبه وكلامه قد صعقوا عندما يصف بعض الحالات فقد كان شخص يدعى همّاما قد التمس من امير المؤمنـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ان يصـف لـه حال المتقـين حتى كأنه ينظـر اليهم فتثاقل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عـن جوابـه - ولعله لعلمه بعدم تحمل قلبه الرقيق لما سـيذكره له ولـذا بعد ان اصر عليه صعق ومات كما سـتقرأ بعـد قليل - ثم قال يا همّام اتق الله واحسن ف (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) فلم يقتنع همّام بهذا القول حتى عزم عليه فذكر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) خطبة المتقين الزاخرة بالعبر المليئة بالحكم لبني البشر الى ان اكملها فصعق همّام صعقة كانت نفسه فيها فقـال امـير المؤمنـين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اما والله لقـد كنت اخافها عليه ثـم قال هكذا تصنـع المواعـظ البالغة بأهلهـا) وهذه الدنيـا التي ذكـرت في بعض الاخبار بالمزرعـة ففي الخبر (الدنيا مزرعة الاخرة) اي ان ما يزرع هنا فثمره يكون

مـن جنس عمله فمن يزرع الشـوك يحصد الشـوك ومن يـزرع الثمر الجني يجده هناك يانعاً طرياً ولذا ورد في الامثال عند العرب (من يزرع الشـوك لا يحصد به العنبا) . ولنرجع الى مناجاته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فانه قد ذكر بعض المفردات التي تسـتحق الشرح منها انه ذكر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لفظ (داراً) ولم يقل (بيتاً) مثلا فعبر عن الدنيا بالدار وذلك لان الدار يشترط فيها ان تكون مبنية فهي يشار بها الى الأرض والبناء بخلاف البيت فهو المكان الذي يعتاد الانسان ان يبيت ويقضي الليل فيه ولا يشترط فيه ان يكون مبنياً فلعله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) استعمل هذه المفردة للاشـارة الى ان بني البشر يبنون الدور ويشيدون القصور فعبر بهذا التعبـير وايضـا(عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد ذكر المكـر في قوله (وحفرت لنـا مكرها) والمكر هـو (صرف الغير عما يقصده بحيلـة) [1] وقد ورد في الخبر ان ثلاث خصال يعود وبالهن على صاحبهن ففي تفسـير علي بن ابراهيم القمي ثلاث خصال مرجعهـا عـلى الناس في كتاب الله عزوجل البغـي والمكر والنكث قال الله عز وجل (ياأيها الناس انما بغيكم على انفسكم) وقال (فمن نكث فانما ينكث على نفسـه) وقـال (و لا يحيق المكر السيء الا بأهلـه) وفي رواية عن النبي الاكرم محمـد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) انه قال (خمسـة في كتاب اللـه تعالى كن فيه كن عليه قيل وماهي يا رسـول الله قال النكث والمكر والبغي والخداع والظلم

فأمـا النكـث فقال الله عزوجـل (فمن نكث فإنما ينكث على نفسـه) واما المكـر فقـال الله تعـالى (ولا يحيـق المكر الـسيء إلا بأهله) واما البغي فقال اللـه تعـالى (يا ايهـا الناس انما بغيكم على انفسـكم) واما الخـداع فقال الله

---

١ - مفردات الراغب مادة مكر ص ٤٩١

تعالى (يخادعون الله والذين امنو وما يخدعون اله انفسهم وما يشعرون) واما الظلم فقال الله تعالى (وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون) [1] وما اروع ما نطق به حكيم الحكماء بعد النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وهو لقمان عصره امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حينما يقول (الزهد كله بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه* (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) * ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزاهد بطرفيه) بل هو القائل (الزهد اصل الدين) و (الزهد ثمرة الدين) و (عليك بالزهد فانه عون الدين) و (الزهد اساس اليقين) فهوا الاصل والقاعدة وهو الثمرة والنتيجة وهو العون والمساعد فهو هالة تحيط بالانسان ترفعه الى الرقي والترفع عما بأيدي الناس والتحلي بملكات الحكماء وخصال الانبياء .

---

١ - معدن الجواهر للكراجكي ص ٤٨

مناجاة المحبين

ويقول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فيها

(الـهي مَنْ ذَا الَّذي ذاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرامَ مِنْكَ بَدَلاً، وَمَنْ ذَا الَّذي اَنِسَ بِقُرْبِكَ فَابْتَغى عَنْكَ حِوَلاً، الـهي فَاجْعَلْنا مِمَّنِ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوِلايَتِكَ، وَاَخْلَصْتَهُ لِوُدِّكَ وَمَحَبَّتِكَ، وَشَوَّقْتَهُ اِلى لِقائِكَ، وَرَضَّيْتَهُ بِقَضائِكَ ...)

المحب وان اخفى ما في فؤاده وما يجول في خلجات نفسه وأحاسيسه ووجدانه فهو يظهر على ملامح شخصيته وصفحة وجوده وما اعذب حكيم الشعراء حينما يقول

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أمْ لم تَصْبِرَا وَبُكاكَ إن لم يَجْرِ دمعُكَ أو جَرَى
كمْ غَرّ صَبرُكَ وَابتسامُكَ صَاحِباً لمّا رَآهُ وَفِي الحَشَا مَا لا يُرَى
أمَرَ الفُؤادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ فَكَتَمْنَهُ وَكَفَى بجِسْمِكَ مُخبِرَا

وينسب لمجنون بني عامر وكذا لغيره ايضا

اي محبتكم شهود أربع وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبي واضطراب جوارحي ونحول جسمي وانعقاد لساني

الحب من الناحية النفسية

بحث المحللون النفسيون في بحوثهم المعاصرة عن الحب باعتباره يشكل الرقم الصعب والثابت العام في معادلة الحياة وعرفوه بتعاريف عديدة نذكر مقتطفاً منها فعرفه بعض بأنه (عبارة عن شعور مباغت بالانجذاب والتأثر بشخص ما يتعرض له الانسان في حياته) وعرفه آخر بأنه (عبارة عن مجموعة من المشاعر التي تقوم على بعض القيم السامية مثل الاهتمام والاحترام اللذين يكنهما الشخص لشخص آخر) وفي تعريف ثالث (مجموعة من التصرفات التي تصحب باهتمام قوي ومزيد لشخص ما مع التأثر به بدرجة كبيرة) الى غيرها من التعاريف ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه التعاريف وبيان غثها من سمينها وانما الذي نعتقده انها تعاريف لأمر بديهي وفطري فان معنى الحب يدركه حتى الاطفال في بداية نشأتهم وطفولتهم فعندما يسأل الطفل ايهما تحب اكثر هل تحب امك او اباك يجيب عن هذا السؤال بأنه يحبهما كليهما فهو يقف بمسافة واحدة ويمسك العصا من المنتصف واذا اردنا ان نوضح هذا الكلام اكثر نقول انه يكفي في هذا اللفظة وهي لفظة الحب أنّ تصور لفظها يدل على معناها ويمكن ارجاع هذه التعاريف جميعها الى معنى واحد صحيح فكل منها قد نظر لجهة معينة ولاحظ في مقصده زاوية خاصة وهو ما يشير اليه هذا البيت المنسوب لجلال الدين الرومي

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

فكل حبيب لاحظ في محبوبه جهة من جهات الجمال فحركته نحوه

وجذبتـه اليـه ومتعلـق الحب قـد يكون بشرا وقـد يكون حيوانـا كأن يحب الانسـان بعـض الحيوانـات كما هـو المشـاهد في عصرنا الراهـن فقد يوصي أحدهـم بثروتـه لكلبه او قطته وحب العرب لأبلهم وخيولهم بل وغيرهم من الشعوب معروفة في قصص الأدب ولا يقتصر الحب على الحيوانات بل يشمل حتى الجمادات فالجواهر والذهب والمال تقع مورداً لحب الانسان كما تصرح بذلـك الآيـة المباركة (وتحبـون المال حباً جما) بل لا يختـص الحب بالماديات وانما يشـمل المعنويات ايضا كحب الانسـان لذاته[1] وحبه للكمال والخير بل حبه وانجذابه للذات الالهي الاقدس بسـبب كونه منبع كل الخير ومنتهى كل جلال وجمال

الحب في مفهوم اهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

لعلنـا نفهـم مـن مفـردة الديـن انهـا مجموعة مـن الطقـوس الظاهرية التـي يمارسـها الافراد المتدينون وتظهر امام الاخريـن بتأدية بعض الافعال والابتعاد عن بعض آخر واتخاذ حالة الجمود والتقوقع عن بناء الحياة وعدم رفد المجتمع بطاقة ايجابية تسـهم بدفع عجلة الحياة للامام ولكن هذا الفهم مجانب للصواب وليس هذا السـيناريو (التصور) هو المراد من مفردة الدين

١- بشرط الا يتحول الى شيء خارج عن حده وهو ما يسمى في علم النفس بمصطلح العقدة النرجسية وهي تعني حب النفس او الذات على نحو مفرط ويسمى بالانانية وهذه العقدة تخلق عدم التوازن في كيان الانسان وذاته ويشعر بالتعالي والغرور ومحاولة التفرد بالاهمية وعلى حساب الغير وهذا المصطلح نسبة لاسطورة يونانية وهي ان نركسوس كان فائقاً في الجمال وقد عشق نفسه حتى الموت عندما رأى وجهه في الماء .

في قاموس ومدرسة اهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وذلك لان الدين عندهم هو الحب وقد ورد عنهم مايشير لهذا المضمون نذكر بعض الشواهد على ذلك فهنا ما ورد عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (هل الدين الا الحب) وفي رواية اخرى عنه ايضا (القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله) وعن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (الدين هو الحب والحب هو الدين) بل في مقام التفاضل بين الخوف والحب لانه ذكر الخوف في غير مورد من الكتاب الكريم والادعية المعصومية مثلا (ولمن خاف مقام ربه جنتان) يذهب الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الى ان الحب اسمى واسنى من الخوف فيقول (الحب افضل من الخوف) ومفردة الحب او مادة الحب قد ذكرت في الكتاب العزيز كراراً ومراراً مثلا (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) و(يحبون من هاجروا اليهم) و (هو الذي حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره الكفر والفسوق والعصيان) و (ان الله يحب المحسنين) و (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) و (والله يحب المطهرين) و (فان الله يحب المتقين) و (الله يحب الصابرين) و (ان الله يحب المتوكلين) و (ان الله يحب المقسطين) (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وقد ورد في المقابل (ان الله لا يحب المعتدين) و (والله لا يحب كل كفار اثيم) و (ان الله لا يحب من كان مختالاً فخورا)و (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) (ان الله لا يحب الخائنين) و (ان الله لا يحب المفسدين) و (انه لا يحب المستكبرين) و (انه لا يحب الكافرين) و(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) وغيرها من الآيات الكريمات وبالبداهة يلاحظ ان الحب من المفاهيم

المشككة فكلما تمسك الانسان بخصلة من هذه الخصال فقد تمسك بخيط من خيوط الحب التي تزيد أواصر العشق الالهي فيزداد حباً لله كذلك يزداد الله حباً له ايضا وكلما جمع من هذه العناوين اكثر فاكثر ازدادت حالة الحب شيئا فشيئا والذي يجب التأكيد عليه انه لا بد من ازالة الحجب المانعة وهي التي توجب عدم محبة الله لعبده كما ذكرتها الآيات المباركات اعلاه وبينتها كلمات النبي الاكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) والائمة الاطهار (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) حتى يحصل الحب الحقيقي والعشق الواقعي والا يكون من الجمع بين الضدين ولذا ذكر العلامة المجلسي في بحاره [1] ما نسبه الى الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومشيراً لهذا المعنى

تعصي الاله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرك في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وبعض ينسب قريب من هذين البيتين باضافة بيت ثالث الى الشافعي وهي

تَعصي الإِلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ ... هَذا مَحالٌ في القِياسِ بَديعُ

لَو كانَ حُبُّكَ صادِقاً لَأَطَعتَهُ ... إِنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ

في كُلِّ يَومٍ يَبتَديكَ بِنِعمَةٍ ... مِنهُ وَأَنتَ لِشُكرِ ذاكَ مُضيعُ

١- ج ٤٧ ص ٢٤

ومن دعائه عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الاستعاذة من المكاره وسيء الأخلاق ومذام الأفعال

(اللهم اني اعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد وضعف الصبر وقلة القناعة وشكاسة الخلق و إلحاح الشهوة وملكه الحمية و متابعة الهوى ومخالفة الهدى وسنة الغفلة وتعاطي الكلفة وإيثار الباطل على الحق والإصرار على المآثم واستصغار المعصية واستكثار الطاعة ومباهاة المكثرين والإزراء بالمقلين وسوء الولاية لمن تحت أيدينا وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا... الدعاء)

لنجعل هذا المقطع من الدعاء في كفة من الميزان ولنأتي بمقطع آخر من أدعيته (عَلَيْهِ السَّلَامُ)وهو الدعاء السادس عشر فيقول فيه (يَا إِلهِي لَوْ بَكَيْتُ إِلَيْكَ حَتَّى تَسْقُطَ أَشْفَارُ عَيْنَيَّ، وَانْتَحَبْتُ حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتِي، وَقُمْتُ لَكَ حَتَّى تَتَنَشَّرَ قَدَمَايَ، وَرَكَعْتُ لَكَ حَتَّى يَنْخَلِعَ صُلْبِي، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتَّى تَتَفَقَّأَ حَدَقَتَايَ، وَأَكَلْتُ تُرَابَ الارْضِ طُولَ عُمْرِي، وَشَرِبْتُ مَاءَ الرَّمَادِ آخِرَ دَهْرِي وَذَكَرْتُكَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ حَتَّى يَكِلَّ لِسَانِي ثُمَّ لَمْ أَرْفَعْ طَرْفِي إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ اسْتِحْيَاءً مِنْكَ مَا اسْتَوْجَبْتُ بِذَلِكَ مَحْوَ سَيِّئَة وَاحِدَة مِنْ سَيِّئَاتِي) .

ونجعله في الكفة الثانية من الميزان ونقف نحن في منتصفه ونزن أنفسنا وأعمالنا ونبكي على حالنا كما قال هو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (يا الهي لو بكيت إليك) لان البكاء حالة صحية للإنسان يعبر عن الكبت الموجود في داخله والمرارة التي بداخله في أعماقه من تقصير تجاه آخر أو تعدٍ وظلم على الغير فهي حالة من

حالات الندم وصحوة الضمير وينقل الدكتور علي كمال أخصائي علم النفس في كتابه (النفس انفعالاتها وامراضها وعلاجها)[١] عبارة ل(هنري مودزلي) وهي (أن الحزن الذي لا يجد له منفذاً في الدموع قد يجعل أحشاء الجسم تبكي) فلذا يكون البكاء في بعض الأحيان سلاحاً للإنسان كما يقول سيد الموحدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الدعاء (إرحم من رأس ماله الرجاء وسلاحه البكاء) ويذكر سيد الساجدين في المقطع الأول الذي ذكرناه أعلى البحث ويتعوذ من سورة الغضب ، والغضب هو استجابة طبيعية لتهديدات يتصورها الشخص أو تعرض عليه وهو يتسبب في إطلاق جسمنا للأدرينالين وإنقباض عضلاتنا وزيادة في معدلات دقات القلب ومعدل ضغط الدم وهو في حد ذاته ليس مشكلة لأنه في بعض الأحيان يكون إيجابياً كالغضب لله وللرسول ولأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ومنه غضب المرء لدينه ومعتقده ووطنه وعرضه وشرفه وإنما استعاذ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من سورة الغضب وفورانه للتعدي من خلاله على حقوق الناس والتعامل معهم بجدية مفرطة تؤدي بالتالي الى النفور منه فبدلا من أن يجمعهم الحب معه يصبح الغضب مبعدة عنه وتجنب الناس لشخصيته والهروب منه بل ورد في بعض الاخبار ان اسرة المرء تتمنى موته وورد عن الإمام أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (آلة الرئاسة سعة الصدر)

وقال عنترة في بعض أشعاره

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

ومن المناسب الإهتمام بهذا المقطع من الدعاء (والازراء بالمقلين وسوء

---

١ – النفس انفعالاتها وامراضها وعلاجها ج ١ ص٣٨١

الولايــة لمــن تحت أيدينا) فهو هنا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يؤكد على جانب المســاواة بين بنــي البــشر وجعل الجميع بميــزان واحد في الحقوق والواجبــات والنظر إلى الجوهر الانساني الذي يشتركون به ؛ نعم قد تحصل مفاضلات ثانوية ومن جهــات أخــرى كالعلم والتقوى وغيرها ولكنه هــو بصدد ملاحظة النوع بما هــو نــوع ولذا أورد الصدوق في الخصال [1]عــن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (إن الله تبارك وتعالى أخفى أربعــة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته فلا تســتصغرن شــيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى ســخطه في معصيته فلا تســتصغرن شــيئا من معصيته، فربما وافق ســخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته فلا تســتصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم)

وختــام المقطــع الــذي اخترنــاه وهو(وترك الشــكر لمن اصطنــع العارفة عندنا) فقد ورد في الكتاب العزيز ما يؤكد هذا المعنى مثل (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) و(هل) هنا بمعنى (ما) النافية أي ما جزاء الاحسان الا الاحسان

وورد أيضا في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) اي رد الجميل بجميل واكثر منه لأن البادئ له الفضل علينا ولأن طبع الكرام واهل المعادن النفيســة أن يــردوا الكرم بمثله ويعتبروا من اكرمهــم بانه قد ملكهم بكرمه بخلاف اللئيم والدون من الناس ولنعم ما قال المتنبي

وَمــا قَتَــلَ الأحــرارَ كالعَفــوِ عَنهُــمُ وَمَــنْ لــكَ بالحُرّ الــذي يحفَــظُ اليَدَا

١- الخصال ٢٠٩

إذا أنــتَ أكْرَمــتَ الكَريــمَ مَلَكْتَــهُ وَإنْ أنْــتَ أكْرَمــتَ اللّئيــمَ تَمَــرّدَا
وَوَضْعُ النّدى في موْضعِ السّيفِ بالعلى مضرٌّ كوضْع السيفِ في موضع النّدى

فلابد إذن الإهتمام بالبقية الباقية من عمرنا ونبكي على ما فرطنا فيه من سالف عمرنا وما ندري ماذا تكن لنا الأيام في المستقبل وما هو حالنا مع ربنا سـبحانه والعمر يسرع وقطار الزمن يسـير فقد آن الأوان للجميع أن يقفوا ولو دقيقة واحدة للتأمل التام والبكاء على تراكم الذنوب التي أثقلت ظهورنا وسـيئات أفعالنا وإصلاح الحال ولو بسياسـة القضم البسيط ان لم نستطع الاقلاع عنها جميعا ودفعة واحدة وإلا فمن لم يرعوِ ولم يسـتفد من تجارب الآخرين ولم يعتبر بهم يكون الحوار معه حوار الطرشان لأن الشيطان دائما في يقظة وسياسته معنا سياسة لي الاذرع ولكن من طرفه فقط !

مناجاة العارفين

(الـهي قَصُرَتِ الْاَلْسُنُ عَنْ بُلُوغِ ثَنائِكَ كَما يَليقُ بِجَلالِكَ، وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ عَـنْ اِدْراكِ كُنْهِ جَمالِـكَ، وَانْحَسَرَتِ الْاَبْصارُ دُونَ النَّظَرِ اِلى سُـبُحاتِ وَجْهِكَ، وَلَـمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَريقاً اِلى مَعْرِفَتِكَ اِلاّ بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ ...)

الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في هذه اللوحة العرفانية يصور العجز التام للانسان في اظهار حق الشـكر له سـبحانه وتمام مدحه بانعقاد اللسان عن بلوغ منتهى الثناء والنطق بكامل ما يليق بساحة مفيض الخير والعطاء فتراه يقول (وانحسرت الابصار دون النظر الى سبحات وجهك) في بيان ان ابصار العيون ترجع خائبة وتنقلب خاسـئة دون جلال وجهه وعظيم ذاته بينما يترك المجال فيه من الأمل شيئا والباب يفتح رويدا رويدا لابصار القلوب لكي تنظر الى ضياء الحق سبحانه وكأنه ينقلنا الى المناجاة الشعبانية لجده أمير المؤمنين و مفخرة الموحدين (عليه سلام رب العالمين حيث يقول (الـهي هَبْ لي كَمالَ الانْقِطاعِ اِلَيْكَ، وَاَنِرْ اَبْصارَ قُلُوبِنـا بِضِيـاءِ نَظَرِها اِلَيْكَ، حَتّى تَخْرِقَ اَبْصارُ الْقُلُـوبِ حُجُبَ النُّورِ فَتَصِلَ اِلى مَعْدِنِ الْعَظَمَةِ، وَتَصيرَ اَرْواحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ، الـهي وَاْجَعَلْني مِمَّنْ نادَيْتَهُ فَاَجابَكَ، وَلاحَظْتَهُ فَصَعِقَ لِجَلالِكَ، فَناجَيْتَهُ سِرّاً وَعَمِلَ لَكَ جَهْراً ...) وكأن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يصور حالة الغشية التي تعتري اهل الله سبحانه وتعالى حيث تعجز اليراعة عن البيان والكلام عن اقامة البرهان ويطلق هنا العنان للمشـاعر والوجدان ويذكرنا بنبي الله وكليمه موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في قوله تعالى (وخر موسى صعقا فلما افاق قال سـبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين) [1] فما الذي شـاهده موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأي شيء رآه حتى صعق وهو الذي يمتاز بالقوة والاقدام وهو

١ - الاعراف : ١٤٣

القوي الأمين كما حكى عنه سبحانه فحتماً قد شاهد من مقام الملكوت ما جعله يخر مغشيا الى ان تداركته الرحمة الالهية وافاق من هذه الحالة التي جعلته يذهل ذهولا تاماً عن الخلق ويتوجه بالسفر نحو جناب الحق . والفقرة الاخيرة من هذا المقطع الذي اخترناه وهي (ولم تجعل طريقا الى معرفتك الا بالعجز عن معرفتك) قـد ورد نظـير لها مع نبيي الله موسى وداود (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فعن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (أوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى اشكرني حق شكري فقال يا رب كيف أشـكرك حق شـكرك ليس من شكر أشـكرك به إلا وأنت أنعمت به علي فقال يا موسى شـكرتني حق شـكري حين علمـت أن ذلك منـي) [١] ولنختم هذا البحث النفيس بكلام عرفاني لسـنام العرفان وفخره واسـه نظامه الامام السبزواري (علت في جنان القدس قدمه) حيث يقول في تفسيره العرفاني [٢] (بحث عرفاني : الكعبة المباركة من حيث معنويتها ازلية و ابدية لانها وجهة التوحيد وفناء المعبود الوحيد ومنها تفاني باني البيت إبراهيم الخليل الجليل بل وتفاني جميع الأنبياء من صفيهم الى حبيبهم فإنهم بالطواف حول البيت الشريف يظهرون تفديتهم للعزيـز المهيمن القهار ويطرحون جميع جهات انانيتهم من الحجب والاسـتار ويبرزون مقهوريتهم من جميع الجهات لرب البيت العتيق وينسون انفسهم وقد اتوا من فج عميق

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لايدرون كم لبثوا.

١- بحار الانوار ج ٦٨ ص ٥١ وفي ج ١٤ من البحار ص ٤٠ قريب من هذه الروايه مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ

٢- مواهب الرحمن ج ٦ ص ١٧٦

مناجاة المتوسلين

(إلهـي لَيـسَ لي وَسـيلَةٌ إلَيكَ إلاّ عَواطِـفُ رَأفَتِـكَ وَلا لي ذَريعَـةٌ إلَيكَ إلاّ عَوارِفُ رَحمَتِكَ وَشَفاعَةُ نَبيِّكَ نَبيِّ الرَّحمَةِ وَمُنقِذِ الاُمَّةِ مِنَ الغُمَّةِ، فاجعَلهُما لي سَـبَباً إلى نَيـلِ غُفرانِـكَ وَصَيِّرهُما لي وُصلَةً إلى الفَـوزِ بِرِضوانِكَ، وَقَد حَلَّ رَجائـي بِحَـرَمِ كَرَمِكَ وَحَطَّ طَمَعـي بِفَناءِ جودِكَ ...) قريـب من هذا النور من كلماتهم ما اورده الشـيخ القمي في مفاتيحه من الدعاء وهو (إلهِي وَقَفَ السَّـائِلُونَ بِبابِكَ، وَلاذَ الفُقَراءُ بِجَنابِكَ وَوَقَفَتْ سَـفِينَةُ المَسـاكِينِ عَلى سـاحِلِ بَحْـرِ جُـودِكَ وَكَرَمِكَ يَرْجُونَ الجَوازَ إلى سـاحَةِ رَحْمَتِـكَ وَنِعْمَتِكَ ...)

والوسـيلة التـي تم ذكرها في هـذا المقطع من المناجاة هي ما يتوسـل بها الى المـراد ومـا يتوصل بهـا الى تحقيقه برغبة كما يفهم مـن الآية [1] (يا ايها الذيـن امنـوا اتقـوا اللـه وابتغوا إليـه الوسـيلة) . وهي تارة تكون وسـائل مألوفة وتحقيقها لأثرها طبيعي للناس او قريب من الطبيعي واخرى وسائل غيبيـة وخارقة للعـادة وإن كان الجميـع يرجع الى قانون العليـة والمعلولية ولا مجال للفوضى في هذا النظام الكوني البديع ومثال القسـم الأول وسـائل الإنتـاج في علـم الاقتصاد من الآلات والأيدي العاملة والمواد الخام فانه لولاها لما أمكن تصنيع البضائع والمنتوجات اما القسـم الثاني فسـنأخذ مثالا واحد لتقريـب الفكـرة للذهن وهي انه قد ورد في الآيـة المباركة (فقبض قبضة من اثر الرسـول) أي من أثر حافر فرس الرسـول وهو جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثم جعل

---

١ - سورة المائدة آية ٣٥

السامري هذا الأثر من التراب مع حليهم وصنع منه العجل وحقق هذا التراب الذي قبضه السامري من أثر فرس جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أثره في التمويه عليهم في هذا العجل الذي له خوار وتحققت النتيجة التي كان يرجوها السامري فإذا كان لهذا التراب الذي هو من أثر حافر فرس جبريل له هذه الخاصية أفلا يكون لتراب سيد الشهداء (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هذه الخاصية وزيادة وهو سبط الرسالة ونجل الامامة وملتقى النبوة والخلافة وسليل الدوحة المحمدية العلوية .

وقد ذكر الشيخ [١] في باب الزيادات في فقه الحج كرامة لابي عبدالله الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في حياته وببركة دعاءه عند بيت الله الحرام ما فرج الله به عن خطيئة حصلت في المسجد الحرام فعن أيوب بن اعين عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (إن امرأة كانت تطوف وخلفها رجل فأخرجت ذراعها فمال بيده حتى وضعها على ذراعها فأثبت الله يده في ذراعها حتى قطع الطواف وأرسل إلى الامير[٢] واجتمع الناس وارسل الى الفقهاء فجعلوا يقولون اقطع يده فهو الذي جنى الجناية فقال ها هنا أحد من ولد محمد رسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) فقالوا نعم الحسين بن علي (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) قدم الليلة فأرسل اليه فدعاه فقال انظر ما لقى ذان فاستقبل القبلة ورفع يديه فمكث طويلا يدعو ثم جاء اليهما حتى خلص يده من يدها فقال الأمير ألا نعاقبه بما صنع فقال لا)

أقول: عدم العقوبة لعله لما عاقبه الحق سبحانه ثم عفى عنه ببركة دعاء الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقد سقطت العقوبة .

١- تهذيب الأحكام ج ٥ ص ٥٢٠ ح ٢٩٣

٢- اي الوالي على الحج من قبل الحاكم في ذلك الزمان

مناجاة الشاكرين

(الـــهي اَذْهَلَنـي عَنْ اِقامَةِ شُـكْرِكَ تَتابُعُ طَوْلِـكَ، وَاَعْجَزَني عَـنْ اِحْصاءِ ثَنائِـكَ فَيْـضُ فَضْلِـكَ، وَشَـغَلَني عَنْ ذِكْرِ مَحامِـدِكَ تَـرادُفُ عَوائِدِكَ، ... إلى أن يقول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : اِلـهي تَصاغَرَ عِنْدَ تَعاظُمِ الائِكَ شُكْري وَتَضاءَلَ في جَنْبِ اِكْرامِـكَ اِيّايَ ثَنائي وَنَشْري، جَلَّلْتَني نِعَمُـكَ مِنْ اَنْوارِ الْايمانِ حُلَلاً، وَضَرَبَتْ عَلَيَّ لَطائِفُ بِرّكَ مِنَ الْعِزِّ كِلَلاً، وَقَلَّدَتْني مِنَنُكَ قَلائِدَ لا تُحَلُّ، وَطَوَّقَتْني اَطْواقاً لا تُفَلُّ فَآلاؤُكَ جَمَّةٌ ضَعُفَ لِساني عَنْ اِحْصائِها، وَنَعْماؤُكَ كَثيرَةٌ قَصُرَ فَهْمي عَنْ اِدْراكِها فَضْلاً عَنِ اسْـتِقْصائِها، فَكَيْفَ لي بِتَحْصيلِ الشُّكْرِ وَشُـكْري اِيّاكَ يَفْتَقِرُ اِلى شُـكْر، فَكُلَّما قُلْتُ لَكَ الْحَمْدُ وَجَبَ لِذلِكَ اَنْ اَقُولَ لَكَ الْحَمْدُ ...)

مـن المشـتركات في هـذه المناجاة الخمـس عشرة من كلامـه (عَلَيْهِ السَّلَامُ)هي اشـتراكها جميعها بكلمة (يا الهي) مـرة واحدة على الأقل أما في أول المناجاة أو في أثنائها وقد تتعدد هذه الكلمة في المناجاة الواحدة إلى سبع مرات كما في مناجاة التائبين وكأن لهذه الكلمة لها من السر هنا في هذه الأدعية وكلمة(اله)

تختلـف وتفترق عن كلمة (رب) كما سـنوضحه بعونه تعالى فان فرعون تارة استعمل لفظة رب كما في الآية المباركة(انا ربكم الاعلى) والرب في اللغة هو المنعم والمدبر وان كان الاقرب ان الرب من التربية أي الذي يربي ويرعى شـؤون المربوبين فيكون المنعم والمدبر من لوازم شـؤون الرب وليس المعنى الابتدائي للرب ويرشد إليه قول أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في دعاء كميل (هيهات أنـت أكـرم من أن تضيـع من ربيته أو تبعـد من أدنيته) بينمـا في آية أخرى

أستعمل فرعون لفظة آله كما تنص عليه الآية المباركة (ما علمت لكم من إله غيري) فهو نفى علمه عن أي إله غيره ولعله لهذا السبب والله أعلم قال سبحانه (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) حيث أتت الآية بلفظ الجلالة (الله) لتتناسب وتتناسق مع نفي فرعون لأي إله غيره وفي الكافي[١] عن هشام بن الحكم عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (والأله يقتضي مألوهاً) والمألوه هنا وهو الإنسان العابد أما في كتاب التوحيد الصدوق [٢]ففي الخبر عن الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (له معنى الربوبية اذ لا مربوب وحقيقة الإلهية اذ لا مألوه) ما ظاهره التنافي بينها وبين رواية الكافي الآنفة والجواب أن الإلهية ان فسرت بمعنى مالك الأمر ومن له الأمر من قبل ومن بعد فهو الإله والعبد مألوه ولا يقتضي وجود المألوه وهو العبد وليست الإلهية على هذا التفسير من الصفات الإضافية ويحمل ما في كتاب التوحيد للصدوق على هذا المعنى أما لو فسرت الإلهية بمعنى العبادة فهي من الصفات الإضافية وعليه يحمل ما في رواية الكافي فالإله يقتضي مألوها لأن الإله يكون معبوداً من عبد قد صدرت منه العبادة . أما مفردة الشكر الذي قد ذكرت في هذا المقطع من المناجاة فهو إظهار النعمة وقيل هو مقلوب الكشر فالشكر هو الكشف وضد الشكر الكفر وهو ستر النعمة ونسيانها ويمكن تقسيمه لقسمين شكر جوانحي في القلب أي في قلب الإنسان وبواطن شعوره الداخلي فهو يستحضر النعم الإلهية ويخطرها في أعماقه فتتحفز المنبهات الوجدانية عنده لتقابل هذه النعم التي

١- اصول الكافي ج ١ ص ١٤٢ ح ٢

٢-ص التوحيد للصدوق ص ٤٤

لا تعد ولا تحصى بالشكر والاعتراف لخالقه بالتفضل والكرم وبما أنعم عليه فيكون اعترافا منه لخالقه ومقابلة بما أفاض عليه وما احاطه من الهبات والصلات واخرى شكر جوارحي والفرد الأبرز والاظهر لهذه الجوارح هو اللسان حيث يقول علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في دعاء كميل (إلهي ومولاي اتسلط النار على وجوه خرت لعظمتك ساجدة وعلى ألسن نطقت بتوحيدك صادقة وبشكرك مادحة) فهو يخاطب الحق سبحانه بأن هذه الالسن قد نطقت بشكرك وبمدحك فكيف يكون مآلها إلى النار ولأجل ما قدمه هذا البطل الهمام لدين الإسلام أجرى الله سبحانه الشكر له على لسان المؤمنين بالثناء والذكر الجميل وعلى لسان الحاقدين والمبغضين له كمعاوية وغيره كمن لاحظ كتب الأخبار و جاس خلال الديار فتراه في هذا الدعاء يقول (وكم من ثناء جميل لست أهلا له نشرته) فهو يعترف لخالقه بعدم استحقاقه هذا الثناء الجميل والمدح الجزيل وفي مورد آخر من الدعاء يقول (اللهم إني اتقرب إليك بذكرك واستشفع بك إلى نفسك وأسألك بوجودك أن تدنيني من قربك وان توزعني شكرك وان تلهمني ذكرك) فهو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يشير إلى كلا القسمين وهما إلهام الذكر (الشكر الجوانحي) وانطاق اللسان بالشكر (الشكر الجوارحي) ومعنى توزعني هو تولعني اي اجعلني مولعاً بشكرك وأن كان يأتي أوزعني بمعنى الهمني أيضا ونظير الدعاء الآية المباركة (ربي أوزعني أن اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي) فالشكر يجري إذن على جميع الجوارح وليس على اللسان فقط ولذا تراه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول في الدعاء(قو على خدمتك جوارحي واشدد على العزيمة جوانحي) ولعل منه (اعملوا آل داود شكراً) أي أعملوا

ما تعملونه شـكراً لله بناءاً على أن (شـكراً) تمييز لينبه على أن العمل يشمل الشكر الجوانحي والجوارحي والشكر متعلقه يشمل حتى المكنات أيضا كما في الآيـة المباركة (أن اشـكر لي ولوالديك) ومـا ورد في النهاية لابن الأثير[١] (لا يشـكر الله من لا يشـكر الناس) ولنقف قليلا عند هذه الآية الكريمة (قليلا مـا تشـكرون) فإن فيها مـن الأسرار ما يعجـز عنه البيان فهـل المراد قليل شكرهم الكمي فقط أي تكون الكمية قليلة جدا من الشكر مع كون الاتصال الزمانـي متتابعاً فيكون الشـكر يومياً مثلا ولكن بكميـة قليلة او المراد القلة من الناحية الزمنية مثلا أن يكون شـكرهم في فترات متباعدة من الزمان أو من ناحية الأفراد أي قليل من الأفراد يشكرون دون البقية الباقية كما ترشد إليه الآية الكريمة (وقليل من عبادي الشـكور) أو المراد هذه المعاني جميعها اي القلـة مـن الناحية الكمية ومن ناحية الكيـف الزماني ومن ناحية الأفراد فيكـون من باب اسـتعمال اللفظ في أكثر من معنـى .. وقد ورد مدح إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بكثرة شكره في الآية الشريفة (شاكراً لأنعمه) ولنوح أيضا (انه كان عبدا شكورا) وأيضا النبي الخاتم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) يقول عن نفسه حينما كان يشكر ربه بقوله (أفلا أكون عبدا شكورا) [٢] وحقيقة الشكر ترجع للإنسان نفسـه فإن الله غني عن شـكر الشـاكرين ومدح المادحين فهو سبحانه يقول (ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) بل هو يجزي الشاكرين رغم أن الشكر يعود عليهم كما تصرح به الآية الكريمة (وسـنجزي الشـاكرين) بل وصف نفسـه

١- ج ٢ ص ٤٢٠ باب الشين مع الكاف

٢- بحار الأنوار ج ١٧ ص ٢٨٧

بالشــكر لعباده حينما يقول تبارك وتعالى (ومن تطوع خيرا فإن الله شــاكر عليم) (والله شــكور حليم) (وما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليما)

الدعاء
بوصلة الإنسان عند الابتلاء
القسم الثالث

(قراءة في رسالة الحقوق للإمام السجاد) (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

يوجد ايضا مضامين قريبة جداً من مضامين رسالة الحقوق لزين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد ذكرها سيد الموحدين علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مثل عهده للأشتر [١] وكذا عهده لمحمد بن أبي بكر[٢] ففيها ما يفوق الخيال من نظريات الإسلام في الحاكم والمحكوم وإدارة الدولة ومراعاة حقوق الشعب وكذا في الفروض على الجوارح التي ذكرها علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقد نقلها الشيخ الصدوق [٣] وقد ورد جملة من الحقوق التي ذكرها الإمام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الوسائل[٤] وكذا ورد عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الفروض على الجوارح وتشمل الحواس المعروفة وغيرها كالقلب والفرج والجلود وغيرها [٥] وقد استعمل الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كلمة حقوق في أحاديثه الشريفة فمثلا في الكافي [٦] قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (وإذا اجتمعت عليك حقوق اجزأها عنك غسل واحد) فقد استعمل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هنا الحق في الحكم التكليفي وهو الأغسال

١- في ص ٤٠٠ من النهج في القسم الثالث
٢- ص ٣٥٩ من نفس المصدر
٣- في الفقيه آخر ج ٢ ص ٣٧٠
٤- الوسائل ج ١٥ ص ١٧٢ باب ٣ (باب جملة مما ينبغي القيام به من الحقوق الواجبة والمندوبة)
٥- يراجع الوسائل ج ١٥ ص ١٦٤
٦- الكافي ج ٣ ص ٤١

الواجبة والمندوبة ولذا سنتكلم في هذا القسم عن الحقوق التي ثبّت ركائزها الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومحاولة تسليط الضوء على مرحلة التطبيق الجادة من هذه التشريعات الاخلاقية التي سنها المشرع الاسلامي وبينهما الائمة الهداة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لتؤتي أكلها من جنبتين

١. جنبة بلحاظ الفرد نفسه تؤهله لنيل قيم السماء وحمل وسام التشرف بهذه الامانة العظمى وعدم خيانتها

٢. جنبة بلحاظ المجتمع نفسه حيث يكون كوحدة متماسكة الذرات متوحدة الصفات تشرق فيه شمس الحب ويزرع فيه ثمر الخير وهذان الجناحان هما أساس العيش الهانئ والسلام الدافئ بل الابتعاد عن هذه المفاهيم والتنصل عنها وعدم الالتزام الواقعي بهذه المفاهيم ولو بالحد الادنى يؤدي الى انتشار الفساد والظلم ليس في رقعة جغرافية معينة بل يستفحل وينتقل إلى أنحاء عديدة من ارجاء المعمورة ويؤدي الى النزاعات والاقتتال بين الأمم وإذا كان الإنسان في العهود القديمة والازمنة الغابرة وحشيا في ارتكاب جرائمه كما تذكر الدكتورة سعدى الخطيب في كتابها [١] بقولها (كان الآشوريون يدمرون المدن التي يفتحونها بعد حصارها ويتفننون في القتل والتعذيب والتمثيل وكانوا يكافئون الجنود على كل رأس مقطوع في ميدان المعركة بجائزة وكان الملوك الذين يرأسون هذه المجازر يبدأون المجازر أولا بفقأ العيون وقطع رقاب الأسرى واذا

١ - حقوق الانسان بين التشريع والتطبيق ص ٦

كان هـؤلاء الاسرى من الامـراء والاشراف فكانوا يعذبون قبل القتل فتقطع السنتهم وايديهم وارجلهم أو تسلخ جلودهم أحياء او تشوى اجسـامهم فوق النـار او يلقى بهم من أبراج عاليـة وكان الملك الذي ارتقى عرش آشور عام سبعمائة وخمسة وأربعين قبل الميلاد يصلب الاسرى ويقوم الرماة بقتلهم بالسهام والمدقات) ثم لنتقدم في التاريخ للإمـام ونقـف في فـترة العهد الأمـوي لنرى ما حصـل في ذلك العهد ونأخـذ عينـة من دم تلـك الحقبة ونقتبـس هنا [١] ما نصـه (ويذكر المؤرخـون أن الحجاج وضع جماعة من الشـباب الأبرياء في السـجن وأمر ان تسـد في وجوههم منافذ النـور والهواء حتى لا يميزوا الليل من النهار كما أمر أن لا يطعموهم الطعام إلا بعد مزجه بالرمال وان لا يسقوهم الماء الا بعد خلطه بالملح فمات أحدهم فرفض الحجاج أن يواروا جثته حتى تفسـخت ومات الثانـي والثالث والرابع إلى الرجل السـادس عشر وأخبروا الحجاج بذلك فلم يأذن بإخراج الجثث وإنما أمر أن يهدموا السـقف عليهم ليتحول السجن الى مقبرة لهم وليموت الباقـون مـع رفاقهم) ثم نأخـذ جزئية من جزئيـات العصر العباسي ونقتبـس أيضـاً [٢] (فقد صنع المتـوكل تنورا في داخله اسـياخ حادة فـكان إذا أراد تعذيب انسـان القـاه في ذلك التنور واشـعل النار فيه لكي يحرقه) وكذا في العهد العثماني وما حصل فيه من أفعال دامية

١- نفس المصدر في ص ٧

٢- من نفس المصدر ص ٧

(فقـد قتـل خليفة عثماني في موقعة واحدة أربعين ألف إنســان ظلما لمجـرد أنهم يخالفونه في العقيـدة والمذهب) [١] وأقول أما الآن ونحن في عـصر التقـدم والرقي وعصر ما بعـد الحداثـة فالقضية أصبحت واضحة للجميع و بمرأى وبمسمع من كل الناس فما الذي حصل هل هـدأت حدة القتل والانتقـام وانطفأت جذوة الظلـم والصراع وماذا خلفـت الحربـان العالميتان من ويلات وكـوارث وغيرها من الحروب المعـاصرة التـي تسـتخدم فيهـا الاسـلحة الفتاكـة والاعتـدة المدمرة والصواريخ الفرط صوتية بل تقدمت أيضا وسائل التعذيب وأدوات انتـزاع الاعـتراف القـسري وكأنـه يوجد تناسـب طردي بـين تقدم التكنولوجيا المعاصرة ويوازيها تطور في آلات التعذيب وأدوات الظلم والقتل الجماعي فالعصر الراهن هو صورة مختزلة للعصور السالفة مرآة سـاطعة لها والجذور التاريخية للظلـم والطغيان هو موجودة في أعماق الإنســان المعاصر كما هي في أعماق التاريخ السـحيق وكأنه في أعمـاق دماغه البشري وفي منطقـة اللاوعي منه يعيش تلك الحالة البدائيـة . إذن بعـد هـذه المقدمة المؤلمـة من تاريخ البشرية سـنتكلم قبل الدخول في تفاصيل رسـالة الحقوق للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن حقـوق العامة لجميع أفراد النوع الإنسـاني وهي

١. حـق الحياة وهو حق لكل إنســان ونعمة الحياة هــي حق وهبها الله سبحانه للإنسان ولا يجوز التعرض لأي إنسان بالقتل ظلما وعدوانا

١- يراجع نفس المصدر ص ٧

ولا يحق لأي شخص أن يسلب هذه النعمة الإلهية الكبرى إلا بشروط خاصة مذكورة في كتب الفقه باب القصاص وباب الحدود قال الحق تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [١] وكذا اعترفت المواثيق الدولية لحقوق الإنسان في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ والاتفاقية الدولية بخصوص الحقوق المدنية والسياسية عام ١٩٦٦ بحق الحياة لكل إنسان فان المادة (٣) من هذا الإعلان نصت أن (لكل فرد الحق في الحياة) والمادة (٦) من الاتفاقية الآنفة الذكر أن (١- لكل إنسان الحق الطبيعي في الحياة ويحمي القانون هذا الحق ولا يجوز حرمان أي فرد من حياته بشكل تعسفي) أقول هذا في المواثيق والأعراف الدولية ولكن من يحمي هذا الحق فإن هذه القوانين تبقى قوانينا ولا تفعل ما لم يكن لها راع يرعاها ويطبقها ويحميها وإلا فما الفائدة من سنها وهذه الدول الكبرى هي أول المخالفين لهذه القوانين فاسأل هيروشيما ونكازاكي وفيتنام وغيرها من دول العالم المعاصر فلا رادع لهذه الدول الكبرى ولا واذع داخلي لها واسأل حق الفيتو الذي وضعوه لهم يخبرك عن السبب !

٢. حق الحرية : الحرية حق للجميع حيث إن القيود هي أثقال على كاهل الإنسان والثقل شيء زائد يصعب تحمله وهذه الحرية الشخصية للإنسان تشمل حرية الفكر والتعبير والتنقل واختيار

---

١ - النساء : ٩٣

العمل والشريك الحياة وحرية التملك وغيرها من الحريات الشخصية التي هي من لوازم الإنسان نعم لابد من تهذيبها وتنقيحها مع قوانين الدين الإسلامي ففي المادة (٣) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ ورد فيه (لكل فرد الحق في الحياة والحرية وفي الامان على شخصه) [١] وكذا ورد الحق في الحرية والأمان الشخصي في الاتفاقية الدولية بشأن حقوق المدنية والسياسية عام ١٩٦٦ في المادة (٩) من هذه الاتفاقية من هذا الحق مفهوم الديمقراطية ولعدم وضوح هذا المفهوم لدى البعض أصبح يساء التطبيق وجعل منه أداة للتعدي على الآخرين وسلب حقوقهم ولذا سنشرع بنسخة معرفية عنه لزيادة الثراء الثقافي ولكن بشيء من الإيجاز بعونه تعالى .

معنى الديمقراطية

وهي مفردة سياسية منقولة من اليونانية مشتقة من كلمتين هما (Demo) ومعناها الشعب و (Kratia) ومعناها (حكم) أي (حكم الشعب) وقد عرفت بأنها (حكم الشعب بالشعب و لصالح الشعب) [٢] وعرفت أيضا (النظام الشرعي الدستوري السياسي الذي تحكمه مبادئ الحرية السياسية وحقوق الانسان) [٣] ولكن يلاحظ على هذين التعريفين وغيرهما بأن الانسان مجبول على التفرد والاستقلالية في أفعاله وعدم الانسياق في قراراته مع

١- (حقوق الانسان بين التشريع والتطبيق ص ٦٨)
٢- (حقوق الانسان بين التشريع والتطبيق ص ٩٠)
٣- نفس المصدر ص ٩١

الآخرين إلا بحدود مصلحته ومنافعه الشخصية ويعزز هذا الواقع سواء شاء الإنسان أم أبى إن المجتمع هو افراد وعناصر متباينة في الآراء والاهواء كل يبحث عن ليلاه ويجر النار لقرصته فلا بد لمن يعتمد هذا المسلك في التعايش الحياتي والسلوكي من احترام وجهة الطرف الآخر وتحمله ومدا اغصان الزيتون مع الجميع حتى لا يحصل الاقتتال ولا يراق الدم المسال ولا يحصل ارعاب وارهاب فكري و ايضا لابد من قانون ينظم هذا الحق وهو حق الديمقراطية وجهة تحمي وترعى مصالح الجميع حتى لا تستفرد طائفة على حساب اخرى

٣. حق المساواة أمام القانون والقضاء : الإسلام لم يفرق في مجال القضاء بين الطبقات المجتمع الواحد ولا بين أجناسه من الذكور والإناث بل الكل ينظر إليهم بنظرة متساوية وقد نقل عنه (صلى الله عليه واله[١] وسلم) (من آذى ذمياً فقد اذاني ومن اذاني فقد آذى الله) [٢] وقصة امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حينما أتاه بعض الأشخاص ونزلوا عنده ثلاثة أيام ثم سألهم بعدهم عن قصتهم فقالوا نحن قوم عندنا خصومة فنعد ذلك أخرجهم ولم يقبل بعدها ضيافتهم لكونه حكماء وعندهم نزولهم لديه قد تفسر هذه الحادثة على أنها محاباة لهم وانهم يكسبون وده واستمالته تجاههم وهذه الحادثة معروفة في كتب القضاء وقد فسر مفهوم المساواة بتفاسير مختلفة

---

١ – اقول ايذاء الذمي ايذاء له (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) فكيف بإيذاء الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وذريتها الطاهرين

٢ – يراجع القانون الدولي الإسلامي ص ٣٤ اعداد وترتيب مجمع الفقه الاسلامي – الهند –

في الفكر الغربي فمثلا فسرها المفكر جان جاك روسو حينما تحدث عن المساواة الطبيعية فأفاد (أن حياة الفطرة كانت تسودها الحرية والمساواة ولكن هذه الحياة كان ينقصها المعيار العالم أي وجود قانون القاعدة القانونية) أما المدرسة الاشتراكية التي يقتصر نظرها على المجتمع أكثر من الفرد وتسمع للدولة الاشتراكية في التدخل في الحرية فقد ركزت على المساواة الاجتماعية في توزيع الانتاج والثروات بينما المدرسة الليبرالية[١] التي تلتزم بمبدأ (الحرية تحت ظل القانون) من اجل حمايتها والدفاع عنها فقد ركزت على المساواة القانونية .

أما حق المساواة من منظور الفكر الاسلامي فقد كافح الإسلام بشتى السبل في جعل حق المساواة لبني البشر جميعا فقد آخى بين بلال وبين عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وساوى بين عمار وحمزة بن عبد المطلب وزوج النبي الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) المقداد من ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب حتى تتضع الأنساب وكذا زوج بنت عمته زينب بنت جحش من مولاه زيد بن حارثه وقد صرح القرآن في مناسبات عديدة بهذا النفس السامي فقال ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ، واحِدَةٍ، وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [٢] وكذا الآية المباركة ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم**

---

١ – الليبرالية هي مبدأ تأسس على الحرية والمساواة مثل حرية التعبير والصحافة والدين والحقوق المدينة وغيرها

٢ – النساء اية ١

من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [١] بل حتى في الدعوة الإسلامية فقد صرح بعالميتها ودعوتها للجميع دون استثناء فقال عز من قائل (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر[٢] الناس لا يعلمون) فالإسلام دين يسع جميع أفراد البشر ويحتضنهم بخلاف مثل الدين اليهودي فهو دين غير تبشيري والانتساب للديانة اليهودية يكون من خلال الأم وليس من خلال الأب والمقولة المعروفة له (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) (أن الناس من عهد آدم الى يومنا هذا مثل أسنان المشط لا فضل للعربي على العجمي ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى) [٣] وقد قال علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في عهده لمالك الأشتر (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم ؛ فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم) [٤] وقد اعتمد العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان عهد الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لمالك الأشتر كأحد مصادر

١- الحجرات آية ١٣

٢- سبأ اية ٢٨

٣- الاختصاص ص ٣٢٦

٤- نهج البلاغة ص ٤٠٠

التشريع الدولي واما في جانب القضاء وفصل الخصومة ورد قوله تعالى (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) [١] وكذا ورد حث المؤمنين على أداء الشهادة والعمل بالعدل والقسط مع الجميع كما نطقت به الآية الكريمة **(يَاأَيُّهَا الذين ءَامَنُواْ كُونُواْ قوامين للهِ شهداء بالقسط وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ على أَلَّا تَعْدِلُوا اعدلوا هُوَ أَقْرَبُ للتقوى واتقوا اللهَ إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)** [٢] فإذن المساواة في الفكر الإسلامي هي التشريع الإلهي الرافع للتمايز الطبقي والتفاوت الاجتماعي في مجال الحقوق والواجبات . مع ملاحظة عنصر مهم جداً وهو وجود الضامن لهذا التشريع والمراقب لحيثياته بين الناس ألا وهو الإنسان الإلهي كالنبي الخاتم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) والائمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) من بعده حتى تتم متابعة مجريات الحياة وحتى لا تخرج الامور عن السيطرة والا فمجرد سن القوانين بلا وجود جهة رقابية فإن الناس لا يتبعون هذه القوانين ويميلون الى أنانيهم ومصالحهم الشخصية والفئوية

وأما الحق في المساواة في المواثيق الدولية ففي عام ١٩٤٥ إعترفت الأمم المتحدة بحق المساواة لبني البشر وكذا في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ وفي الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق السياسية والمدنية عام ١٩٦٦ بحق المساواة بين البشر دون تمييز في اللون أو الدين او اللغة او

---

١ – المائدة : ٤٢

٢ – المائدة : ٨

الجنس او الرأي او الأصل او غيرها وقد ورد في الفقرة الثانية من ديباجة ميثاق الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو بتاريخ ٢٦/ ٦/١٩٤٥ في ختام مؤتمر الأمم المتحدة الخاص بنظام الهيئة الدولية وأصبح نافذا في ٢٤/ ١٠ / ١٩٤٥ ما نصه : (نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية) [١] ونصت الفقرة (٣) من المادة الأولى من هذا الميثاق (على تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعا) [٢] وكذا قد نصت المادة السابقة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ على أن (كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة دون أي تفرقة كما أن لهم الحق في حماية متساوية ضد أي تمييز يخل بهذا الإعلان وضد اي تحريض على تمييز كهذا) اقول وهل في فرنسا وهي من الدول الأوروبية التي تفتخر بالحريات العامة وبالديمقراطية بأن لا تمانع في النقاب وارتداء الحجاب للمرأة المسلمة وتجعلها تمارس حريتها العبادية وزيها الاسلامي او هنا الموضوع مختلف ويكال الكيل بمكيال آخر وتبدأ ملحمة البروباغندا وحملة التسقيط للطرف الآخر وتشويه سمعة المسلمين وافراغ خزان هائل من الدعاية المضادة وهل الرسومات المسيئة للنبي الاكرم محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) التي تسيء لأمة قوامها اكثر من مليار مسلم و رأس هرمها هي الحرية الصحفية والغريب أن فرنسا التي دافعت بشدة عن

١- يراجع حقوق الانسان بين التشريع والتطبيق ص ٩٩

٢- يراجع نفس المصدر

صاحب الرسـوم المسـيئة للنبي الأعظم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) واعتبرت هذا الفعل المخزي حرية شـخصية له قد فقدت صوابها حينما نشرت السفارة الروسية في فرنسـا رسماً سـاخراً يظهر جثة فوق طاولة مكتوب عليها اوروبا تحقن بحقنة طبية فقد جن جنون فرنسا وبدأت تتخبط في الرد على روسيا بأن هذا يقوض العلاقات ويسيء للآخرين وقد انطبق عليها المثل القائل رمتني بدائها وانسـلت وليلاحـظ القارئ حال المسـلمين في الهند وليمعـن النظر في تعامل حكومـات الغرب وصمتها عما يصيب الفلسـطينيين واسـتنكارها لردة فعل الفلسـطينيين حينما يدافعون عن انفسهم .

حق الرعية

(وحـق رعيتك بالسـلطان أن تعلم أنهم صاروا رعيتـك لضعفهم وقوتك فيجـب أن تعـدل فيهم وتكـون لهم كالوالـد الرحيم وتغفر لهـم جهلهم ولا تعاجلهـم بالعقوبـة وتشـكر الله عز وجل على ما أتاك مـن القوة عليهم)

الرعية مفردة تشـمل الأمم والشـعوب بكامل أطيافها ويكون التعامل مع الجميع على مبدأ الحقوق والواجبات والعمل جميعاً كخلية نحل او مستعمرة نعـل الكل في حركة ونشـاط دائبين ويكون العمل المشـترك في محاور الحياة المتعددة وخصوصاً في مجال الاقتصاد والاسـتثمار هناك عقود تربط الأفراد والمجموعات بالتزام واحترام ما في مضامين العقود والمواثيق التي يتم الاتفاق عليهـا فعند ذلك يسـود النظام والعدالة الاجتماعية ومـن النظريات الحديثة التـي تؤكد على مثل هكذا مظلة قانونية وهـو مبدأ احترام الاتفاقيات نظرية

(العقد شريعة المتعاقدين) وتفيد هذه النظرية (بأن مبدأ (العقد شريعة المتعاقدين) هو الذي يفرض على الدول احترام الاتفاقيات التي عقدتها بمليء ارادتها ويسبغ على الإرادات الخاصة صفة الإلزامية ومن أنصارها الفقيه النمساوي كلسن الذي جعل منها قاعدة أساسية لنظريته القائلة بتدرج أو تسلسل القواعد القانونية فهو يرى أن لكل نظام قانوني قاعدة اساسية تنظم أحكامه وتكون لهذه الأحكام القوة الالزامية) [١]

أقول: في الإطار التشريعي الإسلامي ورد الالتزام بالوفاء بالعقود قال الحق سبحانه (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) [٢] وأن كل حكم شرعي لابد له من مدرك شرعي وتوجد ايضا قواعد فقهية وأصولية تكون كبريات لهذه الاحكام وهذه النظرية التي يتبناها كلسن قد ذهب بالضد منها الفيلسوف الهولندي اليهودي سبينوزا تولد ١٦٣٢ - توفي ١٦٧٧ فيقول (يحق للدول أن تفعل كل ما تستطيع أن تفعله وليس للاتفاقات التي تعقدها أية قيمة إذا كانت تتعارض ومصالحها) [٣] اقول اذن المجتمع الذي يتبنى هذه الفكرة هو مجتمع العبودية والطبقية ومنطق الأنانية الشخصية والتسلط القهري على إرادات ومقدرات الآخرين والغريب أن اهله قد نبذوه بسبب آرائه التي تجعل من الذات الالهية المقدسة مرادفا لكلمة الطبيعة . بينما الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد استعمل تعبيراً رقيقاً واسلوباً رشيقا في التعامل مع الآخرين (وتغفر لهم جهلهم وتعاجلهم بالعقوبة) وهذا إذا كان العفو له الأثر الفعال

١- يراجع القانون الدولي العام الدكتور محمد المجذوب ص ١١٦

٢- المائدة اية ١

٣- يراجع القانون الدولي العام د . محمد المجذوب ص ١١٨

وفي قضايا جزئية وضمن صلاحيات ولي الأمر وإلا فلو اصبحت تهدد الأمن والسلم المجتمعي وأصبحت الجريمة من الجرائم الخطيرة فلا بد من العلاج الناجع والجريمة هي فعل صادر يلحق ضرراً بآخر يتعارض هذا الضرر مع المبادئ العامة لقوانين الاسلام ويكون مرفوضا مجتمعياً والجريمة لا بد لها من أركان ثلاثة كما هو المعروف في بحوث الدراسات القانونية وهي

١- الركن القانوني (أي النص القانوني الذي يحدد الأفعال التي يعتبرها جرائماً ٢- الركن المادي (أي الفعل الجرمي)

٣- الركن المعنوي (أي النية الجرمية) [١] فتنظيم المجتمع والرقي به نحو السعادة أساسه العدل وتطبيقه على الجميع بلا استثناء والعفو في حالات يراها المشرع الإسلامي ضرورية لترميم أفراد المجتمع الذين صدرت منهم بعض الهفوات كي يعيدوا نشاطهم ويصبحوا أفراداً نافعين فان الاثر الايجابي وهو العفو هنا يخلق ردة فعل ايجابية في الأغلب فهذا العنصر المخطئ سيستثمر هذا العفو ويبعث بداخله حالة عدم اليأس وحالة الاندفاع كي ينحصر في بوتقة المجتمع لدفع عجلة الحياة للإمام ويسود المجتمع حالة الوئام والإنسجام .

حق الأخ

(وأما حق أخيك أن تعلم أنه يدك التي تبسطها وظهرك الذي تلتجئ إليه وعزك الذي تعتمد عليه وقوتك التي تصول بها فلا تتخذه سلاحا على

١- يراجع حقوق الانسان بين التشريع والتطبيق د سعدى الخطيب ص ٣٢

معصية الله ولا عدة للظلم لخلق الله ولا تدع نصرته على نفسه ومعونته على عدوه والحول بينه وبين شياطينه وتأدية النصيحة إليه والإقبال عليه في الله فإن انقاد لربه وأحسن الإجابة له وإلا فليكن الله آثر عندك وأكرم عليك منه)

الاخـوة الصادقة جوهـر فريد ومادة خام لكثير مـن فعاليات الحياة وما يمـر على المرء فيها وهي الايقونة المظهرة للتقارب الروحي والتناغم الفكري الصادق وقد ذكرت هذه المادة في القرآن الكريم منها [1] (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) وقد ورد عن النبي الخاتم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) (أنـصر أخـاك ظالمـا أو مظلوما قال أنـصره مظلوما فكيف أنـصره ظالما قال تحجزه عن ظلمه فذلك نصره) وفي كلمات علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ما يعزر موقف الاخوة والرحم فيقول في النهج (وأكرم عشيرتك فإنهم جناحك الـذي به تطير وأصلك الذي اليه تصـير ويدك التي بها تصول) ويقول ايضا (ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه أيد كثيرة) وقد ورد في الأدب العربي عن الاخوة الشيء الكثير نقتبس منه هذا القبس قال مسكين الدارمي

أَخـاكَ أَخـاكَ إِنَّ مـن لا أَخـاً لَـه كسـاعٍ الى الهيجـا بغـير سـلاحِ
وإِن ابن عم المـرء فاعلم جناحُه وَهَـل ينهضُ البـازي بغير جناح

ولكـن في لحظـة مـن اللحظـات قد ينفلـت هذا الـوكاء ويشـمر الجد عن سـاعد الهيجـاء وبلغ الإنسـان في الدماء وتحمل النكبـات والكوارث على بني

١- سورة الحجرات اية ١٠

البشر ويخيم الخوف والقتل بساحة المغلوب . يقول الدكتور محمد المجذوب في مقدمة كتاب [١] (فالحرب العالمية الثانية مثلا أسفرت عن مقتل خمسين مليون إنسان وتشويه ملايين اخرى وتدمير مدن اخرى ونسف ما ابتكره الإنسان من روائع) ثم يردف بكلام جميل [٢] فيقول (ومن المفارقات الغريبة أن الإنسان الذي ابتدع أسباب الحروب هو الذي خاض غمارها واكتوى بنارها واعلق تذمره من فضائعها وسخطه عليها وهو الذي سعى في لحظات التأمل والتعقل للتخفيف من ويلاتها ووضع القواعد والضوابط لاستخدام السلاح فيها فالإنسان هو أصل الداء والبلاء ولكنه في الوقت ذاته هو الباحث عن الدواء والشفاء ولهذا قيل : به تسعد البشرية او تشقى وكانت منظمة اليونسكو على حق عندما أكدت في مقدمة دستورها أن الحرب تبدأ في عقول الناس وفي عقول الناس يجب أن تبنى حصون السلام) وهذا السلام قد أشار إليه الحق سبحانه و تعالى في أول الدعوة الاسلامية بقوله تعالى في [٣] (والله يدعو الى دار الاسلام) وايضا (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) [٤] ولا أدري حينما كان يقرأ ابن خلدون الآية المباركة (إنما المؤمنون إخوة) وبين ما دبجه قلمه ويراعته حينما يقول في تاريخيه[٥] ما نصه (ثم جدع بنوا مية انوف بني هاشم مقاسميهم في نسب عبد مناف والمدعين استحقاق

---

١ – التنظيم الدولي ص ٥

٢– في ص ٦ من نفس المصدر

٣– سورة يوسف اية ٢٥

٤ – سورة المائدة اية ٦٤

٥ – ج ٧ من تاريخه ص ١٣ تحت عنوان الخبر عن مبدأ دول زناته في الاسلام ومصير الملك إليهم بالمغرب وافريقية

الامـر بالوصيـة) ثم يقـول في نفس الصفحة (ثم نفـس آل ابي طالب على آل العبـاس ما أكرمهـم الله به من الخلافة والملك) ياللـه لقد طفح مما في خلده ومشاعره الى ريشة يمينه وامتلأ الاناء بما فيه والوعاء بما احتواه ولماذا هذه البروباغندا التـي ركب بها وحلق بجناحيها

لقد أسمعت لو ناديت حيًا ولكـن لا حيـاة لمـن تنـادي

ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكـن أنـت تنفـخ في الرمـاد

ولـذا فقـد رمـى الدكتور عـلي الـوردي[1] ابن خلـدون بتهمـة التعصب للأمويـين ومناصبـة العداء لآل بيت النبـي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) ثم رجع الدكتور الـوردي عـن رأيه قائلاً (و لكن ابن خلدون فقيـه متدين يتأثر بما توحي به تعاليـم الدين من تمسـك بالمثل العليا)

أقـول: مـا هذا الاعتذار البارد عـن ابن خلدون واي فقـه في ذلك والقرآن يـصرح (قل لا اسـألكم عليه اجرا الا المـودة في القربى) وهل جدع انوف أهل البيـت النبـي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وبنـي هاشـم من الفقـه والديـن ونقول لابن خلدون وأمثاله إذا كان الاوائل قد فعلوا فعلتهم الشنيعة في آل النبي الاطهار فلمـاذا المتأخـرون قد خطوا لأنفسـهم هـذا الطريق وجروا على هـذا المنوال وهل ذبح ابن بنت رسـول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) واهل بيته وحمل رؤوسـهم على القنا هو جزاء لقوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) (حسـين مني وانا من حسـين احب الله من حب حسـينا حسـين سـبط من الأسـباط) [2] وكذا (خرج رسول الله

١- منطق ابن خلدون ص ١١٩

٢- الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٥٧

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة فسمع (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) حسينا يبكي فقال (ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني) [١] فاذا كان بكاءه يؤذي سيد الكونين وصاحب المقام المحمود فكيف وقد مجزروهم كالأضاحي وملأوا أرض الطف من دماءهم ويقول ابن خلدون ايضا في مقدمته[٢] (وإن عليا هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولنها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع او مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة) ويدعي أن الشيعة ترى أن عليا في السحاب فيقول [٣] (قيل مثل ذلك في علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأنه في السحاب والرعد صوته والبرق في صوته) وقد سبقه الى ذلك مسلم في مقدمة صحيحه ولم يذكر مسلم مصدر هذا القول وكذا ابن خلدون نسبه للقيل ولم يصرح من هذا القائل ونحن نطالبهما بمصدر من مصادرنا المعتمدة تقول بهكذا قول أليس هذا بهتاناً على الغير ورجماً بالغيب بلا تفسير ومن يراجع تاريخه يراه قد تحاشى ذكر مقتل الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في واقعة الطف وتجنبها في تاريخه بينما ذكر دقائق جزيئات التاريخ وخصوصاً تاريخ المغرب العربي وعزا بعض الباحثين السبب في ذلك لكونه اموي الهوى وآخرون لعدم وضوح الحق في ذلك لاختلاف الآراء بين مؤيد ليزيد وآخر معارض له ثالث ساكت ويقول أيضا [٤] مايلي (كما وقع في عهد معاوية

١- الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٧٥

٢- مقدمته ص ١٦٠ الفصل السابع والعشرون في مذهب الشيعة في حكم الامامة

٣- في نفس المصدر ص ١٦١

٤- في مقدمته ص ١٧٦ (فصل الثلاثون في ولاية العهد

لابنــه يزيــد وإن كان فعــل معاوية مع وفاق الناس له حجــة في الباب والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من ســواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتمــاع النــاس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحــل والعقد عليه حينئذ من بنــي أميــة إذ بنــو أمية يومئذ لا يرضون ســواهم وهم عصابــة قريش وأهل الملــة أجمع وأهــل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممــن يظن أنه أولى بها وعــدل عــن الفاضل إلى المفضــول حرصاً على الاتفاق واجتمــاع الأهواء الذي شــأنه أهم عند الشــارع وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من ســوى ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفــاء الريب فيه فليســوا ممن يأخذهم في الحق هــوادة، وليس معاوية ممن تأخــذه العزة في قبول الحق، فإنهم كلهم أجل من ذلك، وعدالتهم مانعة منه) إلى آخــر كلامــه هنا اقــول (قد سردنا هنــا كلامه بطوله وعرضه وتســطيره الكلمات وحشــوه للمفردات وخلطه الحابل بالنابل وســنرد عليه برد رشيق ومن كتب القوم فنقول ان من بنود صلح الإمام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مع معاوية تكون الخلافة للإمام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بعد معاوية او على اقل التقادير تكون شــورى بين المســلمين وليس لمعاويــة أن يعهد الى أحد من بعــده عهدا وكأن الامام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد وضع يده على الجرح وعلم بالنوايا المبيتة لمعاوية يقــول ابن الصباغ المالكي [1] (فأجابــه معاوية الى ذلك كله وكتب بينه وبينه كتابا وهذه صورة الكتاب . كتاب الصلح الذي اســتقر بينهم هو (بســم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحســن بن علي بن أبي طالب معاوية بن

١- في كتابه الفصول المهمة ص ٢٤٠

أبي سفيان (صالحه) على أن يسلم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله و سنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين المهتدين (المهتدين) و ليس لمعاوية أن يعهد الى أحد من بعده عهدا بل يكون الامر من بعده شورى بين المسلمين (و) على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم ويمنهم و عراقهم و حجازهم وعلى أن أصحاب علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم و نسائهم وأولادهم حيث كانوا وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه و على أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين و لا لأحد من بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) غائلة سوء سرا و جهرا و لا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق شهد عليه (بذلك) فلان و فلان و كفى بالله شهيداً)

ثم ان معاوية من الطلقاء وقد افتى عمر بتحريم حكم الامة عليهم فقد روى [١] عن عمر انه قال (هذا الامر في اهل بدر ما بقي منهم احد ثم اهل احد ما بقي منهم احد وفي كذا وكذا وليس فيها لطليق ولا الولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء) وفي الأصابة [٢] (ويقال ان عمر قال لأهل الشورى لا تختلفوا فإنكم ان اختلفتم جاءكم معاوية من الشام وعبد الله بن ابي ربيعة من اليمن فلا يريان لكم فضلا لسابقكم وان هذا الامر لا يصلح للطلقاء ولا لأبناء الطلقاء) وكذا [٣] عن جابر بن عبد الله الانصاري عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) قال (المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة والطلقاء

١- ابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ٣٤٢

٢- الاصابة ج ٤ / ٧٠

٣- في سند احمد ج ٤ / ٣٦٣

مـن قريش والعتقاء من ثقيـف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة) فانه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) قـد ميـز الطرفين وابان المجموعتـين في الدنيا و الاخرة واذا كان خـدش المؤمـن يسـتقاد بـه كما نقل ابن عبـد البر في [١] عنـد ترجمته ل (سـواد بن عمرو القاري الانصاري روى عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) انه نهى عـن الخلوق مرتـين او ثلاثاً وأنه رآه متخلقـا فطعنه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) بجريده في بطنه فخدشـه فقال أقضي فكشـف لـه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) عن بطنـه فوثب فقبل بطن النبـي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)) فكيف بقتل المؤمن - مطلق المؤمـن - ومـن البديهيات حرمة سـفك دم المسـلم وقتله ظلمـاً وعدوانا فان هـذا الفعـل يجعـل صاحبه خالداً في النـار ومن المغضوب عليـه وملعون من قبلـه سـبحانه ويعد له عذابـا عظيما كما ذكر ذلك الحق تعالى شـانه فيقوله تعـالى [٢] (ومـن يقتل مؤمنا متعمـدا فجزاءه جهنم خالـداً فيها وغضب الله عليـه ولعنـه واعد له عذابا عظيمـا) فكيف اذا كان المقتول صحابيا لرسـول اللـه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) بـل ومن فضلاء الصحابـة وقد اخذ مقيـداً بحديد على معاوية ولم يكن له ذنب الا كونه من شيعة علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقتله معاويـة وقتل معه كوكبة من المؤمنـين الأطياب نعم لم ينسَ معاوية ذلك له عندما كان حجر بن عدي على كندة يوم صفين مع مولاه فحل الفحول وبعل البتول علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقد ذكر ابن عبد البر القرطبي [٣] فقال (حجر بن الادبر الكنـدي ... كان حجـر من فضلاء الصحابة وصغر سـنه عن كبارهم وكان

١- الاستيعاب ج ٢ ص ٦٤

٢- سورة النساء اية ٩٣

٣- في ج ١ ص ١٨١ باب حجر من كتابه الاستيعاب

عـلى كنـدة يوم صفين وكان على الميسرة يـوم النهروان ولما ولى معاوية زياد العـراق وما وراءها وأظهر من الغلظة وسـوء السـيرة مـا أظهر خلعه حجر ولم يخلع معاوية وتابعه جماعة من أصحاب علي وشـيعته وحصبه يومًا في تأخير الصلاة هـو وأصحابه

فكتـب فيـه زياد إلى معاوية فأمـره أن يبعث به إليه فبعـث إليه مع وائل بـن حجـر الحضرمي في اثني عشر رجلا كلهـم في الحديد فقتل معاوية منهم سنة، واستحيا ستة وكان حجر ممن قتل، فبلغ ما صنع بهم زياد إلى عائشة أم المؤمنين فبعثت إلى معاوية عَبْد الرحمن بن الحارث بن هشـام: الله الله في حجـر وأصحابه فوجده عَبْد الرحمن قد قتل هو وخمسـة من أصحابه فقال لمعاوية : أين عزب عنك حلم أبي سـفيان في حجر وأصحابه؟ ألا حبسـتهم في السـجون وعرضتهم للطاعون قَالَ حين غاب عنى مثلك من قومي قال: والله لا تعدلـك العـرب حلمًا بعدها أبدًا ولا رأيًا قتلت قومًا بعث بهم إليك أسـارى مـن المسـلمين قَالَ: فما أصنع كتب إلى فيهم زياد يشـدد أمرهـم ويذكر أنهم سيفتقون على فتقًا لا يرقع

ثم قدم معاوية المدينة فدخل على عائشـة فكان أول ما بدأته به قتل حجر في كلام طويـل جـرى بينهما ثم قَالَ فدعينـي وحجرًا حتى نلتقي عند ربنا.) وقال ايضا [1] (ان معاوية لما أتي بحجر قال السلام عليك يا امير المؤمنين قال : أو أمير المؤمنين انا . اضرب عنقه فلما اقدم للقتل قال دعوني اصلي ركعتين فصلاهمـا مخفيفتـين ثم قال لو لا تظنوا بي غير الذي بي لأطلتهما والله لأن

١ – ابن عبد البر في ص ١٨٢ من نفس المصدر

كانت صلاتي لم تنفعني فيما مضى ما هما بنا فعتي قال لمن حضر من أهله لا تطلقوا عني حديدا وتغسلوا عني دما فاني ملاق معاوية على الجادة ..... عن محمد بن سيرين انه كان اذا سئل عن الركعتين عند القتل قال صلاهما خبيب وحجر وهما فاضلان ..... مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول وقد ذكر معاوية وقتله حجرا واصحابه ويل لمن قتل حجرا واصحاب حجر قال احمد قلت ليحيى بن سلمان ابلغك ان حجرا كان مستجاب الدعوة قال نعم وكان من افاضل اصحاب النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وروينا عن أبي سعيد المقبري قال لما حج معاوية جاء إلى المدينة زائرًا فاستأذن على

- عائشة فأذنت له فلما قعد قالت له يا معاوية أمنت أن أخبأ لك من يقتلك بأخي محمد بن أبي بكر فقال بيت الأمان دخلت قالت يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه قال إنما قتلهم من شهد عليهم)
- وعن مسروق بن الأجدع قال سمعت عائشة أم المؤمنين تقول أما والله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجترأ على أن يأخذ حجرًا وأصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام ولكن ابن آكلة الأكباد علم أنه قد ذهب الناس أما والله إن كانوا الجُمجُمة العرب عزا ومنعة وفقهًا)

وقال ايضا [1] (ولما بلغ الربيع بن زياد الحارثي من بني الحارث بن كعب وكان فاضلاً جليلًا وكان عاملًا لمعاوية على خراسان وكان الحسن بن أبي الحسن كاتبه فلما بلغه قتل معاوية حجر بن عدي دعا الله عز وجل فقال اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل فلم يبرح من

١- في ص ١٨٣

مجلسه حتى مات.) اقول لا ادري وسوف إخال ادري هل ابن خلدون لم يقـرأ عن حجر واصحابـه وعن قتل محمد بن ابي بكر والحارث الاشـتر وغيرهم وهل خفيت عنه ابسط ادبيات المرء لمسلم الذي لابد ان يطلع على رجـالات الاسـلام ويقرأ تاريخهـم ولماذا يغض الطرف عـن هتك حقوق الانسان المسلم المظلوم ويبرر للظالم والقاتل افعاله وهل عن غير قصد لم يذكر ابن خلدون في تاريخه عن واقعة الطف كربلاء أو تراه لم يعض على التاريخ بضرس قاطع وقد سـفك فيها دم الحسين بن فاطمة بنت رسول (صلـوات الله وسـلامه عليهـم اجمعـين) او ان الموضوع اريـد ان يكتب بتقويم جديد يفصل على حسـب الاذواق . ثم يكمل ابن خلدون فيقول في مقدمتـه[١] (وعرض هنا امور تدعـو الضرورة الى بيان الحق فيها فالأول منها ما حدث في يزيد من الفسـق ايام خلافته فإياك ان تظن بمعاوية انه علم ذلك من يزيد فانه اعدل من ذلك وافضل بل كان يغدله ايام حياته في سماع الغناء وينهاه عنه) اقول معاوية الذي جعل العيون على شيعة علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تترصد والجواسـيس يتتبعون مسـير الاشتر وابن زياد يكتب له بأخبار حجر بن عدي واصحابه وهم في العراق فكيف تخفى عليه افعال يزيد وهو تحت كنفه وفي قصره ثم يقول [٢] (فقد تبين لك غلط الحسين إلا أنه في أمر دنيوي لا يضره الغلط فيه وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لأنـه منوط بظنه وكان ظنه القدرة على ذلك ولقد عذله ابن العباس وابن

١- مقدمته ص ١٧٢ (الفصل الثلاثون في ولاية العهد)

٢- ص ١٧٦

الزبير وابن عمر وابن الحنفية أخوه وغيره في مسيره إلى الكوفة وعلموا غلطه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما أراده الله وأما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فرأوا أن الخروج على يزيد وإن كان فاسقاً لا يجوز لما ينشأ عنه من الهرج والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين، ولا أنكروا عليه، ولا أثموه، لأنه مجتهد وهو أسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتأثيم هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره فانهم أكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه، وكان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكربلاء على فضله وحقه، ويقول سلوا جابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدري وأنس بن مالك، وسهل بن سعيد وزيد بن أرقم وأمثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك، لعلمه أنه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك الغلط أن تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وإن كان هو على اجتهاد ويكون ذلك كما يحد الشافعي والمالكي والحنفي على شرب النبيذ.) اقول الغريب انه جعل الخلاف بين الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ريحانة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وبين يزيد كالخلاف بين فقيهين في حد شارب النبيذ واين هذا الكلام من كلام النبي الاكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) بقوله كما في المستدرك على الصحيحين[1] (عن حنش الكناني قال سمعت أبا ذر رضي الله عنه يقول وهو آخذ بباب الكعبة من عرفني فانا من عرفني ومن انكرني فانا أبو ذر سمعت

١- المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٦٣ ح ٤٧٢٠

رسـول الله (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ) يقول الا ان مثل اهل بيتي فيكم مثل سـفينة نـوح مـن قومه مـن ركبها نجا ومن تخلـف عنها غرق) وقـد ذكر [١] ان النبـي (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ) ذكـر في حجة الوداع قبل رحيلـه لملكوت ربه (أما بعـد ألا أيهـا النـاس فإنمـا أنا بشر يوشـك أن يأتي رسـول ربي فأجيب وأنـا تارك فيكم ثقلين أولهما كتـاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب اللـه واستمسـكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيـه ثم قال وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) وكذا اخرج الترميذي [٢] عـن زيد بن ارقـم عن النبي الخاتـم (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ) (إنِّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّـكتُم به لن تضلُّوا بعدي - أحدُهما أعظمُ من الآخر كتاب الله، حبْـلٌ ممدودٌ من السَّـماء إلى الأرض وعِترتي أهل بيتـي ولن يتفرَّقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ فانظروا كيف تَخلُفوني فيهما) وهل بعد قتل الحسـين (عَلَيْهِٱلسَّلَامُ) واهل بيته وقطع الرؤوس وحملها من كربلاء للكوفة ثم للشام وتسـبى حرم رسـول الله (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ) وهل قتل الاطفال بل الرضع (وهـل وهـل وهـل) هل كل ذلك يـبرره الاجتهـاد وهل دائمـاً اما يبرر - بالإجماع او الاجتهاد - وهل يزيد من اهل الاجتهاد والسـداد اليس النبي (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ) يقول عن الحسنين (عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ) هذان امامان قاما او قعدا وهل الحسين (عَلَيْهِٱلسَّلَامُ) حينما يقول عنه جده رسول الله (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ) بأنـه امام سـواء قـام بالأمر ام قعد يكـون مأموماً وتابعـاً لغيره . أليس

١- صحيح مسلم ح ٢٤٠٤

٢- الترميذي ح ٣٧٨٨

النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) يقول عنهما سيدا شباب أهل الجنة وعن الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين وهل السيدان يسادان من قبل غيرهما ! ثم يكمل ابن خلدون في نفس الصفحة ولكن ضميره يأبى إلا أن تخرج منه ولو جزء الحقيقة المفقودة من مقدمته المنضودة فيقول (اعلم أن الأمر ليس كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وإن كان خلافه عن اجتهادهم وإنما انفرد بقتاله يزيد وأصحابه ولا تقولن إن يزيد وإن كان فاسقاً ولم يجز هؤلاء الخروج عليه فأفعاله عندهم صحيحة. واعلم أنه إنما ينفذ من أعمال الفاسق ما كان مشروعاً وقتال البغاة عندهم من شرطه أن يكون مع الإمام العادل، وهو مفقود في مسألتنا، فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد، بل هي من فعلاته المؤكدة لفسقه، والحسين فيها شهيد مثاب، وهو على حق واجتهاد، والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق أيضاً واجتهاد.

وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه أن الحسين قتل بشرع جده، وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل، ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء) إلى ان يقول [1] يختم كلامه بتبرير غير مبرر ومخالف لكلام الله (قل لا اسالكم عليه اجر الا المودة بالقربى) فيقول (والكل مجتهدون محمولون على الحق في الظاهر وإن لم يتعين في جهة منهما والقتل الذي نزل به بعد تقرير ما قررناه يجئ على قواعد الفقه وقوانينه مع

---

١ - في ص ١٧٧ من نفس المصدر

أنه شـهيد مثاب باعتبار قصده وتحريـه الحق هذا هو الذي ينبغي أن تحمل عليـه أفعال السـلف مـن الصحابة والتابعـين فهم خيار الأمـة وإذا جعلناهم عرضـة للقدح فمن الذي يختص بالعدالة والنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) يقول(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم مرتين أو ثلاثا ثم يفشو الكذب) فجعل الخيرة وهـي العدالـة مختصـة بالقرن الأول والـذي يليه فإياك أن تعود نفسـك أو لسـانك التعرض لاحد منهم ولا يشـوش قلبك بالريب في شيء مما وقع منهم والتمـس لهـم مذاهب الحق وطرقه ما اسـتطعت فهـم أولى الناس بذلك وما اختلفـوا إلا عـن بينـة وما قاتلـوا أو قتلوا إلا في سـبيل جهـاد أو إظهار حق واعتقد مع ذلك أن اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الأمة ليقتدي كل واحد بمن يختـاره منهم ويجعله إمامه وهاديه ودليله)

أقـول :اذا كان اختلافهم رحمة فهـل اتفاقهم نقمة وهل نصدق ما يقوله ابن خلدون أو كلام الحق سـبحانه هو الكلام الصائب والطريق اللاحب قال سـبحانه (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) [١] ثم مـا معنى قوله (وما اختلفوا إلا عن بينـة) أليس قد دهمتهم الفتن واصبحوا حيـارى حتـى ندموا على عـدم نصرة الحق أليس قد نـدم الزبير وتراجع عن حرب علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أليس يقول ابن عبد البر القرطبي [٢] (سعد بن ابي وقاص الى ان يقول وكان سـعد ممن قعد ولزم بيته في الفتنة، وأمر أهله ألا يخبروه مـن أخبـار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة عـلى إمام، فطمع فيه معاوية، وفي

١- الانفال اية : ٤٦

٢- في الاستيعاب ج ٢ ص ١٢ باب (سعد)

عبيد [١] الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وكتب إليهم يدعوهم إلى عونه على الطلب بدم عثمان ويقول لهم إنهم لا يكفرون ما أتوه من قتله وخذلانه إلا بذلك ويقول إن قاتله وخاذله سواء، في نثر ونظم كتب به إليهم تركت ذكره فأجابه كل واحد منهم يرد عليه ما جاء به من ذلك، وليكن عليه مقالته، ويعرفه بأنه ليس بأهل لما يطلب) ولذا قد عقب على هذا الكلام ابن عبد البر في نفس الصفحة بقوله (قال أبو عمر سئل علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن الذين قعدوا عن بيعته و نصرته والقيام معه فقال اولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل) ويقول ايضا [٢] (حدثنا علي بن خشرم قال قلت لوكيع من سلم من الفتنة قال أما المعرفون من أصحاب النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) فأربعة سعد بن مالك وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد واختلط سائرهم قال ولم يشهد أمرهم من التابعين إلا أربعة الربيع بن خثيم ومسروق بن الأجدع والأسود بن يزيد وأبو عبد الرحمن السلمي قال ابو عمر رضي الله عنه أما أبو عبد الرحمن السلمي فالصحيح عنه أنه كان مع علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأما مسروق فذكر عنه ابراهيم النخعي انه ما مات حتى تاب إلى الله من تخلفه عن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وصح عن عبد الله بن عمر من وجوه انه قال ما آسى على شيء كما آسى اني لم اقاتل الفئة الباغية مع علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقد ذكر في صحيح البخاري [٣] (قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ واله) وَسَلَّمَ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ أَيْ

١- هكذا في المصدر والصواب عبد الله بن عمر

٢- ج ١ من الاستيعاب ص ٤٠ باب (اسامة) (اسامة بن زيد بن حارثة)

٣- البخاري في كتاب الفتن ح ٧٠٤٩

رَبِّ أَصْحَابِي فيقُولُ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ) وكذا في صحيح البخاري [١] عن أسماء بنت أبي بكر(قالت قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) إني على الحوض أنظر من يرد على منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يا رب مني ومن أمتي وفي رواية أخرى فأقول أصحابي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك؟

والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم) فكان ابن ابي مليكة يقول (اللهم انا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا او نفتن عن ديننا) وايضا [٢] عن سهل بن سعد قال : قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) (إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن لم شرب يظمأ أبدا ليردن علي اقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم) قال ابو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال هكذا سمعت من سهل فقلت نعم فقال أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها (فأقول إنهم مني فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدي) واختم بحثنا هذا بهاتين الآيتين الشريفين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [٣]

١- كتاب الرقاق باب في الحوض ح ٦٥٩٣

٢- ح ٦٥٨٣ من نفس الباب

٣- الاحزاب الآيتان : ٢٣ - ٢٤

حق الزوجة

(وحق الزوجة فأن تعلم أن الله عز وجل جعلها لك سكنا وانسا وتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها وإن كان حقك عليها أوجب فان لها عليك أن ترحمها لأنها أسيرك وتطعمها وتكسوها وإذا جهلت عفوت عنها.)

سنتناول هنا بحثا حساساً يجمع فيه بين القوة من غير عنف واللين من غير ضعف وقد خاض فيه كل من هب ودب وادلى بدلوه من كل من مزج الجد باللعب وهذا البحث سنعالجه من زاوية قانونية ايضا وليس من زاوية شرعية فقط و سنوضح بعونه تعالى الصورة الحقيقة لنظرة الإسلام لهذا الحق وليس الصورة النمطية التي يحاول البعض ان ينسجها في ذهنه ثم ينسبها للإسلام فنقول قسم فقهاء القانون الوضعي حق التأديب الى قسمين -:

١- حق تأديب الزوج لزوجته

٢- حق تأديب الصغار وهذا القسم الثاني سنتكلم عنه في موقعه المناسب له فأما القسم الأول فقد ذكر الدكتور علي القهوجي [١] (لا ينشأ للزوج الحق في تأديب زوجته إلا إذا أتت بمعصية لم يرد في شأنها حد مقرر ويشترط ألا يكون أمر هذه المعصية قد رفع الى (الامام) اي الى السلطات العامة) ثم يقول ايضا في نفس الصفحة (لا يلجأ إلى ارتكاب أفعال التأديب إلا بعد الوعظ اولا

١- في كتابه (شرح قانون العقوبات ص ٢٦٦)

ثـم الهجـر في المضاجع ثانيا فحتـى تكون هذه الأفعال مـبررة - إذا توافرت الـشروط الأخـرى - يتعـين أن يكون الزوج قد نشـأ له الحق في اسـتخدامها ولا ينشـأ لـه هـذا الحق إلا باتبـاع التدرج السـابق والتأكد مـن عدم جدوى الوسائل الاخرى في التأديب) ويقول ايضا [١] (فالضرب المبرر إذن هو الضرب الخفيـف غـير المؤلم الذي لا يحدث اثر بالجسـم أو يغير الجسـم او يغير من لـون الجلـد) أقول هذا من الناحيـة القانونية والجهة الرسـمية التي تختفي روح المحبـة ولغـة الود والعاطفة والا فانه يوجد شيء (أبعد من لغة القانون وهي روح النص الإسـلامي حيث يقول سـبحانه وتعالى (ومن آياته أن خلق من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) [٢] فهنا الحق سـبحانه جعل السـكن والمودة والرحمة وهو شـكل هندسي مثلـث الأضلاع وهو الرحم والحاضنة التـي يتفجر من خلاله حالة الاستقرار الأسري وتربية الأطفال وتفاني الأبوين ونكران ذاتهم لأجل اولادهـم وهـذه العبارات والكلمـات لا يصوغها القلم بـل تكتب بمداد الحب والعاطفة الحقيقة لان الدفء الأسري هو الوعاء الروحي للعائلة ويتفاعل في هذا الوعاء عناصر التركيبة العائلية ويشترط ألا يجبر أحد الزوجين حقه ضد الطرف الآخر ولأن المرأة مخلوق حساس وعاطفي وفيها من الرقة والانوثة التي جعلها الله تعالى شأنه لها فإنه بمجرد تقليل الرجل مشاعر الحب نسبياً تجـاه زوجتـه فهي تلتقط هذه الاشـارة حتـى بدون حالة العنف الجسـدي

١- في نفس المصدر ص ٢٦٧

٢- الروم اية ٢١

ويؤثر هذا الأسلوب على الزوجة الذكية فان المرأة المحبة لزوجها بمجرد عدم التكلم معها أو ترك محادثتها ولو لبرهة وجيزة من الوقت قد لا تطيق ذلك وهو لعله أشد من حالة العنف الجسدي والا فلو لم يؤثر ترك الكلام والهجر في المضاجع فلا ينفع معها حتى اقصى العقوبات إذا كانت الصفة والسمة الطاغية على شخصيتها هي العدوانية وحالة التشيطن المارق وقد ذكر القرآن الكريم حالة التدرج هذه [1] فقال عز من قائل (وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) وهذا حق اعطاه الله للزوج وهو حق قابل للإسقاط وعدم التفعيل لأنه قد تخرج الامور عن السيطرة ويدخل الشيطان هنا فينكأ جرحاً قديماً في علاقتهما الزوجية ويستقرا أوار الخصام وتخرج الامور عن نصاب الاسلام ولذا لم نقرأ في كتب السير والتاريخ ان النبي او احد الائمة (صلوات الله عليه وعليهم اجمعين) قد ضرب زوجته بل ورد الحث على الصبر عليها وغض النظر كما في شكوى ابراهيم الخليل الجليل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لربه من سوء خلق زوجته سارة فأشار الحق سبحانه ان قومته كسرته وان تركته استمتعت به وفيها اشارة ضمنية الى الترك والصفح لغاية الاستمتاع في الحياة الزوجية نعم ورد في الاخبار الشريفة المبينة لهذا المقطع من الآية الكريمة (فاضربوهن) الضرب بالمسواك هو كناية عن عدم القسوة والصرامة ومن المهم الاشارة الى ما ورد في الشرع الحنيف (فأن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة) كما في نهج علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فهي بمجرد ان تعصر

---

١ - سورة النساء اية ٣٤

قليـلا يخـرج منها عطر المحبة والود والرقة والحنان وفي حجة الوداع اوصى النبـي الاكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) بهن خـيرا وورد [1] عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) (إني أتعجـب ممـن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منهـا) وكذا في نفس المصدر وصيـة امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (الله الله في النسـاء وفيمـا ملكت ايمانكم فان آخـر ما تكلـم به نبيكم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) ان قال أوصيكم بالضعيفين النسـاء وما ملكت ايمانكم)

١- جامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ٢٤٨

القانون الوضعي واثاره على الحياة الاجتماعية للزوجين

ذكر الدكتور السنهوري في موسوعته الضخمة [١] (وقررا حكاماً غريبة في النفقات نقلها عن القانون الفرنسي وهي تتنافر مع احكام الشريعة الاسلامية فجعل الزوجة تنفق على زوجها بل تنفق على زوجة ابي زوجها) والغريب ان الغرب يتجح بحرية المرأة وحقوقها ويجعلها تنفق على زوجها وهي المطالبة بذلك بل تنفق على زوجه ابيه - بالطبع التي هي ليست امه - بينما في الشرع الاسلامي ان الرجل مسؤول عن الانفاق على زوجته و اولاده وابويه ان كانا محتاجين واما زوجة ابيه فغير واجب على الابن ان ينفق عليها وان اراد الانفاق فهو احسان منه . وكذا توجد مشكلة اخرى وهي تعدد القوانين الوضعية وتكثرها وتشابكها فتتولد حالة من التنازعات والتقاطعات فيما بينها وهذا ما يلمسه صنّاع القانون الوضعي وفقهاء القضاء وعلى سبيل المثال نذكر هذه الحادثة من حالات عديدة (تتلخص في زواج شابة فرنسية من السيد فيراري الايطالي الجنسية ولم يكن النجاح حليف هذا الزواج الذي انتهى بالفرقة والتجاء الزوجين الى القضاء طالبة الحكم لها بالطلاق وبناء على توافر شروط الطلاق الواردة في القانون الفرنسي فقد لبت المحكمة طلبها وحكمت لها بالطلاق رغم ان قانون الزوج (الايطالي) يمنع ايقاع الطلاق وقد ادى الاخذ بقانون جنسية كل من زوج الى هذه النتيجة الغريبة حيث طلقت السيدة فيراري بمقتضى قانون جنسيتها واستردت حريتها في الزواج من اخر

---

١ - الوسيط في شرح القانون المدني الجديد ج ١ ص ٦٢

بينما بقى السـيد فيراري مقيدا بهذا الزواج لان قانون جنسيته الايطالي كان يمنـع الطلاق وبالتالي يحرم الزواج من اخرى [١]

حق الولد

(وحـق ولـدك أن تعلـم أنـه منـك ومضاف إليـك في عاجـل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسـؤول عما وليته من حسـن الأدب والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسـان إليه معاقب على الإسـاءة إليه) وقد ورد أيضاً في الصحيفة السـجادية (وحق الصغير رحمته في تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق والمعونة له) وهو عام في كونه ولداً وغير ولد لأنه قد يكون صغيرا وليس ولداً وقد يكون ولدا وليـس صغـيرا وقد يجتمع الامران وقد ذكرنا في حق الزوجة تقسـيم فقهاء القانون حق التأديب لقسـمين وذكرنا هناك القسم الاول وهنا سنذكر القسم الثانـي وهـو حق تأديب الصغـار ويقول الدكتور عـلي القهوجي في كتابه [٢] (ينشـأ الحـق في التأديب للأب او مـن في حكمه اذا خالـف الصغير الواجبات المفروضـة عليه او خـرج عن طاعته فواجب الاب ان يعتنـي بأبنائه الصغار وان يحسـن تأديبهم وتربيتهم وتعليمهم بما يتفق وقواعد القانون وما يأمر بـه الدين والقيم الاجتماعية وعلى الابناء طاعة ابيهم فيما يمكنه من اداء هذا الواجب فاذا انحرف الابناء او شقوا عصى الطاعة المفروضة عليهم نشأ للاب

١- (يراجع القانون الدولي الخاص ج ٢٠ ص ١١٢ تأليف الاستاذ الدكتور غالب علي الداوودي والاستاذ الدكتور حسين محمد الهداوي)

٢- (شرح قانون العقوبات ص ٢٦٨

او من في حكمه الحق في تأديبهم لإعادتهم إلى الطريق السليم فمروق الأبناء الصغار او انحرافهم يعطي للآباء الحق في تقويمهم بالوعظ والارشاد اولا وبالضرب او تقيد الحرية اذا لزم الامر ثانيا)

من لهم حق التأديب

ورد في الشرع الحنيف أن للأب والجد للأب تأديب الصبي ويفهم ضمناً ان الأم لها الحق أيضا وكذا ورد للمعلم حق التأديب بصورة جزئية فقد ذكر الشيخ الطوسي في تهذيبه [١] ان امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (ابلغوا معلمكم ان ضربكم فوق ثلاث ضربات في الأدب اقتص منه) ولذا ان المؤدِّب قد يؤدب وعليه الضمان فيما لو حصل بسببه جناية لأن الحق في التأديب وليس في الجناية وفي خصوص توسعة حق التأديب للجد للأب والام والمعلم نص كذلك القانون الحديث على ذلك فقد ذكر [٢] (حدد القانون اصحاب هذا الحق بأنهم الاباء والاساتذة ولفظ الاباء يوحي ظاهره انه يقتصر على الاب فقط ولكن العرف العام والهدف من تقرير هذا الحق يسمحان بامتداد حق التأديب لأشخاص اخرين غير الاباء بالمعنى الضيق ويساعد على هذا التفسير ان لفظ الاباء ورد في النص الفرنسي المقابل بلفظ Parents وهذا اللفظ الاخير يضم الى جانب الاباء الامهات والاقارب الذين يتولون رعاية الاولاد كما ان العرف العام يقر للأم حق تأديب اولادها وعلى هذا يتسع لفظ الاباء اصحاب الحق في

١- تهذيب الاحكام ج ١٠ ص ١٤٩

٢- د. علي القهوجي ص ٢٦٩ من كتابه شرح قانون العقوبات مايلي

التأديب ليشـمل الاقارب الذين لهم الحق في الولاية على الصغار وفي مقدمتهم الأب والجد الصحيح والعم والام ... ولفظ الأساتذة يجب ان يفهم هو الآخر بمعنى واسع للأسباب السابقة بحيث لا يقتصر على معلمي المدارس والمعاهد التعليمية وإنما يمتد ليشـمل كل من يقـوم بتلقين الصغار حرفة من الحرف او يسـتعين بهـم في اداء بعـض الخدمات) ويقول ايضـا [1] (وصور التأديب متعـددة فهـي تبـدأ باللوم او التوبيـخ او التعنيف والزجر كمـا قد تصل الى الضرب الخفيف الذي لا يترك أثرا بل ان القضاء قد اسـتقر على جواز تقييد حريـة الصغـير تأديبا له والتأديب المباح لا يجوز ان يتعدى الضرب البسـيط او الخفيف الذي لا يحدث كسراً او جرحاً ولا يترك أثرا ولا ينشأ عنه مرض) اقول ومن المهم ان نذكر شيئا عن تربية الاطفال الذين هم الان براعم الحياة وهـم رجـال المسـتقبل وأمهات الأجيـال اللاحقة فلابد مـن تكريس الجهود والجدية في العمل لأنها مرحلة حساسـة وخصبة في بناء شخصية الطفل

١ - في ص ٢٧٢ من نفس المصدر

أبجديات تربية الطفل

لا ريب أن تطور الزمن وتعقيداته قد خلق حالة جديدة انعكست حتى على تربية الطفل ونشأته الأولية فنرى الطفل سابقا يمارس الألعاب البسيطة التي فيها حركة عضلية ونشاط حركي وفي أجواء مفتوحة من الطبيعة بينما نراه الآن مولعاً بهذه الاجهزة الرقمية والحواسيب الحديثة واستعمالها في الالعاب والبرامج غير الهادفة من أول استيقاظه لغاية نومه وأن الأبوين لأجل التخلص من ضوضائه وشغبه يعطونه هذه الأجهزة ثم هما ايضا ينساقان ويقعان في نفس المحذور وأصبحت أجهزة الموبايل الحديثة قرآن الناس الذي لا يترك ولسنا هنا بصدد محاربة هذه الظاهرة التي أصبحت ظاهرة لها جذور ممتدة في المجتمع ولها من الترسبات التي لا يمكن ازالتها الا بصعوبة بالغة بل نقول اننا اعتمدنا حتى في أبسط العمليات الحسابية والموازنات الرياضية السهلة على الحاسبات وأصبحت المقدرة الذهنية والفكرية لنا سطحية وبدأنا نتكل على مشاهدة الامور الثانوية ولم نثقف انفسنا بالمطالعة والقراءة النافعة ونقصد هنا في كل مجالات المعرفة والثقافة أي في علوم النفس والاقتصاد والاجتماع وعلم الحضارات وغيرها وإنما حصرت كل أو جل المشاهدات الآن في المسلسلات والرياضة وافلام الاطفال والألعاب الكمبيوترية التي أوجدت الانعزال والتوتر والشد العصبي من خلال الحماس المفرط خلال ممارسة هذه الألعاب وارتفعت حالة الالفة الحقيقية في الاسرة واصبحت الالفة الزائفة بدلا عنها واظن ان الشخص الممارس لهذه الاجهزة

يعـرف حقيقة مـا نرمي اليه فإذن من المهم التركيز على ما يلي

١. ممارســة أنشــطة مختلفــة للطفــل وعدم حجــره وقسره عــلى الألعاب الحاسوبية فقط بل ممارسة الرياضة البدنية وانشطة الرسم وتحفيظه الامور التي تناسب مستواه الفكري وتؤهل قدراته ليحصل التناغم مع مرحلته الدراســية وتكون عاملا موازيا مع أنشــطته المدرســية وإيجاد تناظر فكري بين مايعطى في دراسته وبين ما يعطى من أنشطة خارجية له وتكون هذه الانشــطة عاملا مؤهلا ايضا لقدراته المعرفية مستقبلاً

٢. تنميــة خيــال الطفــل ومحاولــة إعطاء الثقة له في استكشــاف الأشــياء المختلفة والاشــكال والالوان ومســميات الأشياء هذا في بداية نموه وأول مراحــل حياته لأنــه في هذه المرحلة وهي مرحلــة التجميع والتخزين في ذاكرته فتراه يسأل عن كل شيء ويحاول معرفة كل شيء ثم بعدها نستمر في تنمية مدارك الطفل شيئا فشيئا مع التأكيد على الاهتمام بالمادة المحببة له فمثلا الطفل الذي يحب الرسم يفسح له المجال أكثر في هذا النوع من الهوايــة باعتبارها عنصرا مرغوبا له وعدم قــسره أو تدجينه على أمور غير مرغوبة له

٣. الاهتمــام بالمــادة الخام لــذوق الطفل المعــرفي والفني مثل البوســترات التعليمية وقصص الاطفال والمجســمات التي تناســب عمره وتزيد من ثروته الثقافية

٤. – محاولة تنمية التلقائية الايجابية للطفل والابتعاد عن أساليب الضغط النفسي

أهم أساليب تربية الطفل

١. أسلوب العصف الذهني وقد ابتكره أوزبورن سنة ١٩٥٣ ويتكون هذا الأسلوب من ٦-١٢ طفل يجلسون بحالة من التلقائية حول طاولة مستديرة ويتركون يناقشون أفكارهم لحل مشكلة معينة وتلاحظ حالة التفاعل الايجابي بينهم .

٢. أسلوب اللعب ويعتبر في هذه المرحلة أسلوبا ضروريا جدا لأن الطفل يعيشها ببساطته المألوفة فيحاول الركض والقفز والتسلق واللعب بالتراب وقد نقل في بعض مصادر المدرسة السنية (التراب ربيع الصبيان) وكذا اللعب بالماء في الاحواض المناسبة لذلك ومن المعلوم حث الإسلام على السباحة ولذا فان اللعب بهما يعطي فرصة للطفل للإندماج بعالمه المادي وقد ذكر في المناقب [1] (ملاعبته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) معهما ما رواه ابن بطة في الإبانة من أربعة طرق عن سفيان الثوري، عن أبي الزبير عن جابر قال: دخلت على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) والحسن والحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) على ظهره وهو يجثو لهما ويقول: نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما)

وكذا نظر النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) إليهما وهما صبيان يتصارعان ويقول أيهاً حسن فقالت الزهراء(عَلَيْهَا السَّلَامُ) كأن الأكبر أحبهما إليك فيقول كلا لأن جبريل يقول إيهاً حسين بل إنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) كان يراعي البعد النفسي

١- مناقب آل ابي طالب ج ٣ ص ٥٨

للطفل ايضا وليس فقط في ممارسة الألعاب معهما فقد ورد (أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)أتي بالحسين بن علي (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)فوضع في حجره فبال عليه فأخذ فقال : لا تزرموا ابني ثم دعا بماء فصب عليه .قال الأصمعي :الازرام : القطع يقال للرجل إذا قطع بوله: (قد أزرمت بولك و أزرمه غيره إذا قطعه وزرم البول نفسه إذا انقطع) [١] اي نلاحظ هنا نهى عن معاقبة الطفل بسبب ببوله لأن الطفل في هذه المرحلة يوجد عنده ضعف في العضلة التي تضبط تدفق البول من المثانة او عنده صغر في حجم المثانة فتمتلئ بفترة زمنية أسرع من أترابه أو عدم القدرة على إدراك امتلاء المثانة لان الاعصاب التي تتحكم في المثانة تنضج بصورة بطيئة فهنا الطفل قد يعتبر أن حالة التبول التي هي أمر طبيعي له بسبب تقريع اهله له انها حالة خاطئة وغير صحيحة فيبدأ بحبس بوله ومحاولة عدم اخراجه وبالتالي يولد له آلاماً بدينة ومشاكل صحية . و بخصوص هذا الأسلوب وهو أسلوب اللعب قد ورد في القرآن الكريم ذكر مادة (لعب) بالخصوص فمثلا [٢] (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) وكذا ورد مثلا في التهذيب[٣] عن يعقوب بن سالم عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (الغلام يلعب سبع سنين) وقد أشير في المدارس الحديثة لتربية الاطفال لظاهرة لعب الطفل فقد ذكرت الدكتورة منى محمد علي جاد ما يلي (وقد اكد بياجية piaget ١٩٦٢ على اهمية ادراك اسلوب اللعب كمدخل

١- معاني الاخبار للصدوق ص ٢١١ باب معنى الإزرام

٢- الاية ١٢ من سورة يوسف

٣- تهذيب الاحكام ج ٨ ص ١١١

وركيزة اساسية لعملية التعليم ويرى ان اللعب يخدم اهداف [١] عديدة في تربية الطفل منها ان الاطفال يستخدمون اللعب كنشاط رمزي هام ويساعد على توضيح المفاهيم والتخفيف الانفعالي وابعاد الاطفال عن الملل ويشعرهم بالسعادة والمتعة وكذلك يؤكد سميلا نسكي على ان اللعب هو الوسيلة التي يستعملها الأطفال لترجمة خبراتهم إلى أشياء داخلية لها معنى بالنسبة لهم)[٢]

٣. أسلوب المناقشة وهذا الأسلوب يختلف عن أسلوب العصف الذهني فإن أسلوب المناقشة يكون بين الطفل وأمه او ابيه أو معلمته فيترك المجال للطفل في المناقشة والفسحة المعرفية للتعبير الحر عن رأيه وتنمية وتعزيز حالة الثقة بالنفس لديه وزيادة الثراء اللغوي وإثبات الذات لديه بينما أسلوب العصف الذهني هو حالة من المناقشة والتفاعل الجماعي مع أقرانه

٤. أسلوب الممارسة (الخبرة المباشرة) أي قيام الطفل بالممارسة العملية والنشاط الفعلي واكتساب الخبرة والمهارة من خلال هذا السلوك العملي وعدم البقاء في قالب التعليم النظري فقط وفي هذا المجال يقول فريدريك فرويل وهو أحد المتخصصين في مجال تربية الطفل (أن تعليم الاشياء في الحياة عن طريق العمل أفضل كثيرا في نحو الطفل وتنميته وتقويته عما لو تعلمها عن طريق الألفاظ) [٣] ولذا

---

١ – الصواب (أهدافاً) ولكنا لم نتصرف بالنص حفاظاً على امانة النقل

٢ – يراجع طرق واساليب تربية الطفل ص ١٣٤

٣ – يراجع طرق واساليب تربية الطفل ص ١٤٨

نقـول بخصـوص هـذه المقولة وهـي (التعلـم في الصغـر كالنقش عـلى الحجر) لابد مـن تطعيمها بكلمـة والعمـل أي التعلم والعمل في الصغـر كالنقـش على الحجر فكم فرق بـين أن تشرح للطالب في المراحل المدرسـية شرحـاً نظريا وبين أن يدخل في مختـبر الكيمياء ليقـوم بنفسـه في عمـل التجربـة الكيميائية وكذا في علـوم الأحياء مثلا يوجد فرق شاسـع بين ان يشرح له عن طحلب السـبايروجيرا وبـين ان يدخـل المختبر ويـرى بعينه في المجهر هـذا الطحلب حتماً ان الفعل العملي سـيبقى مغروسـاً بداخله اكثر من الحالة النظرية فقـط وهذا الأمر سـيال حتـى بالنسـبة للكبار فقـد روى عبد الله بـن أبـي يعفور عـن الصـادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (كونوا دعـاة للناس بغير ألسـنتكم لـيروا منكم الورع والاجتهـاد والصلاة والخير فان ذلـك داعيـة) [١] وكـذا ورد في النهـج [٢] (مـن نصب نفسـه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسـه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسـيرته قبل تأديبه بلسـانه ومعلم نفسـه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم) .

٥. أسـلوب الرحـلات والسـفر خـارج البيـت ويهـدف الى تغـير البعـد النفـسي للطفـل وكسر الحالـة الروتينية وجـو الرتابة الـذي يعيش فيـه ومحاولة مخاطبـة حواس الطفل كمدخل أسـاسي لتربية الطفل

١- الوسائل ج ١ ص ٧٦

٢- في النهج عن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في قصار الحكم ص ٤٥٠ رقم الحكمة ٣٩٢

ويعتبر بستالوتزي وهو أحد المتخصصين في مجال تربية الأطفال (التعليم بالاستكشاف وهو أحدى المظاهر الهامة للتربية البيئية من خلال اصطحاب الأطفال في رحلات وجولات ميدانية للحدائق والمزارع التي تهيئ لهم الفرصة للملاحظة والمشاهدة عن قريب وجمع العينات فيكتشفون بأنفسهم العلاقات المختلفة بين عناصر البيئية ويجدون إجابات عن أسئلتهم واستفساراتهم) [١]

٦. أسلوب القصة : القصة هي وسيلة من الوسائل الفلكلورية الشعبية وهي من التراث العام لكل بلد ولا يوجد بلد أو حضارة من الحضارات لم تكن القصة في موروثها الاجتماعي وبنظرة سريعة لقصة الحضارة (ول ديورانت) أو غيرها من كتب الحضارات أو علوم الأديان نجد ان القصة هي سلوى الانسان ومتنفسه الروحي عما بداخله من ضغوط فيحاول طرحها وهي خزان هائل من ثقافة الأمم ولها من التأثير العميق على المجتمعات وسرعة تقبلهم لها أكثر حتى من القضايا العملية والمبرهنات الطبيعية لأنها تدغدغ مشاعرهم وعواطفهم والعاطفة اقوى من العقل في كثير من الأحيان فالقصة تجعل الطفل يلتذ بابعادها و يستفسر عن احداثها وكأنه يعيش حالة تفاعلية مع اجوائها وفي مفاصل الحدث فلذا لابد ان لا يكون فيها جواً من الرعب والرهبة وان لا تكون ذات بعد نفسي مظلم وان تكون بألفاظ سلسة و الاهم ان تكون هادفة وذات كم من ثمار التربية الصالحة فهذه أهم أساليب تربية الطفل ومن أراد المزيد فعليه بمتابعة الكتب المتخصصة في هذا المجال .

---

١ – طرق وأساليب تربية الطفل ص ١٥٤ د. منى محمد علي جاد

تربية الطفل وتعقيداتها

ليس من السهولة بمكان تربية الطفل تربية صالحة و القول ببساطة إن الطفل نعلمه ونلقنه أبجديات الحياة وأدبيات العيش المنظم والتوازن المتعادل فيتبع الطفل هذه التعاليم حرفيا ويمثلها ثم يسير عليها في امتدادات عمره كلا فهذا القول ليس بسديد لأن الطفل ليس آلة حاسوبية ندخل فيها البرمجيات التي نريدها ثم تمتثل هي تلقائيا لأوامرنا وذلك لأن هناك عوامل داخلية وخارجية لها التأثير الفاعل على سلوكه ونشاطه وارتدادات صدى توجيهات الآخرين عليه فمثلا من العوامل الداخلية هي سيكولوجية الطفل بتفريعاتها مثل قابلية إدراكه وسعة حجم هذا الإدراك فإن الأطفال يتفاوتون في إدراكهم وذكائهم وكذا العاطفة والسلوك ومدى استجابته لامتثال طلبات الابوين او المعلم ومن هو مسؤول عن تربيته بل من الصعوبة التفكير بما يفكرون به وينوون فعله خصوصاً عندما تنتابهم فترة المراهقة وما يقاربها وأما العوامل الخارجية فهي المحيط المجتمعي الذي يعيش فيه وأثر المدرسة والهيئة التدريسية الذين يراهم يوميا في مدرسته وكذا أقرانه واترابه فهذه تكون بيئة خصبة وحاضنة ذات فعالية كبيرة في ان يقتبس منها ويسلك سلوكياتهم فقد يتأثر بزميل له تأثراً كبيرا يفوق تأثير أخيه له في البيت او قد يتأثر بمدرسه في المدرسة يفوق تأثير والده الذي غذاه خلال سنوات من كم هائل من النصائح والإرشادات وذلك لان مدرسه قد نفذ ودخل لقلبه بينما نصائح والده قد نفذت لعقله فقط وبالطبع ان قانون المشاعر اقوى

مـن قانون المنطق في هذه المرحلة الحساسـة ويكـون العقل الناضج بضاعته يصيبهـا الكسـاد في هـذه الفترة مـن عمره فنراه يقـدم على افعـال متهورة ويسـتجيب لأفعال تطلب منه وهو لا ينظر الى ابعادها وردات الفعل الناتجة منها اي هو يستجيب للشخص الذي اثر فيه واستطاع كسب اعجابه فيجعل منـه طوطمـا ذا قدرة على توجيهه بشـكل مباشر او غير مبـاشر ويكون هذا المراهق منقادا له بشـكل عجيب وتزداد الحالة سوءاً حينما يكذب على والديه في خروجـه وتأخره وعـدم اهتمامه بواجباته المدرسـية وتصبح سـلوكياته الشخصية غير منضبطة واجوبته لأسئلة ابوية ملتوية بل حادة بعض الشيء وهذا ما نسـميه ردة الفعل السـلبية لأفعال الاخرين والانكى من ذلك كله لو تظاهر امام والديه بمظهر الشخص المطالع لدروسه في غرفته وهم يوفرون له وسـائل الراحة ومسـتلزمات الدراسـة ويكرسـون الوقت الكامل له وهو مراوغ لهم ومحلق في اجواء اخرى لا يعلمون بها ولا يدرون مع اي شخص مرتبـط و بأي انسـان متعلـق فليس غرس بذور التنشـئة الاجتماعية للطفل هي تشكل القالب الواضح لشخصيتة المستقبلية بل هنا تحقيب زمني وأدوار عديدة تحصل للطفل من مرحلة الطفولة المبكرة ونشأته في حضن أمه فإنها المهـد الأول الـذي يتأثر فيه كونه في هذه السـنوات المبكرة لصيقا بها وتابعا فطريا لها ثم دور المدرسـة بمستوياتها التصاعدية فإن الهيئة التدريسية لها أثر بالغ على بناء ثقافة الطالب وكونها في نظره الوعاء الروحي وقلب العقل وعقل القلب له وبالتحديد لو احب احداً من اساتذته واعجب به وتأثر به فانه سيترك بداخله بصمة واضحة وان تغير موقع هذا المدرس فسيسبب له جرحاً

نرجسيا فكريا فمرحلة المدرسة هي مرحلة خصبة جدا وهي الرحم الحاضنة لـه بعد حجـر والدته ولذا في هذه المرحلة بحاجـة الى متابعة هامة وكذا فإن دور الاب هـو المحور المهم هنا وعدم إيكال الامور لغيره وترك الموضوع على عواهنه والقول بأنه يكبر ويتعلم فإن هذا نفخ من غير ضرام وزرع في سراب الاحلام فان النتائج خطيرة والمسـتقبل مبهم لهذا الطفل فيجب عليه التنقيب الفكري والمعرفي لشخصية ابنه ومتابعته سلوكياته واؤكد على نقطة محورية هنا وهي عدم إشـعار الطفل بأن أبويه يتجسسـان عليـه ويراقبان تصرفاته مباشرة فان لهذا الفعل ردة فعل سلبية لأنه لا يخلو اما ان يكون مخادعاً لهما في الواقع فيبدأ على اثرها بتغيير خططه ومناوراته لهما في تصرفاته واما ان يكون صادقا معهما وممتثلا لطلباتهما فسيسبب له حالة من الاحباط الشديد وردة الفعل المعكوسة كونه مطيعا لهما وحريصا على امتثال طلباتهما برغم ذلـك لا يثقـان بـه فتنعدم الثقة بـين الجانبين وتصبح الازمـة ثلاثية الابعاد (المراهق الاب الام) او يجيرها لصالحه ويترك عن عمد وتهاون ما يطلب منه لأنه لاحظ ان والديه برغم تطبيقه لما أراده منه لم يؤسسـا لمسـاحة من الثقة المتبادلـة بـين الطرفين فينفرط عقـد الحب بينهما وتصبح الامور متشـابكة والليالي حالكة وتنسـج حـول هذه الازمة عناكب الاوهـام وتقف دون العلم بأبعادهـا جياد العلمـاء الاعلام وفي ختام هذا البحـث نؤكد على ان الاهم من جميع ما ذكرناه من العناصر السابقة التي تكون النخب المرموقة والكفاءات الموثوقة لتربية الطفل هو ما يسـتحق ان يكتب بمداد القلب الا وهو (التوجه الى الله في طلب الهداية لولده) فانه المعين في كل الامور والصارف له عن كل

محـذور والا فنظرة تاريخيـه سريعة لحكماء الزمـان والمبرزين على الاقران تراهـم قد ابتلوا بأبنائهم وذاقوا مرارة أفعالهم .

الإنسان بدائي في عقله الباطن

رغـم التطـور المذهـل الذي تعيشـه البشرية في مجـالات الحيـاة المتعددة مـن مجال الطاقة والاتصالات ومنظومة الجيل الخامس من شـبكة الانترنت وتقدم العلوم الفيزيائية وعلوم الفضاء وقطاع الصحة وغيرها إلا أن خلفية الإنسان الذهنية تنسى هذا التطور في بعض الأحيان او قد تتغافل عنه ويسلك الإنسان سلوكا عدوانيا حتى لو كان فيه موته وفناء بني نوعه فمثلا الأدخنة والغـازات المنبعثة مـن المعامل والمصانع والشركات التجارية والتي بسـببها ازداد التلـوث البيئي وطفقت المؤتمـرات والندوات وبرامج التثقيف المتكررة مـن أجـل تقليل هـذه الانبعاثات ولكن هل قلت نسـبة هذه الغازات السـامة كلا بـل حتى بعد دخول الأمم المتحدة على خط الازمة والاهتمام الجدي بهذا الموضـوع فـان الـكل لا يسـمع ولا يرى بل يحاول كسـب المال بـأي طريقة هـذا ما يخص آثـار المصانع الانتاجية وكذا ظلم الانسـان لأخيه الانسـان في الحـروب الطاحنة التي تعصف وتفتك بالبلدان والآلات الحربية المخيفة التي لا يعلم أحد منا ترسانتها النووية إلا الله سبحانه ولا نرى رادع ولا وازع بل القوي يقتل الضعيف والمتسـلط ينهب ثروات المسـالم وكأننا في مهد البشرية وبداية الانسـانية وفي أول مراحل طفولة الحضارة وقانون الغابة هو السائد فالقوالب المعسـولة من الألفاظ والكلمات جميلـة جدا ونغمتها في النفس لها

ارتـداد عاطفـي مثير ولكن المعيـار الحقيقي لتقدم الامم والشـعوب في مدى احرازهـا التطبيقي لمبادئها الإنسـانية وتسـجيلها الواقعي لهـذه المباني والا فهـو لا يسـتحق ثمن الحبر الذي كتب به وسـأنقل نص ميثـاق الامم المتحدة في ٢٦ حزيران عام ١٩٤٥ في سـان فرانسسـكو في ختام مؤتمر الامم المحتدة الخـاص بنظام الهيئة الدولية واصبـح نافذا في ٢٤ تسرين الاول عام ١٩٤٥ (ميثاق الأمم المتحدة

نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلينا على أنفسنا :

أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي في خلال جيل واحد جلبت على الإنسـانية مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسـية للإنسـان وبكرامـة الفرد وقدره وبما للرجال والنسـاء والأمـم كبيرها وصغيرها من حقوق متسـاوية وأن نبيّن الأحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي،

وأن ندفـع بالرقـي الاجتماعي قدماً وأن نرفع مسـتوى الحياة في جو من الحرية أفسـح وفي سبيل هذه الغايات اعتزمنا أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وان نعيـش في سـلام وحسـن جوار وأن نضـم قوانا كي نحتفظ بالسـلم والامن الدولي وان نكفل بقبولنا مبادئ معينة ورسم الخطط اللازمة لها ألاّ تستخدم القوة المسـلحة في غير المصلحة المشـتركة وأن نستخدم الاداة الدولية في ترقية الشـؤون الاقتصاديـة والاجتماعيـة للشـعوب جميعها [١] أقول سـوف اترك

١ - يراجع حقوق الانسان بين التشريع والتطبيق ص ١٦٣

المجـال لحريـة القارئ المثقف وماهـي قراءته الحقيقية لواقـع هذه الكلمات وإسقاطها على ميادين الواقع وصدى هذه الفقرات في عالمنا المنظور وسوف لا نعـبر نحـن بأي تعبـير لأن الصمت في بعض الأحيـان أبلغ من الكلام .

الأحوال الشخصية في الفقه الإسلامي

سـوف نتكلم هنـا عن خطوط عامة في الأحوال الشـخصية للفرد المسـلم في الفقـه الإسـلامي ولا ندخـل في تفاصيلها لأن لها موضعاً آخـراً وإنما هنا نذكـر لمحـة موجـزة من بـاب التثقيف للهـواة الذين قد لا يسـعفهم الظرف لمطالعـة التفريعات وايضا لأن كثيرا من الناس لا يعرفون ولو اجمالاً أحكام الأحوال الشخصية في الفكر الإسلامي والتي هي منظومة رصينة من الحقوق والواجبـات عـلى كل فرد من أفراد هذا المكـون المترابط وهذه الخطوط هي

١. النـكاح وكونـه مسـتحباً في الشريعـة الإسـلامية لبناء اسـس الحياة الاسرية ويدخل في هذا الفصل مقدمات النكاح ومَنْ مِنَ النساء يستحب تزويجهـا وحـق نظر احـد الطرفين للآخـر في حالـة إرادة تزويجها والخطبة وكذا الكلام عن بعض المحارم مثل حرمة العقد على المعتدة ومن تحرم عليه بنسـب او رضاع او مصاهرة والمحللات من النسـاء وكذا الكلام في شرائط النكاح وأركانه وأحكامه من ولاية الأب والمهر وصيغـة العقد واعتبار رضاها وما شـاكل ذلـك من حقوق الزوجين مـن المعـاشرة بالمعروف والإنفـاق عليها من مـأكل وملبس ومشرب ومسـكن ونفقة طبية والعدل والإحسان في الشراكة الزوجية والقسم

بين الزوجات في المضاجعة وحقوق الزوج وعدم جواز نشوزها وكذا أحكام الأولاد وحقوقهم وثبوت نسبهم ومسائل الرضاعة ومقدارها الموجب للتحريم والحضانة وكذا النفقة الواجبة على الأقارب من الأبناء فنازلاً والأبوين فصاعدا وفي ولاية الأب والجد للأب .

٢. في الطلاق وأحكامه وأقسامه[١] وكذا يوجد طلاق عاطفي يكون أثره كبيرا على الحياة الاسرية فان الزوجين ليسا مطلقين كل الإطلاق بل هناك ضوابط شرعية تحدد مستوى هذه العلاقة وقد يكون الزوجان تحت سقف واحد والهيكل الجسدي لكل منهما قريب من الآخر ولكن قد تكون القلوب متنافرة والأهواء متباعدة وكل منهما مكلوم من صاحبه وملجم عن التفوه بكلمات الحب والحنان لشريك حياته وأصبح ما يربط افراد الأسرة فقط الخيط الذي يجمع حبات العقد فقط وأصبح الوجوم والبرود العاطفي بلحاظ الدفء الأسري كالجزء الغاطس من الثلج وهو الجزء الأعظم من كتلة الثلج لان كثافة الثلج اقل من كثافة الماء وكذا خيارات الفسخ للنكاح التي تكون للزوجين و أحكام المفقود عنها زوجها وفيما لو تبين حياة زوجها بعد ذلك وغيرها من الأحكام

٣. الوصية والوصي وما يتعلق في هذا المبحث من الموصى به والقيم على الأيتام وحدود صلاحياته وكذا الحجر والمحجور عليهم من هم وتقسيمات مراحل الفئات العمرية من الطفولة والمراهقة والبلوغ

---

١ – من البائن والرجعي وكذا طلاق الخلع والمباراة

وكيفيـة التفريق بين هـذه المراحل العمرية

٤. الهبـة وما يجوز هبته وما لا يجـوز وجواز الرجوع أو لا وتصرفات المريض ومنجزاته

٥. في الوقـف والشروط التـي يجب توفرها في الواقـف والعين الموقوفة والجهة الموقوف عليها وصيغة الوقف وأقسـام الوقف وتفرعات هذا المبحث وأحكامه

٦. في المـيراث ومـا يتعلـق بالتركـة وكيفية تقسـيمها و طبقـات الإرث ومـن يمنـع من الإرث وغير ذلـك من مباحث هـذا الفصل ومن احب زيادة الاطلاع فعليه بمراجعة المصادر المذكور في الهامش [١] ويقول الدكتـور احمـد الكبيسي في كتابـه الآخر [٢] الوجيـز في شرح الاحوال الشخصية (اذا لم يوجد نص تشريعي يمكن تطبيقه فيحكم بمقتضى مبـادئ الشريعـة الإسـلامية الأكثر ملاءمـة لنصوص هـذا القانون) ويعقـب الدكتـور الكبيسي على هـذه الفقرة من مـادة القانون بقوله (فقد احالت هذه الفقرة القاضي الى مبادئ الشريعة الاسلامية الغراء عنـد خلـوه من نص ملائـم) اقول هنا قد جعلت الشريعة الإسـلامية السـمحاء متأخرة رتبة عن القانون الوضعـي وأصبحت الصدارة له عليهـا وقد راجعنا هذا الكتاب الذي يعتبر مصدرا من مصادر طلاب معهد القضاء العالي في الدراسـات القانونية ويكون مادة دراسية لمن

١- شرح الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية تأليف محمد زيد الابياني) وكذا (الاحوال الشخصية في الفقه والقضاء د. احمد الكبيسي

٢- الوجيز في شرح الاحوال الشخصية وتعديلاته ص ٩ ما نصه (المادة الاولى ف (٢)

يرشـح لمنصـب القضاء وقد ذكـر في هذا الكتاب مصـدر ان فقط من مصادر الشـيعة وهما كتاب الخلاف للشيخ الطوسي وكتاب المختصر النافع للمحقق الحلي بينما ذكر من مصادر المدرسـة السنية ما يقرب من عشرين مصدراً

عتبة الدخول لرسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

ان الامام زين العابدين قد شابه جده أمير المؤمنين في مزايا وخصوصيات عديـدة منهـا في عبادته وتهجـده ومضامين ادعيته وتوجد مشـتركات كثيرة رصدناها بين ادعيتهما (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) منها

١. التذكـير بعظمة الخالـق وقهاريته المطلقـة وأن الجميع تحت قبضته سبحانه وتعالى
٢. احتياج الانسـان بل كل ما في الوجود اليه سـبحانه وتعالى وان الكل فقير محتاج اليه
٣. شـكر الحق تعالى شـأنه على نعمه ومننه وإحسـانه وعجز الإنسـان مهمـا بالـغ في أداء حق واحد مـن حقوقه تعالى
٤. تعلـق الإنسـان بربه وخصوصا عند انقطاع السـبل الطبيعية وتخلي الوسائل الظاهرية عنه
٥. الاعتراف بأن الإنسـان مقصر في جناب الحق سـبحانه ورجاءه في ان يصفح عنه زلله واخطاءه
٦. الاستعداد للموت والتزود من هذه الدنيا لعالم العدل الالهي والخلود

الابدي.

وما ذكره الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في رسالة الحقوق هنا ليس من الطوباوية التي تخرج الانسان الى المثالية وخلاف الواقع بل هي الانسانية بكل ابعادها وقيمها الاخلاقية وما اشتملت عليه بعوائدها وفوائدها للأخرين والا فاذا جرد الانسان من انسانيته فما الذي تراه منه وهي الامور التي تترشح منه سواء الامور المادية التي تخرج من قرنه الى قدمه ام الامور غير المادية التي تصدر منه ولربما الحيوان اقل فتكا منه بل واقعا ان الانسان قد بيض وجه الحيوان المفترس بما صدر منه تجاه ابناء جلدته وما انتقد به الدكتور محسن عثماني الندوي في فصل قد ذكر في كتاب القانون الدولي مقارنة بين الغرب [1] ولاسلام حيث يذكر ان (افلاطون مؤلف كتاب (الجمهورية) يقول في كتابه المشهور الجمهورية بأن اليونانيين لهم حق ان يحكموا على غير اليونانيين) وان نظرة عابرة تسبر غور التاريخ وتسير في خط زمني متسلسل يلاحظ من خلالها ان الامم والشعوب القوي فيها يأكل خيرات ومقدرات الضعيف ولنعم ما نسب لعبد المطلب كما ذكره الريان بن الصلت قال انشدني الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لعبد المطلب[2] من ابيات ذكر فيها

وليس الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعض عيانا

وقد نسب بعضهم هذه الابيات الى الشافعي وبعضهم الى محمد بن محمد بن جعفر بن لنكك وهنا ملاحظة اود التنبيه عليها وهي انه في رسالة

١- ص ٩٢ إعداد وترتيب مجمع الفقه الاسلامي - الهند -

٢- إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي ج ٢ ص ٦٩

الحقـوق لـه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لـم يفـرد للحيـوان حق خاص بـه له بالذكـر من بين الحقوق المذكورة في الرسـالة ولعله لأن الكلام والتركيز على حقوق الانسـان هنا وليس عن مطلق الحقوق للأعم من الانسان وغيره وان كان يمكن ادخال الحيـوان مـن خلال قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (ولهديك عليك حقـا ولأفعالك عليك حقاً) فهنـا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) صرح بـأن للهدي وهـو الحيوان الذي يذبـح في الحج له حق عـلى الانسـان بل ان قولـه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (ولأفعالـك عليك حقاً) ما يشـير الى ان هذه الفقرة هي عنوان لكل افعال الانسـان ومن ضمنها التعامل مع الحيوان وايضـا قـد اشـار (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ببعض الاشـارات يستشـف منها ذلـك منها (ثم تخـرج الحقوق منك الى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك واوجبها عليك ....الخ) فان قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (ومن ذوي الحقوق الواجبة عليك) وقوله ايضا (وأوجبهـا عليك) انه ذكـر أوجب الحقوق والبقية واجبـة فهو من باب ذكر الأوجـب فالأوجـب ولنذكر مثالاً واحـداً نزين بين هذه الصفحـة من الكتاب وليـدل عـلى ان مـا صدر منه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يعتـبر وبجدارة ان يكـون من الرواد في تأسـيس حقـوق الحيوان [1] (عن زرارة قال سـمعت ابـا جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول كان لعلي بن الحسـين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ناقة حج عليها اثنتين وعشرين حجة ما قرعها قرعة قط) . ونحن هنا لسـنا بصد شرح كافة الحقوق التي وردت في رسـالته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بـل نحاول ان نقتطف بعض هـذه الثمار ونركز على ما فيهـا من ازهار كحق الحريـة وغيرها من الحقوق العامة فان الحرية شيء لا يقـدر بثمـن ولا يتبدل او يتغير بتغير عوامل الزمن ولا يختص بالإنسـان بل

١- جامع احاديث الشيعة كتاب الحج ج ١٢ باب ٢٥ ص ٢٩٥

يشمل حتى الحيوان فترى الطائر الحبيس في قفص صغير هو عاشق للحرية في كوامن نفسه ومشاعر حسه ولذا تراه حين تحينِ الفرصة المناسبة ينطلق لفضاء الحرية وامتداد الحركة الجوهرية

حق المدعي

(وحق الخصم المدعي عليك فان كان ما يدعي عليك حقا كنت شاهده على نفسك ولم تظلمه واوفيته حقه وان كان ما يدعي باطلا رفقت به ولم تأت في امره ولا قوة الا بالله)

من الغريب ان تحتل مرتبة مبادئ القضاء للشريعة الاسلامية في مصادر القانون الوضعي في بعض الدول الاسلامية مرتبة ثانوية وليست اولية بل قد تصل الى مرتبة ثالثة وهذا من الغرابة بمكان حيث يفترض ان هذه الدول إسلامية والغالب على شعوبها هو الاسلام بينما نراهم يقدمون النصوص التشريعية القانونية اولاً ثم مع عدم النص القانوني يحكم القاضي بمقتضى العرف وعند عدم مادة قانونية عرفية يحكمون بمقتضى الشريعة الاسلامية ففي كتاب دروس في المنهج القانوني [١] ذكر ما يلي (فاذا لم يوجد نص تشريعي يمكن تطبيقه حكم القاضي بمقتضى العرف فاذا لم يوجد فمقتضى مبادئ الشريعة الاسلامية...) وكذا وجدت نفس الكلام في موسوعة الوسيط القانونية للسنهوري وغيرها من كتب القانون[٢] .

١- دروس في المنهج القانوني ص ٤٢

٢- يراجع دروس في المنهج القانوني ص ٤٣ (د. فايز محمد حسين و د. احمد ابو الحسن)

ولا ريب ان منصب القضاء من المناصب الحساسة الخطيرة جدا ولذا فان الآيــة الكريمــة قد المحت الى شيء مهم جدا قال الحق تعالى شــانه (يا داود إنا جعلنــاك خليفــة في الارض فاحكم بين الناس بالحــق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحســاب) [١] فكأن القضية ابعد من مرتبة التقوى والعدالة الا وهي مخالفة النفس والهوى وهي مرتبة متســامية جدا ولا تقبل القســمة على اثنين وكذا لابد للقاضي ان يكون كتلة متماسكة من العلم ايضا وواسع الافق في الحكمة وبعد النظر ويمتاز بالمهنية والموضوعية ولا يأخذ كلام المدعي على انه حقيقة مســلمة وذلك لان الخــبر وكما يعبرون في المنطق مــا يحتمل الصدق والكذب لذاته ويعجبني في هذا البحث ان اذكر اسس العمل المنهجي عند ديكارت فان لهــذه الأســس مزيــد فائدة في هذا الفــن بل في كل ميادين العلوم فقد لخص ديكارت القواعد المنهجية الاساســية التي يجب ان يسير عليها العمل المنهجي السليم وهذه القواعد هي

١- عدم اخذ اي امر على انه حقيقة الا اذا وضحت حقيقته بصورة جلية

٢- عــدم تجزئة صعوبات موضوع البحث إلى جزئيات لإمكانية الوصول إلى حلول فاصلة لها

أقــول ويقابل هذه النقطة في المنطق الأرســطي القياس المنطقي بقســميه حيــث يتم الانتقال من الكبريــات والقواعد الكلية الى الجزئيات

٣- توجيــه الفكــر بشــكل منتظم من الاصغــر الى الاكبر ومن الســهل الى

١- الآية ٢٦ من سورة ص

الصعب اقول ويقابله في المنطق الأرسطي الاستقراء او الاستقصاء وهو الانتقال من الجزئيات الى الكليات ويشترط فيه أن يكون تاماً حتى تكون النتائج يقينية .

٤- الإحصاء الكامل للأمور ثم المراجعة [١] أقول لا ريب في اهمية علم الإحصاء في العصر الراهن واعتماد العالم على هذا العلم الآن و دوره الفعال في مجمل العلوم وفي خضم الكلام عن منظومة القضاء بأبعادها وتفصيلاتها ذكر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حق من أساء القضاء فقال (وحق من ساءك ان تعفو عنه وإن علمت ان العفو يضر انتصرت قال الله تبارك وتعالى (وَ لمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) من الجدير بالذكر ان المشرع الاسلامي حث على العفو ومقابلة السيئة بالحسنة في كثير من بياناته ولكن للعفو ركيزتين الأولى ان يحمل الشخص اخلاق الفرسان ويتنازل عن استيفاء حقه وغض الطرف عمن اساء له وهذه السمة لا يملكها كل احد وانما تختص بذوي الهمم العالية والنفوس الكبيرة والركيزة الثانية هي ان يكون العفو ناجعاً ويحقق أثره والا فلو تمادى الشخص في غيه وطغيانه وحلت الجريمة المنظمة في المجتمع وأصبح التعدي على الحريات العامة وهُدِد السلم المجتمعي فهنا الشارع الأقدس قد وضع كليات لمعالجة هذه الظاهرة (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) [٢] و (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين) [٣] و سنتكلم بشيء من الإيجاز

١- يراجع دروس المنهج القانوني ص ٣٣٩ (د . فايز محمد حسين و د . احمد ابو الحسن)

٢- البقرة اية ١٩٤

٣- الشورى اية ٤٠

عـن الجريمـة واركانها فقد ذكـر الدكتور علي القهوجي نظريـة الجريمة في كتابه [١] فقال (ولا جدال في ان للجريمة ركنا ماديا و ركنا معنويا وذلك لانها سـلوك إرادي مصدره الانسـان وهي كأي سلوك إنسـاني لها جانبان جانب مادي خارجي نلمسه في الكون المحيط وجانب باطني داخلي يعبر عن نفسية مرتكبها وهذان الجانبان ليسـا سـوى ركن المادي وركن المعنوي ولا بد من اجتماعهما حتى تقوم الجريمة وتخلفها او تخلف أحدهما يترتب عليه تخلف الجريمـة فكلاهمـا إذن جزء فيها) أقول هذان الركنـان هما من اهم الاركان العامـة في نظريـة الجريمة ويوجد ركنان اخـران ولكن مع خلاف عندهم في كونهمـا من الاركان العامة أو لا وهما الركـن الشرعي ويقصدون به الصفة غـير المشروعـة للفعل وايضا يقصد به القاعدة الجنائيـة التي تخلق الجريمة وترسـم حدودها والركن الثاني هو ركن العدوان ويقصدون به عدم اقتران السـلوك بظرف مسوغ او مبرر لحصول الجريمة ولكن ماهي هذه الظروف المسوغة و المبررة لحصول الجريمة ومدى حدودها وصحة مدعيها وتناسبها مـع حجـم ونوع الجريمة كل ذلـك يبحث في فقه القضـاء والقانون الجنائي لأنها من الأبحاث المهمة والنفيسة . ثم قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في حق المدعى عليه فقال (وحـق خصمـك الـذي تدعي عليه إن كنـت محقا في دعـواك أجملت مقاولته ولـم تجحد حقه، وإن كنت مبطلا في دعـواك اتقيت الله عز وجل وتبت إليه، وتركت الدعوى)

ان الدعوى الباطلة او الشـهادة الباطلة على شـخص لهـا دوافع في داخل

١- شرح قانون العقوبات ص ٤٢

الشــخص نفســه وجذور ذات رواسب متعددة وقد عقد الدكتور عمار عباس في كتابه التحقيق الجنائي[١] فرعاً مهماً في دوافع الكذب في الشــهادة سنشــير لها إجمالا اي فقط نذكر العناوين وســنعقب على كل واحدة بتعقيب منا فقد قسمها الى

أولا : دوافع شخصية أي الدوافع او الاسباب التي تربط الشاهد بأطراف القضية وهي

١. القرابــة والصحبة أقول وهذا الدافــع كبيٌر جدا في تأثيره وإيجاد نوع مداهنة للشــاهد لمن يمت له بالصداقة او القرابة على الغالب
٢. الخوف ونعقب هنا ونقول خصوصاً لو كان عدم وجود جهة تحمي الشــاهد وتمنع الخطر المحدق به فبســبب الخوف قد يضطر الشــاهد لإنكار أصل الواقعة ولذا ورد في القرآن الكريم التحذير الشديد بقوله تعالى (ولا تكتموا الشــهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) نعم قد تكون القضيــة يلاحظ فيها جانب الاحتمال والمحتمل لو وصل التهديد حدا كبيرا للشاهد
٣. الحقــد والضغينــة . وذلك لأن كراهيــة المدعى عليه قد تلجأ الشــاهد ظلما وعدوانا ان يشــهد بشــهادة كيدية ضده
٤. أخلاق الشــاهد وســلوكه وتربيته فلا ريب أن البعد التربوي واخلاق الاسرة النبيلة تلقي بظلالها وانعكاساتها على أفرادها إلا الشاذ النادر فمــن يتربــى في حجور طاهــرة واحضان دافئة بالإيمان يتنســم هذه

---

١ – كتابه التحقيق الجنائي ص ٢٧٠

النسـمات الانسانية ومن الصعوبة بمكان ان تشترى الذمم لمثل هكذا ذوات

٥. سـن الشـاهد وهنا ننقـل حرفيا نص كلامـه فيقـول (ان القول بأن (شـهادة الصغير تحمل بين ثناياها الصـدق دائماً) قول فيه شيء من المبالغـة) ثـم يردفه بقوله (بل قد يصل به الحـال الى اختلاق أحداث كاملـة لا تتصـل بالواقعة الإجرامية من قريب او بعيد ولهذا كان من السـهل عـلى الصغير أن يكذب في الشـهادة وكان من السـهل وقوعه ضحية للتلقين) اقول تعقيبا على كلامه ان حكمة المشرع الإسلامي قد لاحظت حالة الطفل في هذه المرحلة وعدم إدراكه لأبعاد كلامه وإفادته ولكـون القلـم مرفوعـا عنـه وهو في هـذه الفترة لم يؤخذ بشـهادته وإفادته في فترة قبل البلوغ أي في أداء الشهادة أما تحملها في فترة ما قبـل البلوغ ويكون الأداء في فترة البلوغ مـع تذكره لأحداثها فيؤخذ بهكذا شهادة نعم في بعض جزئيات قضاء أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كان يأخـذ بقـول الصبيان ولكنها قضايا في واقعـة خاصة لا تعمم كبروياً

٦. جنـس الشـاهد . لاريب أن المـرأة بطبيعتها عاطفيـة و تمتاز بسرعة تأثرهـا وانفعالهـا وكذا تمتـاز بذكائها وقد أكدت بعض الدراسـات التي اجريت على سـلوك الاطفال في مقتبـل اعمارهم فوجد ان الانثى من الاطفال متفوقة بسـتة أشـهر على الطفل الذكر في مراحل تقدمها الفكـري وتطورها المعرفي فلذا هذه العواطف تجعل الانثى بحسـاب الاحتمالات يسـهل تأثير عليها والتلاعب بعواطفها وهذا الأمر تذكره

مقـررات اقلام القانـون الوضعي كما ذكره هنا الدكتور عمار عباس من كتابه [١] بل ذكر حادثة ظريفة حيث يقول (حتى أن أحد رؤساء الجمهوريـة الفرنسـية عندمـا علـم ان احـد النواب متهمـا بارتكاب فعل فاضح والشـهود عليه أطفال ونسـاء قال قولته الشهيرة (نساء وأطفـال يتهمونـه لقد هلك المسـكين) أقـول إذا كان هـذا الكلام هو صـادر من أقلام الباحثين واسـاتذة القانـون الوضعي وهذه الأفكار والمضامين بخصوص شـهادة المرأة فلماذا ينسب للإسلام أنه لا يقبل ولا يجيـز شـهادة المرأة وتبدأ حملة التشـويه المتعمـدة بهتانا وزوراً اليـس الاسـلام قد لاحظ هـذا الجانب العاطفي ودرجـة ضعفها فيه فسلجيا وسن قوانينه وفق الحكمة المتعالية وإذا كان البشر لهم هذه الخبروية والفراسة في صياغة الأطر القانونية لهكذا أحكام افلا يكون لخالق البشر ان تكون تعاليمه وفق العلل المتسـامية والحكم المتعالية هذا اولا وثانيا ان الشـارع الأقدس قد قبل شـهادة النساء في ومسائل الـولادة وخصوصيات النسـاء وما يتعلق [٢] بهـن وهن مصدقات في ذلـك وكـذا في موضـوع الوصية وغيرهـا من أبواب الفقـه ومن أراد الاطلاع فليرجع إلى كتاب الشـهادات .

---

١ - التحقيق الجنائي ص ٢٧٤

٢ - اقـول سـبب هلاكـه لان المـرأة عندمـا تـذرف الدمعـة امـام القـاضي فسـيتأثر مبـاشرة ويتوجـه لا شـعوريا نحوهـا لكونهـا في فقـه القانـون الوضعي هـي الفـرد الاضعـف ولـذا ورد في القـران بكريـم قولـه تعـالى (أومـن ينشـأ في الحليـة وهـو في الخصـام غـير مبـين) الزخـرف ايـة ١٨ فكأنـه نـزول الدمعـة تسـبق ذكـر ادلتهـا وافادتهـا في موضـوع القضيـة

ثانيا : الدوافع العينية (الموضوعية) اي نفس واقعة الجريمة وملابساتها مع ربطها بالشاهد نفسه وهذا الدوافع هي

١. الخوف على السمعة فقد يجانب الحقيقة خوفاً على مركزه الاجتماعي كمن شاهد جريمة في أماكن الفسق فيكذب في تواجده هناك ومعرفته بالجريمة حفاظا على سمعته
٢. دفع المسؤولية الأدبية كشهود الاب والام لابنهما أمام الهيئة التدريسية مثلا حتى لا يتهمها بالتقصير مثلا في تدريس ابنهما
٣. دفع المسؤولية الجنائية ككون الشاهد متواطئا أو شريكا للمتهم في الجريمة فيكذب ليبرأ نفسه وكذا أيضاً
٤. خشية الاتهام فانه قد يحصل حريق مثلا في مخزن ويدعي الحارس بأنه كان يقظاً ولم اي يلاحظ شخص اتى بينما هو كان يغط في نوم عميق فمثل هكذا شهادة تربك عمل المحققين في معرفة الجناة هذه أهم الدوافع التي تؤدي بالشاهد الى الكذب في شهادته مع تعليقنا عليها وشرحنا لبعض فقراتها .

حق اليد

(وحق يدك أن لا تبسطها الى ما لا يحل لك)

اطلاقات لفظ اليد متعددة فتارة تطلق ويراد بها مقدم اليد اي الأصابع فقط نظير الآية المباركة (فويل لهم مما كتبت أيديهم) [١] وكذا الآية الكريمة (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله) وكذا (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) حيث فسرت في روايات الائمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بأصابع اليدين وتطلق اليد ويراد منها الكف كقوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) وتطلق لحد المرفق مثل قوله تعالى شأنه (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق) وكذا تطلق ويراد بها امتدادها لحد الكتف ايضا ولها استعمال في عصرنا الراهن في علم جديد اسمه لغة الجسد حيث يقول مؤلفا كتاب (المرجع الاكيد في لغة الجسد) وهما الآن + باربارا بييز [٢] (تقوم الأيدي بدور علامات الترقيم لتنظيم الأدوار في التحدث . ان إيماءة رفع الأيدي مستعارة من الايطاليين والفرنسيين وهم اكبر مستخدمي حديث اليد) وايضا يقولا(فالشخص الذي يرفع يده يأخذ دوره ويتحدث اما المستمع فيضع يديه لأسفل او خلف ظهره) .

وتستعمل اليد في الامور المادية كما تقول اخذُ الكتاب بيدي وفي الأمور المعنوية كما في قوله تعالى (او يعفوا الذي بيده عقدة النكاح) [٣] وقد أطلقت

١- البقرة اية ٧٩

٢- المرجع الاكيد في لغة الجسد ص ١٢٧

٣- البقرة اية ٢٣٧

اليـد في القـرآن للحق تعـالى مجده (بـل يداه مبسـوطتان) توسـعاً ومجازا بمعنى الخير والنعمة ونظير قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (وحق يدك أن لا تبسـطها إلى ما لا يحل لك) الآية المباركة (إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم ايديهم) [١] فاستعمل البسط لليد في الآية الكريمة وفي كلامه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في العدوان والتعدي بخلافه قوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) فالبسط في هذه الآية المباركة بمعنى توسعة النعمـة والفضـل العميم ومن معانـي اليد هي القوة ويدل عليـه قوله تعالى (واذكر عبدنا داود الايد) [٢] وكذا في الخبر (لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتـى احبـه فاذا احببته كنت سـمعه الذي يسـمع به وبـصره الذي يبصر به ويـده التـي تبطش بها) وقد ورد (اليـد العليا خير من اليد السـفلى) والعليا هي المعطية او المتعففة والسفلى السائلة أو هو من باب المجاز المرسل بعلاقة الجزء والكل أي الشـخص المتعفف أو المعطي خير من السـائل بل لعله يطلق عـلى مجموع الأفـراد لفظ اليد كما ورد (والمسـلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على سـواهم) وهنا كلام غريب لابن الأثير في[٣] .

حيـث يقـول (ومنه حديثه الآخر - يقصد امير المؤمنين علي بن ابي طالب لانـه نقـل حديثـا عنه قبـل الحديـث - ((لما بلغه موت الاشـتر قـال : لليدين وللفم)) هذه كلمة تقال للرجل اذا دعي عليه بالسـوء معناه كبه الله لوجهه اي خـر الى الارض على يديـه وفيه) انتهى الكلام .

اقـول: لا نعلـم من الذي دعا على الاشـتر بهذا الدعاء فهـل يقصد أن عليا

١- المائدة اية ١١

٢- سورة ص آية : ١٧

٣- نهايته ج ٥ ص ٢٤٨

(عَلَيْهِ السَّلَامُ) دعـا عليـه فيكذبـه أنه قال عنه (مالك وما مالـك لو كان جبلا لكان فِنـدا ولـو كان حجرا لكان صلدا) وذلك لما جاءه نعي الأشـتر رحمه الله وإن كان يقصد معاوية وأهل الشام حينما دعا عليه وامنّوا على دعائه فكيف فسر دعائه بأن الله كبه على وجهه وكيف علم أن الله سـبحانه قد اسـتجاب لدعاء معاويـة حتى خر الاشـتر على وجهه في النار بسـبب دعـاء معاوية وإنما قتل بسـبب ما دس معاوية للأشـتر من سم في العسـل حتى اشتهرت عنه المقولة المعروفة (أن لله جنودا من عسـل) .

وان الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حينما يقول (وحق يدك أن لا تبسطها الى ما لا يحل لك) فهو يحث على أنّ هذه الجارحة هي سلاح ذو حدين و عملة ذات وجهـين فـإن أطلق لها العنان فهي تبطش بمن حولها وتعتدي على من تناله سطوتها فنوازع الشر التي في خفايا النفس الإنسانية تترجمها اليد إلى وقائع ماديـة امـا لو هذبت هـذه النفس والتزمت بانسـانيتها التي أرادهـا الله لها فسـوف تظهر هذه النتائج على هذه اليد فلذا نبه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على جانب الشرية وعدم التعدي على الاخرين لانه الداء العضال الذي بحاجة أن يشخصه الطبيب ويضع يده على العضو المكلوم كي يتبصره المريض الغافل عن هذه العلة وهذا العضو . فالإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يدخل إلى المجتمع ويعالج أسـباب مشـكلة الاجرام قبل وقوعها لأنه بعد وقوعها واسـتفحال هذه المشـاكل من الصعب اقتلاعها كما أنه من الصعب اقتلاع الحشـائش الضارة بعد انتشـارها في الحقول فهو يثير في داخل الإنسان الجانب التربوي والأخلاقي ويبدأ معه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في أول خطـوة بطرح السـبل الكفيلة بمعالجة مشـكلة الاجرام والتعـدي على الغير

وهي تحفيز الإنسان وتنبيهه ابتداءً وتوجيهه تربويا على عدم الاعتداء وعدم استعمال هذه الجارحة في ظلم الغير والشيء الملفت هنا أنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (الى ما لا يحل لك) ولم يقل مثلا الى ما لا يحل للإنسان الآخر او لبني البشر وما شابه ذلك فهو يبين إلى انه لابد من عدم التعدي على كل مخلوق سواء كان انسانا ام حيوانا أم بناتاً وعدم الإفساد في الأرض وهو ما عبرت عنه الملائكة بقولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) والا ان لم تعالج المشكلة الإجرامية ابتداءاً وتنشئ مدارس أخلاقية للأطفال والشباب وتوجيه طاقاتهم فمن الصعب على القوانين أن تحد من مرتكبي الجرائم وقد صرحت الدكتورة سعدى الخطيب وهي دكتوراه دولة في الحقوق في كتابها [1] مايلي (وتجدر الاشارة الى ان العقوبات التي تفرضها القوانين على مرتكبي الجرائم لردع الناس عن ارتكاب جرائم اخرى تساهم في تخفيض نسبة الإجرام في العالم ولكنها لا تكفي وحدها لمعالجة مشكلة الإجرام) فهو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد زرع البذرة الصحيحة وشيّد اللبنة الاولى المناسبة في إنشاء مجتمع صالح يرتبط فيما بينه ارتباطا عضوياً ويتفاعل تفاعلا عاطفياً ليتجه نحو الكمال المنشود والوئام المفقود .

١ – حقوق الانسان بين التشريع و التطبيق ص ٣٤

حق المسؤول

(وحق المسؤول إن اعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله وإن منع فاقبل عذره)

أقول: هذا في الإمام العادل والشخص الذي لا ينام على كظة ظالم او سغب مظلوم فأما الأشخاص العاديون من البشر فلا بد لهم من مجلس نيابي يراقب نشاطهم واعمالهم ويوجه عمل الحكومات ومحاسبتها إن انحرفت عن المسار الصحيح ومحاولة توجيهها نحو الخط المستقيم لعملها فالمسؤول من ضمن وظائفه المهمة خلق فرص عمل لجيل الشباب الواعد الذي هو الركيزة الاساسية للمجتمع ومفهوم التوظيف كما يعرفه الدكتور فيصل حسونة في كتابه [1] بأنه (الحصول على الشخص المناسب للوظيفة لكي تحصل منه المؤسسة بصفة متواصلة وثابتة على معدلات عالية من الأداء والولاء) والملاحظ على هذا التعريف أنه ميال أكثر من اللازم للمؤسسة والدوائر التي تستقطب الموظفين فهي تحصل على موظف يكون كآلة يعمل بصفة (متواصلة و ثابتة) كما يقول ثم يردفها بقوله (معدلات عالية من الأداء والولاء) فكأنه القضية أشبه بعلاقة صاحب ماكنة بماكنته اي علاقة جافة وباردة بل التعبير بكلمة (الولاء) تشعر بنوع من التبعية والتسلطية على الموظف ولعل القول بأن التوظيف هو إيجاد فرص مناسبة للعمل وكل حسب طاقته وكفاءته العلمية . قد يكون هذا التعريف وافيا بالمقصود

---

١ – ادارة الموارد البشرية ص ٢١

ولـذا في مـوارد أخـر مـن كتابـه [١] قـد غـير التعريـف الى تعريـف لعله أفضـل نسـبياً مـن تعريفه السـابق فقال (ويمكـن تعريـف التوظيف على أنها مجموعة من الفعاليات التي تسـتخدمها المنظمة لاسـتقطاب مرشحين للعمـل والذيـن لديهم الكفـاءة والتميز والقـدرة على المسـاهمة في تحقيق أهداف المنظمة) .

١- ص ٦٥ من نفس المصدر

فهرس

مقدمة ٧
ولادته (عليه السلام) ١١
وفاته (عليه السلام) ١٣
غرر من شخصيته (عليه السلام) ١٤
سيرته (عليه السلام) ١٧
الفنن الباسق للإمامة ١٩
حملة الاسرار وخزان العلوم ٢٠
دخول المنهال على زين العابدين (عليه السلام) ٢٣
جوهرة فريدة ٢٦
خمس خصال كمال الدين ٢٧
هشام بن عبد الملك يحبس الفرزدق ٣٢
عـبْرةُ السجاد وعِبْرتُه ٣٦
شبيه جده علي بن ابي طالب (عليه السلام) ٤٢
البعد النفسي لما بعد واقعة الطف ٤٥
الامام القائم (عج) على لسان جده سيد الساجدين (عليه السلام) ٤٨
موائمة سلمان لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ٥١
الصديقون والشهداء ٥٥
سعيد بن المسيب والإمام السجاد (عليه السلام) ٧١
الامام السجاد (عليه السلام) في فكر المدرسة السنية ٧٦

الخط البياني الفكري والعقائدي لابن كثير ٧٩
رحيق الازهار يضمخ نور الأبصار..... ٨٧
شهادات صاحب الطبقات ٨٨
المنظومة الفكرية للحنفي القندوزي..... ٩١
رصانة البعد المعرفي لابن الصباغ المالكي ٩٣
الدعاء بوصلة الإنسان عند الابتلاء القسم الثاني معنى الدعاء..... ٩٥
قيود وشروط الدعاء..... ٩٨
دعاء الإمام السبزواري (طاب ثراه) في طريق الحج ١٠٣
التفاعل التام بين المقدمات والنتائج ١٠٥
النسبية بين الدعاء والقرآن ١٠٨
جدلية نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقومه ١١٠
الشمولية في الدعاء ١١٣
ابراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رائد الدعوة التوحيدية ١١٥
الاحتياج الى الدعاء في داخل جهنم ١١٧
ذو دعاء عريض ١٢٠
طلب الدعاء المتكرر ١٢٤
دعائه إذا بلغ الحجر الاسود ١٢٨
ومن دعائه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لولده ١٣٤
أدعية الصحيفة السجادية ١٣٨
ومن دعائه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إذا مرض ١٤٦
فلسفة المرض ١٤٧
كراهة تكرار الدعاء على من ظلمك ١٥١
ومن دعائه (عَلَيْهِ السَّلَامُ)عند ختم القرآن ١٥٤
مناجاة التائبين ١٥٨
مناجاة الراجين ١٦٢
مناجاة الزاهدين ١٦٧

مناجاة المحبين ١٧٣
الحب من الناحية النفسية ١٧٤
الحب في مفهوم اهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ١٧٥
ومن دعائه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ١٧٨
في الاستعاذة من المكاره وسيء الأخلاق ومذام الأفعال..... ١٧٨
مناجاة العارفين..... ١٨١
مناجاة المتوسلين ١٨٤
مناجاة الشاكرين ١٨٦
الدعاء بوصلة الإنسان عند الابتلاء القسم الثالث..... ١٩١
معنى الديمقراطية ١٩٦
حق الرعية ٢٠٢
حق الأخ ٢٠٤
حق الزوجة ٢٢١
القانون الوضعي واثاره على الحياة الاجتماعية للزوجين ٢٢٥
حق الولد ٢٢٦
من لهم حق التأديب ٢٢٧
أبجديات تربية الطفل ٢٢٩
أهم أساليب تربية الطفل..... ٢٣١
تربية الطفل وتعقيداتها ٢٣٦
الإنسان بدائي في عقله الباطن ٢٣٩
الأحوال الشخصية في الفقه الإسلامي ٢٤١
عتبة الدخول لرسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ٢٤٤
حق المدعي ٢٤٧
حق اليد ٢٥٥
حق المسؤول ٢٥٩